خصابيه

هذا كتاب هز القحوف في شرح
قصيد أبي شادوف للعلامة
الشيخ يوسف بن محمد بن
عبد الجواد ابن خضر
الشربيني عفا الله
عنه
امين

HACI MAHMUD EFENDİ
BEŞİKTAŞ
Vakıf Kütüphanesi

T.C.

Süleymaniye Kütüphanesi
Kısmı: Hacı Mahmud ef.
Yeni Kayıt: 3312
Eski Kayıt:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى شرّف نوع الانسان بنطق اللسان * وخصه بعموم الفضل والامتنان * وهيأه لادراك حقائق المعرفة والبيان * وتوجه بتاج الكرامة والبراعة والاتقان * وجعل الطبائع مختلفة والاخلاق متباينة على ممرّ الازمان * وميز صاحب الذوق السليم بلطافة الذات وحلاوة اللسان * وخص أضداده بسوء الخلق وكثافة الطبع كعوامّ الريف اراذل الجدران * والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أفضل جرثومة العرب من عدنان * المخصوص بجوامع الكلم ولوامع التبيان * وعلى آله وأصحابه الذين جعلهم الله لاقتطاف جواهر العلم أفنان * صلاة وسلاما دائمين متلازمين فى كل وقت وأوان * (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه ان ممّا مرّ على من نظم شعر الارياف * الموصوف بكثافة اللفظ بلا خلاف * المشابه فى رصه لطين الجوالس * وجرى ذكره فى بعض المجالس * قصيد أبى شادوف * المحاكى لبعر الخروف اوطين الجروف * فوجدته قصيدا ياله من قصيد * كأنه عمل من حديد * اورص من قحوف الجريد * فالتمس منى من لا تسعنى مخالفته * ولا يمكننى الا طاعته * أن أضع عليه شرحا كريش

الفراخ

الفراخ * اوغبار العفاش وزوابع السباخ * يحل ألفاظه السخيمه * ويبين معانيه الذميمه * ويكشف القناع عن وجه لغاته الفشرويه * ومصادره الفشكليه * ومعانيه الركيكه * ومبانيه الدكيكه * ومقاصده العبيطه * وألفاظه الحويطه * وأن أتممه بحكايات غريبه * ومسائل هبالية عجيبه * وأن اتحفه بشرح لغات الارياف * التى هى فى معنى ضراط النمل بلا خلاف * وأشعارهم المغترفة من بحر التخابيط * واشتقاق بعض كلماتها التى هى فى الصفات تشبه الشراميط * ووقائع وقعت لبعضهم باتفاق * فى القاهرة ومصر وثغر بولاق * وذكر فقهائهم الجهال * وعلمهم الذى يشبه ماء النخال * وفقرائهم الاجلاف * وأحوال الاوباش منهم والاطراف * وذكر نسائهم عند الهراش * وملاعبتهن فى الفراش * التى هى شبيه نط القرود * اوبربرة الهنود * وأن أورد بول كلام المتن بمعنى اذا ذقته ايها السامع يحكى طعم البول * واذا اقتطفت من يانع ثمار لفظه ايها الناظر فكأنك قد قطفت زبل الغول * واذا نظرت الى أشعاره فكأنها رص القلقيل * واذا تأملت عفاشة كلامه فكأنك تلولت زبل الخيل * وأن أصرح فيه ببعض نكتيات هزليه * وحكم هباليه * على سبيل المجون والخلاعه * والدبدبة والصقاعه * حتى يشتهر شرح هذا القصيد من دمياط الى الصعيد * وأرجو أن لا يخلو منه اقليم بل ولا بلد من بلاد العبيد * وقل أن يخلو سامعه من تواتر الالفاظ التى كالولاش * وربما اعترى قارئه ضرب من الطراش * فهو ان مرّ على المسامع يمرّ كالريح * وان مجه الطبع كالمرض للصحيح * كما قال الشاعر الفصيح * الملتقط شعره من الدرّ الوضيح

اذا حققت أن اللفظ صوت * وأن الصوت معنى يافصيح
فحقق أن تأليفى كلام * تلذ به المسامع وهو ريح

(وفى المثل) فى البحر سمك يفسى نار قالوا كان الماء يطفيه قال هذا كلام اسمعه والا خليه ولا بأس بوصف هذا الشرح بأبيات * كأنها بول البنات * فأقول

كتاب قد حوى فنّ الولاش * كتاب قد أتى مثل الفراش
كتاب فيه اوراق وحبر * وقول صادق مع قول لاش
وفيه يا اخى من كل معنى * اذا ماذقته طعم العفاش
وألفاظ به تحكى لبول * عليها رونق مثل العماش
وفيه مسائل حازت هبالا * عليها سابل مثل القماش
وفيه النظم شبه الطوب رصا * وفيه مسائل جاءت بلاش
اذا طالعته حقا وصدقا * فلا تأمن سريعا من طراش

وكل هذا لمناسبة ألفاظ القصيد * وحل معانيه التى تحكى قحوف الجريد * فالشارح لا يخرج عن كلام الماتن * كما هو عادة القاطن فى هذا الفن والظاعن * فياله من شرح لو وضع على الجبل لتدكدك * ولو نقش على عامود الصوارى لتحرك *

ولومس به حجر لتشطر * ولو ألقى فى اليم لتكدر * فهو جدير بأن يرقم ببول الحوش على جدران الكنائس * وحقيق بأن يسطر على بيوت الاخلية ببول العرائس * وأن يلق على رؤس المزابل * وأحق بأن يرقم على جدران المكاسل * فهو شرح عديم النظير فى الكثافه * لكونه فى معنى اوصاف الريافه * وليس له شبيه فى الثقاله * لكونه فى وصف ذوى الرذاله * (واعلم) أن كل شرح لا بدله من اسم يناسبه * وعلم عليه يقاربه * (وقد سميت) هذا الشرح هز القحوف * بشرح قصيد أبى شادوف * وأطلب من القريحة الفاسده * والفكرة الكاسده * الاعانة على كلام أعرفه من بنات الافكار * وأسطره فى الاوراق من فشار * وأن يكون من بحر الخرافات * والامور الهباليات * والخلاعة والمجون * وشئ يحاكى كلام ابن سودون * فقد يلتذ السامع بكلام فيه الضحك والخلاعه * ولا يميل الى قول فيه البلاغة والبراعه * لان النفوس الآن متشوقة الى شئ يسليها من الهموم * ويزيل عنها وارد الغموم *

(وفى هذا المعنى شعر)

فنى مذهبى أن الخلاعة راحة * تسلى هموم الشخص عند انقباضه

وزماننا هذا لا يعيش فيه الا من عنده طرف من التمسخر والخلاعه * والدبدبة والصقاعه * ولهذا قال الشاعر

مات من عاش بالفصاحة جوعا * وحظى من يقود أو يتمسخر

وقد تساق الارزاق * لمن لا يدرك الخط فى الاوراق * ويحرم صاحب البلاغه * ولا يجد من القوت بلاغه * ولهذا قال الشاعر

رزق التيوس يجيئها بسهولة * وذووا الفصاحة رزقهم متعجون

ان كان حرمانى لاجل فصاحتى * امنن علىّ من التيوس اكون

وقال البوصيرى الاديب رحمه الله تعالى مواليا

ربّ الفصاحه عديم الذوق يقف ابلم * والابلم التيس مصدّر ومتعظم

يارب أن كان حرمانى كما تعلم * امنن علىّ أكون تيس ابن تيس ابلم

وقال ابن الراوندى

ياقاسم الرزق كم ضاقت بى القسم * ما أنت متهم قل لى من أتهم

تعطى اليهود قناطيرا مقنطرة * من اللجين ورجلى مالها قدم

أعطيتنى حكما لم تعطنى ورقا * قل لى بلا ورق ما تنفع الحكم

فالشخص يكون مع زمانه بحسب حاله * ويدارى وقته بما يناسب لاحواله * ويكون حذرا من دهره وصولته * ويرقص للقرد فى دولته * ويعاشر الناس على قدر احوالهم * ويدور معهم وينسج على منوالهم * ويندرج فى مدارج خلاعاتهم * ويظهر فى مظاهر براعاتهم * كما قال بعضهم

ودارهم مادمت فى دارهم * وحيهم مادمت فى حيهم * وأحسن العشرة مع بعضهم * يعنك البعض على كلهم * وقيل ان بعض الملوك مات امامه فقال لوزيره وخواص دولته انظروا لنا اماما يكون ورعا زاهدا فيه لين وهدء نفس فاجتمع رأيهم على رجل بالمدينة فيه هذه الاوصاف الا أنه فقير الحال فقال الملك علىّ به فلما حضر بين يديه أكرمه وعظمه وأعلى منزلته وصيره ارقى من وزرائه وأجرى عليه النعم فلما رأى نفسه فى هذه الحالة تعاظم على أبناء جنسه واحتقرهم وترك مداراة الناس ولم يعتبرهم واحتقر أرباب الدولة فاتفق رأيهم على مكيدة يهلكونه بها فلما كان يوم الجمعة وأراد الملك أن يصلى فى بعض المساجد أرسل السجادة ففرشت له فى ذلك المسجد فدخل وجلس عليها هو وذلك الامام وكان اتفاقهم على ذلك أنهم اصطنعوا صورة صليب صغير من الذهب والجوهر وأعطوه لرجل من خواص الملك ممن يكتم السر وجعلوا له جعلا وقالوا له ضعه تحت جبهة الامام بحيث انه لا يشعر بك أحد ففعل ذلك فلما فرغ الناس من صلاة الجمعة وأراد الملك الانصراف أخذ الفراش السجادة فرأى الصليب فعرضه على الملك فأنكره وقال لارباب دولته ما هذا الامر فانه قد رؤى هذا الصليب تحت جبهة الامام فقالوا له هذا كافر ومستتر علينا فغضب الملك وأمر بقتله فلما مرّت جنازته أنشد بعضهم يقول

كان والله تقيا صالحا * منصفا عدلا وما قط اتهم

فأجابه آخر يقول

كان لا يدرى مداراة الورى * ومداراة الورى امر مهم

فالسلامة فى مداراة الناس * وحسن الانطباع معهم بلطف الايناس * وأن يكون الشخص متنقلا فى أطوارهم * دائرا تحت فلك أدوارهم * كما صرحت بذلك فى بعض الابيات

فطورا ترانى عالما ومدرسا * وطورا ترانى فاسقا فلفوسا

وطورا ترانى فى المزامر عاكفا * وطورا ترانى سيدا ورئيسا

مظاهر أنس ان تحققت سرها * تريك بدورا اقبلت وشموسا

ولنشرع الآن فيما وعدنا * وما زمر نايه ورقصنا * والشخص يغلب عليه علمه وفنه * والزامر لا يخبى ذقنه * وقبل الخوض فى بحر هذا الكلام * والمشابهة له من جنس النظام * نذكر ما وقع لعوام بعض أهل الريف * ووصف طبعهم الكثيف * وأخلاقهم الرذيله * وذواتهم الهبيله * وأسمائهم المقلبه * وتحوفهم المشقلبه * وقصائدهم المشرمطه * وأشعارهم المخلبطه * ونسائهم المزعجات * وما لهم من الدواهى والبليات * فنقول أمّا سوء أخلاقهم وقلة لطافتهم فمن كثرة معاشرتهم للبهائم والابقار * وملازمتهم لشيل الطين والعفار * وعدم اكتراثهم بأهل اللطافه * وامتزاجهم بأهل الكثافه * كأنهم

خلقوا من طينة البهائم * كما قال ذلك الناظم

لا تصحب الفلاح لو أنه * نافجة ارياحها صاعده
ثيرانهم قد أخبرت عنهم * بأنهم من طينة واحده

فهم لا يخرجون من طور القحافه * لملازمتهم المحراث والجرافه * وهز قحوفهم حول الاجران * وطردهم فى الملق والغيطان * ودورانهم حول الزرع * ونطهم فى الحصيدة والقلع * وغطوسهم فى الجلة والطين * وعدم اكتراثهم بالصلاة والدين * اذ الواحد منهم لا يعرف غير الحزام والنبوت * والنقز والبنتوت * والساقية والفرقله * وشيل الطين والجله * والعياط والغاره * والطبله والزماره * والحدوة خلف قفاه * ومزراقه وهزرداه * وحزامه الليف * والتبن والشنيف * وخلقته المشرمطه * وصورته المخلبطه وطربوشه الدنس * وزره الغلس * وطرده للغارات * والدواهى والبليات * ومشيه حافى * فى الحر والحلافى * وعياطه فى الظلام * يا السعد أو يا الحرام * فتجتمع عليه اللموم * ويقع منهم على البلاد الهجوم * وهم سعد أو حرام * ويخرج اليهم الآخرون بالتمام * فيقع بينهم الحرب والعناد * وتخرب بسببهم البلاد * وتقطع الطريق * على العدو والصديق * ويترتب على ذلك المفاسد * وتمنع عن بلادهم الفوائد * وكل هذا من قلة عقلهم * وكثرة جهلهم * وسوء أخلاقهم * وعدم اتفاقهم * اذ كلهم فى الظاهر مسلمون * والقتل عندهم مثل الديون * وأيضا عندهم قلة الوفا * وعدم الانس والصفا * لا يؤدون القرض * ولا يعرفون السنة من الفرض * ان عاملتهم أكلوك * وان نصحتهم أبغضوك * وان الحقت لهم الشرع رفضوك * وان ألنت لهم الجانب مقتوك * العالم عندهم حقير * والظالم عندهم كبير * امورهم معاند * وليس عندهم فوائد * عندهم قابض المال * اعز من العم والخال * سود الوجوه * اذا رأوا معروفا انكروه * كما قال الشاعر فى المعنى

أهل الفلاحة لا تكرمهم أبدا * فان اكرامهم فى عقبه ندم
يبدوا الصياح بلا ضرب ولا ألم * سود الوجوه اذا لم يظلموا اظلموا

اذا اقاموا أفراح * لا تكون الا بالعياط والصراخ والصياح * وشدة الاضطراب والكرب * وربما وقع فيها البطح والضرب * وشاهدنا كثيرا من أفراحهم * وما يقع فيها من عدم نجاحهم * وستأتى كيفية أفراحهم وأعراسهم * وعدم ذوقهم مع جلاسهم * وأما اكرامهم للضيوف * فهو هز الاردية والقحوف * والجلوس على المساطب * ونفش اللحى والشوارب * وان حصل منهم الكرم بالاضطرار * يكون العدس والبيسار * والكشك الحامض بالفول * اونوع من المدمس والبقول * ولو مكث الشخص منهم مدة فى مصر ودمياط * لم يكتسب من اللطافة قيراط * وبعض اكابرهم المشار اليه * والمعول فى الامور عليه * اذا اطلع مصر لمقابلة الامير * أو قضاء حاجة من الوزير *

ترى عليه لبس محبوب * ومع ذلك يمشى حافى بلا مركوب * وأمورهم ليس لها انضباط * وأحوالهم شياط وعياط * وورودهم عند الاسحار * التفكر فى الغنم والابقار * وتسبيحهم فى الظلام * هات النبوت والحزام * وحط العلف * وهات الكلف * قال الشاعر فى المعنى

لا تسكن الارياف ان رمت العلا * ان المذلة فى القرى ميراث
تسبيحهم هات العلف حط الكلف * علق لثورك جاءك المحراث

لا يرحمون صغيرا * ولا يوقرون كبيرا * عوراتهم عند الاستنجاء على الفساقى مكشوفه * وثيابهم بالنجاسة محفوفه * يجتمعون لحساب المال فى المساجد * وليس فيهم راكع ولا ساجد * أولادهم دائما عريانين * وتراهم فى صورة المجانين * الرحمة فيهم قليله * والرأفة متروكة ذليله * كما أنه يكتب لطرد النمل بلا مرا * ارحل أيها النمل كما رحلت الرحمة من قلوب شيوخ القرى * ومن وصايا الامام مالك للامام الشافعى رضى الله تعالى عنهما لا تسكن القرى فيضيع علمك وجاهك * وقال سيدى عبد الوهاب الشعرانى رحمه الله تعالى لبعض تلامذته عليك بسكنى المدن فان المقت اذا نزل فى بلاد الريف طوفانا يكون فى المدن كخلخال الرجل قلت واذا صحفت لفظة ريف مع قلب حروفها كانت قبر فالساكن فى الريف معدوم اللذات لانه دائما فى انقباض وطرد * وجرى وكر وفر * وحبس وضرب * ولعن وسب * وهوان وتحجار * وشيل تراب وحفر آبار * وخروج للعونة على جهة السخره * وتعب شديد بلا اجره * واذا كان ذو فضل ضاع فضله * أو ذو عقل ذهب عقله * أو ذو مال أغروا عليه الحكام * أو ذو تجارة نهبوه فى الظلام * فالحق عندهم مضاع * والباطل عندهم مذاع * وحكم الله ليس له اندفاع * ولنذكر طرفا يسيرا من أسمائهم وما يكنون به فنقول (أما اسماؤهم) فانها كأسماء العفاريت * أو رقع الشلاتيت * فيسموا جنيجل * وجليجل * وعفر * ودعموم * وزعيط * ومعيط * وقسيط * وشلاطه * ولهاطه * وشقليط * ومقليط * وصفار * وبهوار * وجعمار * وعمران * وشعوان * وسمنوت * وبرغوت * والعفش * والنبش * وكسبر * وقفندر * وجنين * وبنين * ومحمد بكسر الميم والحاء المهملة * ومحمدين بكسرهما أيضا أو غير ذلك من الاسماء وان كانت لا تعلل فان اسماءهم هذه تشبه التلقيب وقد يسموا بالفال كما اتفق أن رجلا ولد له غلام فسمع رجلا آخر يقول يا أعمش العين فقال نسميه عموش فسمى بذلك واتفق أن رجلا ولدت زوجته انثى فسمع رجلا يقول لآخر هات الزبل فقال لامها نسميها زبيله فسميت بذلك وزبيلة تصغير زبلة وزبلة فيها معنيان كونها واحدة الزبل وكونها مشتقة من الزبالة والزبلة على وزن عجلة أو نخلة أو نملة أو قلة وقال بعضهم فى هذا المعنى

ووزن زبلة لديهم عجلة * ونملة ورملة ونخلة

وقد ذكرت بالتسمية بهذا الفال ما يقرب من هذا المعنى وهو ما حكى بعضهم ان زوجته
ولدت غلاما فسمع رجلا يقول لآخر دمّ الحس فقال فسماه بذلك ثم ولد له ولد ثان فسمع
رجلا يقول لآخر شاربك فى الخرا فسماه بذلك ثم ان دمّ الحس فقال كبروا ونشا وكذلك
شاربك فى الخرا بلغ من العمر عشر سنين فأرسلهما والدهما الى الكتاب فقرأ دمّ الحس
فقال القرآن وبرع فيه وكذلك شاربك فى الخرا بلغ منزلة عظيمة فاتفق فى يوم من الايام أن
دمّ الحس فقال قال لاخيه شاربك فى الخرا اقصد انا يا اخى الذهاب لبحر النيل نسبح فيه فقال
شاربك فى الخرا ملبيا السمع والطاعه فتوجه دمّ الحس فقال هو وأخوه شاربك فى الخرا
الى أن أشرفا على بحر النيل ونزلا فيه وكان دمّ الحس فقال ماهر فى العوم واخوه
شاربك فى الخرا عومه قليل فسبق دمّ الحس فقال اخاه شاربك فى الخرا فتضايق
شاربك فى الخرا واشتدّ به الامر وأشرف على الغرق فالتفت اليه دمّ الحس فقال فرأى
شاربك فى الخرا فى شدة عظيمة فأقبل عليه ووضع يده تحت ابطه وأسنده على ظهره
ولم يزل يتلطف به حتى اوصله الى البرّ فلولا أن دم الحس فقال سبق والا كان شاربك
فى الخرا غرق (ومرّ رجل) فرأى ولدا يضرب أباه ويسخر به ويسبه فقال له يا غلام
ان لابيك عليك حقا أن لا تنهره ولا تؤذيه وأن تحسن الادب معه ولو كان كافرا
فقال له يا سيدى وأنا الآخر لى عليه حق فقال له وما حقك عليه فقال له أن يحسن
اسمى ويعلمنى القرآن وأن يرشدنى الى أحسن الصنائع وهذا سمانى دبوس وعلمنى
لسان المجوس وصيرنى بين الناس خلبوس أفلا اضربه واسخر به وأسبه فقال له بل
صكه بالنعال فانه مستحق لاقبح الفعال (ومرّ رجل) على سيدنا عمر بن الخطاب رضى
الله تعالى عنه فقال له ما اسمك فقال تنور قال وأمك قال شرارة قال وأبوك قال لهب
قال وفى أىّ واد أنت قال فى وادى النار فقال له رضى الله تعالى عنه اذهب الى واديك
فان اهلك قد احترقوا فلما مضى الرجل رأى الامر كما ذكره رضى الله تعالى عنه
(والاسماء تدل على لطافة المسمى او على كثافته وفى كلام أهل العلم والتأديب كل أحد
له من اسمه نصيب * (وأما كناهم) فأبو شعره * وأبو بعره * وأبو عفره * وأبو دعموم *
وأبو شادوف * وأبو جاروف * وأبو مشكاح * وأبو رماح * وأبو بطاح * وأبو بقر *
وأبو مطر * وأبو هودج * وأبو خرق النورج * وأبو ضلام * وأبو شقوير * وأبو
قشقوش * وأبو قسيم * وأبو جريده * وأبو طعيمه * وأبو بلبله * وأبو زغلول *
وأبو سيسى * وأبو جاهل * وأبو قصاله * وأبو زباله * وأبو بعبوص * وأبو غموص *
وأبو لبده * وأبو غنده * وأبو زعيط * وأبو معيط * وأبو بريطع * وأبو زعيزع *
وأبو تعيتع * وأبو شعيشع * وأبو صابر * وأبو خنافر * وأبو هبول * وأبو هوير * وأبو
طرطر * وأبو عوكل * وأبو حوقل * وأبو عستول * وأبو ذبابه * وأبو زغابه * وأبو
طريف * وأبو قدح * وأبو عريش * وأبو كريش * وأبو قنيشه * وأبو دشيشه *

وأبو قزق * وأبو قلوط * وأبو جلاط * وأبو جبص * وأبو كانون * وأبو مقلد * وأبو
جعباظ * (ويلقبون) عمران القليط * وعمير القرط * ودقيرى * وقنديسه * وشحبير *
وبغيبر * وعنطوز الباب * وشلاطة محلاب * ومحمد القلاب * وكسبر التقليه * وبربور
الهبله * ولهاط الزبله * ومشالى الجله * ونحو ذلك كثير لاغاية له (ويجيبون السائل)
بلفظة هاه وهيه وايش مالك واى مالك وايهاه مما هو مشهور بينهم (وأمّا أسماء نسائهم)
فى معنى أسمائهم * فيسمون زعره * وبعره * وهيطله * ومكله * واخطيطه * وحويطه
ومعيكه * ودعيكه * ودكيكه * وشباره * وشراره * وزراره * وعلاره * وعباره *
وشلبايه * وعطايه * وعليوه * وحليوه * وهديه * وبليه * ولبده * وغنده * وشمه *
وله * وبلبه * ومروه * وبروه * وفيوه * وخريوه * (ويكنون) بأم جعيص * وامّ
معيص * وامّ رميح * وامّ عزام * وأمّ زوام * وأمّ شقيره * وامّ صقيره * وامّ شواهى *
وامّ دواهى * (ويلقبون) بجلايه * وكرسايه * وغاسوله * وفاره * وفرفاره * وغاره *
وغايره (فهذه) اسماء وألقاب وجودها كالعدم واغاهى ألفاظ يضعونها
مناسبة لذواتهم ليطابق الاسم المسمى وبعضهم اذا نادى زوجته يقول لها يا داهيه
يا داهيه تقول له تحيلك من الحيط (كما اتفق) أن رجلا منهم دخل منزله فرأى زوجته
عند الجيران فناداها يا داهيه يا داهيه فقالت له تحيلك من الحيط فقال لها تعالى
انعشى فقالت له ابنك يخرى كل أنت وقال شخص منهم لزوجته يا قطيعه قالت له تحيلك
يا ابو عنطوز (وأما اولادهم) فانهم مثل أولاد الهنود * أو أولاد القرود * دائما
فى شلاتيت * وشراميط * ترى الواحد منهم دائما مكشوف الراس * غارق فى الجله
والساس * ونومه فى المدود * وشربه من المترد * واكله من الجله * ولعبه حول العجله *
يشخ ويخرى فى ثيابه * دائما فى سخامه وهبابه * عمره فى الدناسه * وامّه فى نجاسه *
واذا درج فى الحاره * لا يعرف غير الطبله والزماره * والطرد ورا الثور والفحل *
وسخامه فى الجله والوحل * لا يلبس على طهارة قميص * وعيشه دائما فى تنغيص * خالى
من التنظيف * وكلهم خوف من خوف الريف (وأما نساؤهم) عند الجماع * فانهن
فى حكم الضباع * يدخلن الافران * ويضرمن فيها النيران ويعبق عليهم الدخان *
وتظهر لهم روائح الدمس * حتى يصيروا فى قلس * ثم يضجعوا على شئ من القش *
وما تيسر من القصل والعفش * بعد ما كلهم المدمس والبيسار * حتى يصير الشخص
منهم كأنه حمار * ثم يضم زوجته اليه * وهى تتقلب عليه * فيظهر من بين
الاثنين * روائح الجله والطين * وتعطيه رجليها * وينظر الى عمشة عينيها * ويطرحها
على جنبها * فتستغيث بربها * وتقول احيه جتك داهيه احيه جتك مصيبه احيه جتك
غاره فضحتها بليه * وجماعها رزيه * وربما جامع الشخص منهم زوجته فى مدود الجاره *
أو فى الغيط جنب العباره * وقد تمكنت المرأة منهن الجعمه * لا تغتسل من الجنابة لمعه *

وكذلك الرجل بتحقيق * فى اعظم الدناسة وعدم التوفيق * (وأما أعراسهم) فانها مثل قيام الغارات * أو تعفير الكلاب فى الحارات * يدوروا بالعريس دوره * وهم فى غارة او غوره * وعائط وصراخات * ودواهى وبليات * وزعيق وعفره * وصياح وغبره * والكلاب تنبح * والشعر اتمدح * والطبل يضرب * والمشاء حوله تلعب * والجدعان تخبط بالنبابيت * والاولاد تنط بالشلاتيت * وربما كانوا فى هزل صاروا فى الجد * وربما هشموا بعضهم البعض * وقد يموت الواحد منهم والاثنين * ويحصل من ذلك الفرح الهم والشين * وتخرب من فعلهم البلد * ويزيد الهم والنكد * ثم بعد هذه الدوره * يفرشوا للعريس جنب الجوره * ويجلسوا على نخ أو حصير * أو برش من ابراش البير * ويأتوا له بالعروس * كأنها فحل جاموس * منقشة بالحبر والهباب * وقدامها الشاعر بالرباب * وخلفها الصبايا بالزغاريط تصيح * والجدعان تمشى بالمصابيح * ويرشوا عليها الملح خوف النظره * وقد خلطوا وجهها بالسواد والحمره * ويكشفوا وجهها عند الجلا * وصارت بهذه الفعلة مثلة بين الملا * وهذا من اقبح أفعالهم * وأتعس احوالهم * اذ لا يجوز هذا فى الشرع * ولا يقول به أصل ولا فرع * ثم انهم يجلسوها على شئ عال * ويأتى اليها الطبال * وينشدوها الاشعار * مما هو مناسب لها بالاعتبار *

شعر

ياعروسه ياام غالى * انجلى ولا تبالى
انجلى ياوجه بومه * زاعقه وسط الليالى
وجهكى بالنقش يشبه * وجه ضبعه فى الرمال
لك مسخنة شعر يربط * فوق راسك لا محال
تشبهى به ام مجبر * دائره وسط التلال
ياعريس قم خد عروستك * واطلع بها فوق العلالى
وافرشوا القبه وناموا * فوقها جنح الليالى
واسخرى له واغنجى له * بالداوهى والهبالى
تصلحى له ياعروسه * تم امرك بالكمال

(ثم انهم) يجتمعوا حول العروس * وينادى بينهم رجل فلفوس * بيده شعله من شرموط * هاتوا النقوط * صاحب العرس بقى فى أمان * هاتوا يا نساء ياجدعان * فيعطيه الشخص منهم الدرهم والدرهمين * والذى يرمى نصف او نصفين * وبعد هذا يقبلوا على العروس * بوجوه كأنها وجوه التيوس * وينادوا قمح والاشعير * والاسم مقشور غزير * فان كانت مليحه قالوا قمح زريع او سمسم مقشور * وان كانت قبيحه قالوا شعير نبت فوق الجسور * ثم انهم يدخلوهما الى الفرن او البيت * ويسرجوا لهم بشئ من عكار الزيت * ويفرشوا لهم شئ من التبن او القصل * ويضعوا لهم وسائد محشوة من قشر البصل *

ويغلقوا عليهم الباب * ويدقوا لهم بالحجارة على الاعتاب * فان أخذ وجهها هنوه * والا جرسوه وهتكوه * وقالوا له شرقت البلاد * وهتكتنا بين العباد * فعرسهم هتيكه * وفرحهم مصيبه * وولائمهم الكشك والفول * ونوع من البقول * والارز بالعسل يشبه الطين * والارز باللبن يشبه طعام المجانين * وقد ذكر هذه الاوصاف صاحب الدهكش حيث قال فى القصيد

شعر

ويوم عملنا العرس ياما رقصنا * وياما حرقنا قش جوا المساطح
نصفها بالسنط من فوق قتنا * وكان انهدم ياما قشعنا فضايح
واخرجتها للضوء برا الزريبه * بقا شى يقول مشعر وشى يقول قامح
وصبحت تهنينا اكابر بلدنا * علمنا تفال العيش مسبول سايح
هداديه تخبط على ثقل ركبتى * وانا بلا لبده قليل الملايح
وجلس بجنبى ابن جرو ابن كل نحرا * وابن الغفير وانا اروح روايح

أى جلس بجانبه مشايخ الكفر وهم هؤلاء المذكورون فلا يحتاج الى اعادتهم لان الاعادة * فى ذكرهم ليس فيها افاده * فقد افردت عرسهم بمؤلف فراجعه ثم انهم عند الصباحيه * يجتمعوا المشاة فى الظهريه * ويجعلوا بينهم وبين العريس حكومه * لا قدر لها ولا قيمه * ويجتمعوا مع بعضهم البعض * ويرمحوا فى طولها والعرض * ويقولوا حكمنا عليك يافلان * قوم هات العيش والمش ورطل دخان * ويأكلوا وينطوا * ويشيلوا ويحطوا * ويأتوا بحجارة الدخان مثل أرباع الكيل * ويصيروا فى عياط وشياط الى الليل * ويسموا هذا اليوم يوم الهرويه * وأمورهم كلها مقلوبه * وبعد ثلاثة ايام * يخرجوا العروسه بالتمام * ويكشفوا وجهها ثانى مره * ويجعلوها للناس شهره * ويأخذوا أيضا النقوط من الناس * واحوالهم فى انعكاس * (ذكروقائعهم) حكى أن بعض الملوك خرج هو ووزيره قاصدا التنزه فمر على رجل فلاح يحرث وعلى رأسه لبده مشرمطه ولابس خلقه مقطعه ترى عورته منها وقد حصره البول فبال عليها حتى غرقها ولم يبال من النجاسة وقد اسود قفاه من الحر وتشققت قدماه من الحفا وشدة البرد وهو فى حالة مكربه فقال الملك لوزيره ما حال هذا الرجل فقال له ياملك هذا من فلاحين الريف ينشأ الشخص منهم على التعب والنصب والهم والغم والطرد والجرى وقلة الدين والجهل ولا يجد من يرشده للعبادة والصلاة فيصير فى هذه الحالة كما ترى فهم همج الهمج لا يعرفون غير الثور والمحراث فحكمهم حكم البهائم قال الشاعر *

من فاته العلم وخطاه الغنى * فذاك والكلب على حد سوا

فقال الملك لوزيره هل ترى اذا اخذناه وعلمناه القرآن وشغلناه بالعلم وألبسناه ملابس النعم يتغير طبعه ويرق قلبه وتخف ذاته وينتقل من طور الكثافة الى طور اللطافة فقال

الوزير أيها الملك أما سمعت قول الشاعر

لايخرج الانسان عن طبعه * حتى يعود الدر في ضرعه
من كان من جميزة أصله * لا ينبت التفاح من فرعه

(وقال آخر)

الطبع والروح في جسم لقد خلقا * لا ينفد الطبع حتى تنفد الروح

وقال بعضهم يحول عن وكره ولا يحول عن طبعه وحكى أن رجلا أعرابيا مر بقارعة الطريق فرأى جرو ذئب صغيرا فرحمه وأخذه الى منزله وكان عنده شاة ترضع فرباه عليها الى أن كبر فعدا يوما على الشاة فبقر بطنها وولغ في لحمها ودمها فلما رجع الاعرابي ورأى ما فعل أنشد يقول

غذيت بدرها ونشأت فينا * فمن أنباك أن أباك ذيب
اذا كان الطباع طباع سوء * فلا ادب يفيد ولا أديب

ومن ذلك ما حكى أن جماعة قصدوا صيد ضبعة فالتجأت الى أعرابي ودخلت منزله فخرج الاعرابي اليهم وبيده السيف مصلتا وقال لهم لا تتعرضوا الضيف فانه قد استجار بي فقالوا اياه هذا لا تحل بيننا وبين صيدنا فقال هذا لا يكون أبدا ولا أسلم لكم أبدا وجعل يغذيها اللبن فتجرد الاعرابي يوما ليغتسل فلما ابصرته عريانا عدت عليه فشقت بطنه وولغت في لحمه ودمه فقيل لابن الاعرابي فأنشد

ومن يفعل المعروف مع غير أهله * يجازى كما جوزي مجير أم عامر
اعد لها لما استجارت بقربه * من الدر ألبان اللقاح الدواسر
وأشبعها حتى اذا ما تمكنت * فرته بأنياب لها وأظافر
فقل لذوى المعروف هذا جزاء من * يوجه معروفا الى غير شاكر

ومن كلام الامام علي رضي الله عنه قال لا تعلموا اولاد السفلة العلم فانهم اذا تعلموه طلبوا معالي الامور فاذا نالوها اعتنوا بعذلة الاشراف وقال الامام الشافعي رضي الله عنه

فمن منح الجهال علما اضاعه * ومن كتم المستوجبين فقد ظلم

وهذا الرجل لو علمته الحكمة وقيدت له من يعلمه لا يخرج عن طبعه ويرجع الى عادته الاولى خصوصا طباع جهلة الريف وعوامهم فانهم أجلاف تحوف كأنهم خلقوا من صخر كما قيل

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
هل في الانام رأيتم * خفا رقيق الحاشيه

فاللطافة لا تخرج عن طور الاكابر ولا تتعدى لعوام الريف الاراذل خصوصا دني الاصل اذا ادعى العلم والفضل (كما اتفق) أن امرأة ذات حسن وجمال * وقد واعتدال *

كانت متزوجة بابن عم لها وهي متضررة منه وراغبة في فراقه فارسلت للعلماء في تدبير حيلة للفراق فلم تتمكن من ذلك حتى وصلت الى وضيع دني الاصل تعلم العلم فدبرها أن تدعي أنها ارتدت عن دين الاسلام والعياذ بالله تعالى وتحقق الى أن تنقضي عدتها فتصل الى الحاكم الشرعي وتعترف بصدور ذلك منها وأنها تابت ورجعت الى دين الاسلام وأخذ على ذلك منها شيأ فقعلت ما أمرها به فاستغرب الناس ذلك وجزموا أن لا يصدر هذا التعليم الا من ذلك الشخص فتفقدوه فلم يجدوه * وفي هذا المعنى قول الامام الشافعي رضي الله عنه فمن منح الجهال الى آخره * وكذلك يا ملك الحكاية المشهورة وهي أن رجلا دني الاصل سافر الى مدينة فاشتد به الجوع فرأى رجلا يبيع الزلابية فوقف قبالة دكانه حائرا فرق له قلب الزلابي ورحمه وقال له ادخل لاغديك صدقة عني فدخل فقدم له ما يكفيه من الزلابية والعسل فأكل حتى شبع واذا محتسب المدينة مار ينادي على اهل السوق ويزن عليهم ويحذرهم نقص الموازين وكذلك صناع الزلابية أن ينضجوها ولا يبيعوها طرية فقام هذا الرجل الكثيف الرذل وأخذ بعضا من الزلابية وعجنه بيده وقال للمحتسب نصرك الله على هذا الرجل يباع الزلابية انظر ما يفعله الناس من الغش قال فأخذ المحتسب صانع الزلابية وضربه ضربا مؤلما فالتفت الى هذا الرجل ردىء الحال والفعال وقال له ما ذنبي معك وأنا شفقت عليك وأطعمتك حتى شبعت صدقة عني فسكت فقال له ما اسمك قال فلان قال وأبوك قال فلان قال وأمك قال مرجانة جارية سوداء فقال صانع الزلابية لا ألومك ابدا جاءك الطبع الخبيث من جهة امك ثم انه أخرجه من دكانه ومضى الى سبيله * وفي هذه الحكاية يا ملك مواعظ واعتبارات كثيرة فقال الملك لا بد من اخذه وتعليمه ولا أركن الى ما تقول فقال له الوزير افعل ما بدا لك فأخذ الفلاح وأنعم عليه وألبسه الملابس الحسنة الفاخرة وقيد له من يعلمه القرآن والعلم فحفظ القرآن وبرع في علم الرمل والحرف حتى صار يخرج الضمير ويبين الضائع قال فتذكر الملك ما قال الوزير في حق الفلاح ونصحه الملك في عدم اخذه وتعليمه فأرسل اليه فلما حضر قال له يا وزير خابت فراستك في الفلاح فانه الآن بقي على غاية من العلوم وصار له براعة في علم الرمل والحرف ويخرج الضمير ويبين الضائع فقال الوزير يا ملك اختبره وانظر طبعه وخلقه فأرسل اليه فحضر فقال له الملك بلغني أنه صار لك قوة في اخراج الضمير وبيان الضائع فقال له نعم ان شاء الله فقال له مرادي أن أضمر على شيء وتبينه لي فقال افعل قال فنوى الملك وقلع خاتمه وأطبق عليه يده وأتى اليه وقال له انظر ما في يدي قال فأقام الاشكال وقال في يدك شيء مدور قال نعم قال وهو خالي الوسط قال صدقت ولكن ما هو فسكت ساعة زمانية ثم قال أظن والله أعلم أنه حجر طاحون قال فضحك الوزير وقال غلب عليه طبعه الاول يا ملك فاغتاظ الملك منه وسلب نعمته ورده الى حالته الاولى (وقيل) التزم بعض الامراء بقرية من قرى الريف فسافر اليها لينظر

اجوالها كما هو عادة الملتزمين فلما دخلها ونزل فى دار الحكم وتسمى عندهم دار الشدة أقبل اليه الفلاحون وهم من كل حدب ينسلون وأمامهم شيخ كبير قد طعن فى السن وبيده عصا يتوكأ عليها قال فلما رآه الملتزم وهو أمام القوم قام اليه وأكرمه وأجلسه الى جانبه لكبر سنه وقال فى نفسه لعله من أهل الصلاح لان ما فى هذه القرية اكبر منه ثم ان الامير صار يحثهم على الزرع والقلع وعلى سداد مال السلطان والغرامة وأن يجتهدوا ويفيقوا الى انفسهم ويكونوا مع بعضهم البعض قال فعند ذلك قام هذا الشيخ الكبير ووقف بين يدى الامير وقال له انى اريد أن انصحك ايها الامير وأرشدك الى شئ تفعله فان أنت فعلته فاقوا لانفسهم وسدوا المال فقال له الامير تكلم يا شيخ فان ما فيهم من هو اكبر منك سنا وأعلى قدرا فقال ان كان مرادك النصيحة اهدم دا الجامع اللى فى وسط البلد فانهم كل يوم يجتمعوا فيه للصلاة اللى يقولوا عليها الناس ويتركوا مصالحهم فاذا انهدم فاقوا للزرع والقلع وسدوا المال ولو أنى طاوعتهم يا أمير وصرت كل يوم أدخل دا الجامع كان انكسر على مال السلطان وما نفعنى طول عمرى ما أعرف دى الصلاة اللى يقول عليها الناس ولا دخلت الجامع أبدا قال فتعجب الامير من طول عمره وقلة دينه وشدة جهله وقال له أنت رجل طال عمرك وساء عملك ثم انه علق فى رقبته الاوطية وأركبه حمارا معكوسا ونادى عليه حوالى البلد بعد أن ضربه ضربا موجعا وأخرجه من القرية على اسوا حال (ومما يحكى) أن أبا نواس جلس يوما هو والخليفة هرون الرشيد فى محل المداعبة والملاطفة فأحضر بين يدى أبى نواس صحن من الخشتنانك المحشو بالسكر وصار يأكل هو والخليفة فقال الخليفة يا أبا نواس هل يمكن أن أحدا من الناس لا يعرف هذا قال نعم يا ملك عوام الريف الفلاحون وأضرابهم فانهم اناس نشأوا فى أكل الدخن والذرة فضلا عن الحنطة ولا يعرفون هذا ولا غيره من المأكولات الا العدس والبيسار فقال له الخليفة لابد أن تحضر لى رجلا منهم فى هذه الساعة والا قتلتك قال فقام ابو نواس من عند الخليفة متحيرا يمشى فى شوارع بغداد فرأى رجلا يحاكى سارية الجبل من طوله وعليه جبة من صوف الى ركبته وقد انسحت وتمزقت من سائر الجوانب واذا اراد أن يحزم عليها بان ايره وانكشفت عورته واذا بال بال عليها من غير مانع لكونه لا يعرف الطهارة من النجاسة وعلى رأسه لبدة من الصوف طويلة مثل القحف دائر من غير سقف وقد ربط وطاه وجعله خلف قفاه وبيده رغيف ذرة يأكل فيه وهو ينظر الى الحوانيت مثل المرتاب وهو فى حيرة لا يدرى اين يذهب ويأكل وينظر الى الناس مثل المجانين قال فلما رآه أبو نواس فى هذه الحالة عرف أنه خفف من خوف الريف فسلم عليه فلم يرد عليه السلام وتحير فى نفسه ولم يعرف كلام ولا سلام بل ظن أنه يريد أن يأخذ الرغيف منه فخطه فى عبه وقال له يا جندى أنا ما معى شئ تأكله غير هذا الرغيف وأنا ان اعطيته لك قتلنى الجوع وأنا عمرى ما طلعت هذا الكفر وأنا بانظر فيه

جنادى كثير مثلك ودور مثل دورنا وخايف من الجنادى لا يقطعوا راسى فقال ابو نواس فى نفسه الحمد لله الذى اوقعنى فى هذا فهو المطلوب الذى لم يعرف الكفر من المدينة ثم انه لاطفه بالكلام وقال له لا تخف ولا تفزع فمالى حاجة برغيفك ولا انا جيعان وأنا مرادى اغديك غدوة عظيمة فقال له حياك الله يا جندى وأنا الآخر لما تغدينى وتبيض وجهى أزورك بأربع بيضات وان فقست وزتنا اجيب لك وزه خضرا وأجعلك صاحبى ولا تخلى أحد يقطع راسى لانى خايف اروح الكفر بلا راس قال فضحك عليه ابو نواس وقال له امض معى فى هذه الساعة أغديك واصافيك قال فسار معه وهو لا يدرى اين يذهب حتى أقبل على ديوان امير المؤمنين هرون الرشيد قال فلما رأى الديوان وكثرة العسكر بهت وحار فى امره واندهش وقال الله وكبر القيامه قامت ودا المحشر لا كلام ثم انه اراد الهروب فقبض عليه ابو نواس وقال له لا تخف ولا تخش من شئ وضمانك على فقال له يا جندى أخاف العرض على ربى من الحساب ليحاسبنى على ضرب البهايم ونيك الحمير فى الغيط لانى ما خليت حماره فى الغيط بلا نيك من خوف لا اهجم على نسوان الكفر يمسكنى المشد يقطع راسى وباسمع الناس وهم يقولوا كل من نكح دابة يجى يوم القيامه وهو حاملها وأنا نكحت دواب كثير حتى الكلاب والقطط لا اقدر أحملهم فى هذا اليوم وانت تشفع لى عند ربى يسامحنى فى هذا اليوم مما فعلت فقال له ابو نواس لا تظن أن هذا يوم القيامة وانما هو ديوان الخليفة هرون الرشيد السلطان فقال له يا جندى أنا ما رأيت مثل هذا المحل أبدا ولكن ما يكون الخليفة قال له هو السلطان الذى يقبض المال من بلاد الارياف والكفور فصرخ الفلاح وقال له يا جندى السلطان يقطع روس الفلاحين ولا يخلى فلاح من غير قطع راس وأراد الهروب فلما سمع الخليفة كلامه سأل عن القصة فأخبروه بها فضحك وأرسل يطلبه قال فأخذه ابو نواس وأقبل به على الخليفة وهو فى دهشة وحيرة مما رآه من كثرة الجند والعسكر حتى وقف بين يدى الخليفة فقال أنا فى جيرتك يا رسول الله يا ابو زعبل يا ابو عنطوز يا الله يا مشايخ الكفر خلصونى قال فأمر الملك أن يلاطفوه بالكلام فلاطفوه حتى سكن رعبه وروعه ثم انه نظر فرأى الخليفة جالسا على الكرسى وعلى راسه التاج الكسروى فقال له أنا فى جيرتك يا خطيب المسلمين قال فضحك عليه الخليفة وقال له يا فلاح من أى البلاد أنت فقال له أنا من كفر أبو زعبل وأنا شيخ الكفر وعندى بيت ملان تبن وقصل وعندى عنزو مركوب احمر وحياة راس السامعين وعندى فرختين وديك وشوتين عضم وخف طويل مثل خفك دا يا خطيب فضحك عليه الخليفة وقال له من أحضرك عندى قال دا الجندى صيبك لاجزاه الله خير وكان مراده يأكل رغيفى دا ثم انه اخرج الرغيف من عبه وأراه للخليفة فقال له الخليفة أنت جيعان فقال يا خطيب صيبك اوعدنى بالغدوة فقال له الخليفة ما تشتهى قال

العدس والبيسار هات لى عدس ومترد بيسار ورغيفين دره وأنا اخلى ام خطيطه
تدعى لك فقال له الخليفة اجلس يافلاح قال فقعد ومدرجليه بحضرة الخليفة وحط
النبوت بجانبه والمركوب خلف قفاه وربطه فى حزامه خوفا عليه أن يقع من وراء ظهره
فأمر الخليفة أن يقدموا له الصحن الذى فيه الخشتنانك فقدموه اليه فلما رأى الصحن
قال ياخطيب المسلمين اعطينى من دا المترد كوره ألعب بها فى الكفر أنا وابو دعموم
واولاد الكفر فضحك عليه الخليفة وقال له كل منهم كورة فقال ياخطيب المسلمين الكوره
تتاكل فقال له كل على بركة الله تعالى قال فأخذ الفلاح واحدة ووضعها فى فمه ومضغها
فلما استقرت حلاوتها فى جوفه صار يأكل اربع حبات سوا ويعجنها فى يده ويقطع منها
ويبلع وتارة يسف وتارة يمضغ وهو فى حالة المجانين فضحك عليه الخليفة وقال له يافلاح
مايكون هذا الذى تاكله وما اسمه فقال ياخطيب المسلمين طول عمرى آكل العدس
والبيسار والكشك بالفول والمدمس ماريت مثل دا أبدا الا أنى سمعت ام معيكه جدتى
تقول نعيم الدنيا الحمام والله أعلم ان دا هو الحمام اللى يقولوا عليه الناس فضحك عليه
الخليفة وقال له مرحبا بك يافلاح كل واشبع فقال له ياخطيب المسلمين وحياة
وجهك لما اروح الكفر أزورك بحمل جله ومحلاب لبن من بقرتنا الحمرا وخمس بيضات
وأنت الآخر ماتحرمنى من نعيم الدنيا دا لما أحضر بالهدية فضحك الخليفة من كلامه
وأنعم عليه وأذن له بالانصراف ومضى الى سبيله (ولقى) بعض اهل الارياف صديقا له
وقد اشترى بردة من الصوف فقال له دى بردتك فقال له عبدك وجاريتك فقال له بكم
اشتريتها فقال له بداهيه كبيره فقال له تلفك وتلف وليداتك فى الشتا (وجلس بعض اهل
الارياف) بين اصحابه فدخل عليه ولده وهو يبكى وقال له يابويه نخل الفراخ مات
فقال لا حول ولا قوة الا بالله العام الماضى ديك والعام دا ديك احنا ياولدى اصحاب
الرزايا والمصايب ربنا يعوض علينا ثم ان اصحابه عزوه وصار كأنه مات له ميت (وولدت
لشخص منهم حمارة) فلقيه صديق له فقال له حمارتك ولدت فقال له وسبعت فقال له
ماجاب الله فقال له جحش كيفك سوا بسوا فقال الله يخليه لك ويجعله جحش الحياه
(وعطس رجل منهم ايضا) فقال له فقيه من أهل الريف يرحمك اللى عطسك ولو شاء
لفطسك وأخرج العطسه من قبر قراقير اللى خلفك فقال له الفلاح يافقى لاعدت تنسانا
من دى السورة تقراها علينا فى المسا والصباح واعطيك ايام المقات اربع بطيخات
وتقرا السورة لام معيكه وتهديها لابو زعبل فانه مات من مدة شهرين فضحك عليه الرجل
ومضى الى سبيله (وجلس جماعة من اهل الارياف) يتحادثون فى احوال الزمان
اقباله وادباره فقام رجل منهم يقال له ابو عفره وسحب رداه واتكأ على عصاه
ثم ضرب بها الارض وقال لهم ياشيوخ الكفر زمن الفرح اللى ولى وراح ولا بقى
فى الدنيا خير ولا عاد يجى زمان مثل زماننا اللى كنا فيه وماتحصل أيام الاعياد والمواسم

فقالوا له الله عليك يابو عفره احكى لنا على زمن الفرح اللى شفته فقال لهم رحت يوم عيد
الله وكبر أنا وابو معيكه وابو دعموم وكان معى ابنى فرقع الليل ولد صغير واحنا بنجرى
مثل الكلاب السعرانه وانا نافش وعلى ردا من محر الكتان شريته بنص فلوس جدد
الدراع وجبة صوف خدتها بخمسه جدد الدراع ولبده خدتها بعثمانى وأنا مزوق
على العيد كيف عنز الضحية وتحزمت بسير وسكين خدتهم من سوق هربيط باربعة
انصاص فلوس جدد وعلى راسى شدمشنبر خدته من سوق بيشه بنصين فلوس جدد
ونبوت كنت سرقته فى زمان الشطاره ومركوب احمر كيف وجوهكم ياشيوخ الكفر
كانت سرقته ام زعبل من واحد حضرى دخل دارنا اللى على البركة بالامارة
يشترى بيض ورحت انا والجماعه نشترى مصالح العيد على الطريق اللى تطلع على
الكفر تباع أبو عنطوز نمشى عليها كيف كلاب الغنم وكالقينا واحد دبح جدى
بالتخمين خمسة ارطال لحم فوقفت انا واصحابى على راس صاحبه وهو عمال
يسلخ فيه فقال لى ماتطلب ياشيخ الكفر انت واصحابك فقلت له اسمع ياعرص ياراس
الدقاق وحياة ام زعبل ان كنت ماتكارمنى اليوم وتوصابى والا ماعدت تدبح
جدى ولا كاب فقال لى ياشيخ الكفر تطلب من اللحم والا السقط فقلت له أطلب السقط
اقسمه بينى وبين اصحابى كل واحد يأخذ تلته فأخذت منه السقط بعد عياط وشياط
وضراط وحياة لحاكم يااولاد كفرنا بنص فلوس جدد ولولا عنيت له الضرب
وقلت له ياعرص ياتيس وانا شيخ وتورد على الجدعان اليوم أطبخ وأغرف وأنا معمود
فى الكفر والا ما كان اعطانى السقط وقسمناه احنا التلاته كل واحد خد بجديدين ولكن
واحد من شركاتى غار على وخد رجل زايده وانا سرقت ودن من اودان الجدى وطلبت
اسرق سنه من اسنانه اعلقها لابنى عفره على راسه تمنع عنه النضرة اتغلبوا على شركاتى
وقالوا لى يابو عفره لا تخون الامانة ان جات الاسنان فى حصتنا خد ماتريد فتركت
الامر ده وخدت حصتى فى طرف ردايه وكل واحد من شركاتى خد حصته
ولفعت نبوتى على كتفى وبقينا كيف الكلاب السعرانه وانا اعفر بين الكيمان والكلاب
تجرى ورانا على ريحة اللحم وكان حرقنى شخاخى وحياة لحاكم ومن خوفى من الكلاب
لا ياخدوا منى السقط وكنت اشخ على ردايه حتى غرقته شخاخ ولما دخلت الدار شفت
ام زعبل حشا العيب قاعده فى جنب مدود الحماره كيف كلبة المشد تعمل الجلة عليها
قميص من قطن مخطط كنت شريته لها من زمن الفرح بعشرة انصاص فلوس جدد وفوق
راسها طرحه كبيره مثل الردا خدتها بأربعة انصاص فلوس جدد وسرموج اخضر
واحمر مصبوغ بحنا وبرسيم سايل للخوران وفى رجليها حجل نحاس مطلى بقزدير وفى يديها
تيابل نحاس اصفر وفى اودانها حلق طارات فدخلت عليها مشنغر بدقن كيف دقن
التيس وشوارب مطرطره كل من شافهم خرى على روحه فقامت ام زعبل ومسحت

يديها من الجلة ولا قتنى بالحضن لا تقول الا بقينا كيف الكلاب الجياع وبعد ما الاقشتها ولا قشتنى ولا طعتها ولا طعتنى وعملت معها ما تعمل الرجال مع النسوان يعنى ديك القضيه وانتم تعرفوا انى حدق وشاطر وما يطلع من حنكى عيب وما انتم شفتم ايه من الفرح وبعد دا ودا فانى اغنى البهايم والحمرات اتعلمت الغنا من ابويه وجدى وأنا فصيح قوى فقلت يا ام زعيل ربنا يخلى لى شلشولك وقامتك أنا بانظر حلقك يشتم الناس وهو مايل على اودانك وأنا رايح اغنى عليه فقالت لى يا ابو زعيل وحياة شاربك اللى كيف شارب الكلاب الا تغنى لان اوحشنا غناك وقصايدك ومرادنا تسمعنا قصيدتك اللى تقولها فى الحلق فنشدت لها قصيد ومن صلى على النبى يستفيد

ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تبيع الورد فى الصحه * قصك زين الطرحه
عسى الله أنضرك لحه * تجمع عندنا الجلات
ألا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
الا يابو قيص هربيط * عسى الله أنضرك فى الغيط
وأدى لك قدح مخيط * وأدى لك شمال كرات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وأعطى لك شمال خبيز * وأعطى لك قدح جميز
وأجعل لك على تميز * فطيره دخن فى الصحات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
أنا حبك كما العجله * ويا زينك حدا الجله
تعالى الغيط بلا مهله * وتتفرج على العجلات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
تعا عندى وكل جعضيض * وجيب لك يا مليح جميض
واقلى لك كمانى بيض * بزيت حار من حدا الزيات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
أنا خشى أن أقل تعال * تعاونى على دى الحال
تعالى امشى وضال عمال * أروح بك دارنا ونبات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ودمس لك أنا القبه * وجيب لك فول من القضبه
وكل واشرب كمان شربه * تخليك تشبه العنزات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وجيب لك عدس مع بسار * وكسرة عيش مع فول حار

وجيب لك مسرجة زيت حار * تنورلك كما القمرات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط لك جنب مدودنا * والاجنب جاتتنا
وو تريك بوز بقرتنا * وهى تقرش من القصلات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وان شاء الله اروح طلخه * وجيب لك يا مليح فرخه
وفى الداران ترى الشخه * عليها صيب من بولات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وخليك كيف أبو برير * وتمالقش وتتشخر
وتتشقلب وتتغندر * وتبقى لى كما الكلبات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وتعطيه لى وتتبكه * وحطو فيك واتكه
وأنا ابو عفر ابو دكه * ابيع المش فى الحارات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وناشاعر وشيخ الكفر * نشدت قصيد كيف الزمر
وقومى وارقصى بالعفر * ودا يوم عيد وله طنات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
وحط اللحم والفشه * على الكانون والكرشه
وتتغدا وتتعشه * ونعزم دار ابو كرات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات
ونختم قولنا الاباس * نصلى على النبى يا ناس
ويشفع لى وجمع الناس * وينقذنا من الهلكات
الا يابو حلق طارات * تبيع الورد بارطالات

فقامت ام عفره من الفرحه ورقصت هى وابنها عفره واخوه فرقع الليل حتى وقعت الرحى من على راسها وسمعوا الجيران فجونا وقالوا يا ابو عفره سمعنا القصيد فسمعتهم اول وتانى وقالوا غدا يسمع بك نصرانى البلد ويقربك وتبقى تجلس حدا مركبه ويقول لك يا عرص تقول له يا سيدى وان شا الله يعطيك كيله شعير وقدح قمح فقلت لهم ان اعطانى شى انعمت عليكم ولما تمت الفرحه بنشد القصيد قامت ام عفره للسقط تطبخه فقالت لى يا ابو عفره بقا عليك البخور فقلت لها وحياة شلشولك ما بقى معى فلوس وانا قشلان فقالت لى من خلى شى لعقب الزمان ينفعه أنا خليت فى الصومعه اربع بيضات خدهم ولا تقول لحد فان الناس تحسد الناس وخصا اليوم عيد وانت اليوم يا ابو عفره فى نعمه كبيره

هات لنا بيضه مرسين وبيضه محلب وبيضه نعناع وبالبيضه الرابعه عصفر زعفربه تباب
ابنك عفره وأخوه فرقع الليل حتى يبانوا بين اولاد الكفر ويبقى لهم الكلام والحمد لله
عندنا شويت زيت حار أدهن بهاشعر راسى وتدهن بيتتهادقنك وشواربك وتنط بين
الجدعان وتنبط على شلشولك كيف شلشول العنز السمين فخدت الاربع بيضات وجبت لها
ماطلبته ولقينا فى كرش الجدى شويه فول صحيح خدته ام عفره وفركته بالفراكه حتى بقى
مثل البيسار وقلت للطعام بتوم وزيت حار وصبته عليه حتى بقى مثل طعام المشدوجونى
الشباب والجدعان يغنوا حولى ويخبطوا بالنبابيت ففرقت عليهم ام عفره لقانة طعام
فأكلوا وفرحوا ولعبوا ورقصوا والمردينهم وكان يوم ماعاد يجى مثله فقالوا له اصحابه
زمانك يابو عفره ولى وراح وماتت الناس وجاروا علينا الظالمين (وقيل) طلع رجل فلاح
يورد لاستاذه المال فأنزله فى محل فيه طاقة مفتوحة تشرف على حريم الامير فلما جاء
الليل قال الفلاح فى نفسه ياترى يابو معيكه الاماره لما يختلوا بنسوانهم كيف يفعلوا
ولكن انضر كيف مايفعل استادك مع امراته ولما تروح الكفر احكى لام معيكه تعمل
دالك العمله مثل ماتعمل الاماره وتحضك ام معيكه بدالك العمله ولابد مايرطنوا على
بعضهم البعض بالتركى وانت تنضر طريقة مايعملوا بحريمهم وتبقى تقول للجدعان أنا بقيت
مثل الاماره وتبقى ام معيكه مثل امراة الامير استاد البلد ثم انه صبر الى الليل ودخل الامير
الى منزله فقام الفلاح ونظر الى الطاقة قال فرأيت الامير جالس على سرير من قفص
والاعاج اللى يقولوا عليه الناس وعليه الفرش ياع وجلست زوجته على سرير مثله وصار
الامير يلاطفها ويحاكيها بالكلام اللى مايعرف يقولوا ايه شردم بردم بالتركى ومره
بالعربى الى أن اشتهى منها قضاء الحاجه فخد من جنبه ورده ورماها بها فجت له بحسنها
وجمالها على أحسن حال وأتم سرور وعملوا دالك العمله وبعد هاكل واحد منهم
نام على سريره ثم لما اصبح الصباح أخذ الفلاح خاطر استاذه وتوجه الى بلده فلما طلع
الكفر لاقته زوجته ام معيكه ومعها زلعة ملانه ماء من البحيرة فسلمت عليه وجلست
هى واياه فى منادمة مثل منادمة القرود أو بربرة الهنود الى أن سألته عن المدينة وعلى
استاذ البلد فقال ياام معيكه المدينه مليحه ولاصعب غير الشخاخ فيها الانهم لايشخوا
الافى نقره وهى مبنيه كيف دارنا ولامليح كانى الا امراة استادنا تشن وترن وعليها
خلقان ملاح كيف نوار الفول ونوار ابو النوم أحمر واصفر وعلى راسها قحف مثل قحفى
اللى ألبسه فى ايام العيد اللى شريته ايام الفرح بنص فضه جدد وفى ايديها اساور صفر
الله أعلم انهم من سباط النخل ولابسه قميص احمر مخيط مثل الزكيبه اللى نعبى فيها
الفول الاخضر وفى سيقانها حجل كيف حجل ام دعموم اللى شريته لها بنصين فلوس
جدد ولابسه شابه خضره الله أعلم انها صبغتها ببرسيم وياحسنها وقت دالك العمله اللى
يعملوها الرجال مع النسوان فخاطرى ياام معيكه تعملى لى مثلها حتى يقولوا يقولوا الناس

ومشايخ الكفر بقا أبو معيكه مثل الاماره فقالت له يابو معيكه احكى على اللى شفته من
امراة استادك فقال لها لما رحت المدينه وطلعت للاستاد حطنى فى مطرح فيه طاقه
تطل على الحريم وعلى المطرح اللى ينام فيه الامير فصبرت لما دخل الليل وبقيت اتحسس
كيف الكلب فرأيت الامير استادنا قاعد على خشبه سوده مربطه بشرامبط يبض لها اربع
رجلين كيف عريش المقات اللى نعمله ايام البطيخ فى الغيط وقعدت امراته على خشبة
كيفها مثل جرافة الغيط وبقا يكلمها بكلام الجنادى يقول لها شلضم باعنم تقول له
شقلب مقلب حتى اشتهى منها دالك العمله فحدفها بنواره حمره مثل نوار ابو النوم فقامت
تشن وترن حتى جت الى عنده وعمل فيها العمله فقالت له ام معيكه وحيات شاربك اللى
مثل شارب التيس لاعمل لك مثل عمل الاماره وتنفش على مشايخ الكفر اصبر لما يجى الليل
تبلغ مرادك قال فصبر الفلاح حتى دخل الليل فقال لها اقعدى فى مدود الحماره وانا اقعد
فى مدود البقره قصادك ففعلت وقعدت فى المدود وعليها الشلاتيت والشرامبط وآثار
الجله فيها وفيها الشخاخ أيضا قال فلما خطر للتعيس الناصية قضاء الحاجة بعد أن صار
ينادمها بكلام مثل نبيح الكلاب شباط وعباط وسؤالات عن البقره وعن العجله والتور
والجله وغير ذلك أراد أن يرميها بشئ مثل مافعل الامير فحط يده على المدود فرأى قالب
طوب محروق فخده وحدفها به فوقع فى وسط راسها ففلقها وسال الدم فصرخت بأعلى
صوتها فأقبلوا الجيران والمشايخ ووصل الحاكم الخبر فأقبل هو وطائفته وسأل عن
القضية فأخبروه بها فأخذه وضربه ضربا موجعا وأحضروا للمرأة جرائحيا فقطب
رأسها ومكث يعالجها شهرا كاملا الى أن برئت فانظر الى هذا التعيس النحيس وقلة عقله
الخسيس كيف ظهر من ملاعبته لزوجته الهم والنكد وقيام الغارات فى البلد (واتفق)
ثلاثة أنفار من تحوفة الريف ارادوا الطلوع الى المدينة فساروا حتى قربوا منها فقال
كبيرهم وصاحب الرأى فيهم اعلموا ان مدينة مصر كلها جنادى وعسكر يقطعوا الروس
واحنا فلاحين وان لم نعمل مثلهم ونرطن عليهم بالتركى والا قطعوا روسنا فقالوا له
اصحابه يابو دعموم احنا مانعرف شى بالتركى ولا غيره فقال لهم انا تعلمت التركى زمان من
مدة ماكنت اقعد حدا المشد والنصرانى ركبه بركبه حتى تعلمته منهم فقالوا له اصحابه علمنا
التركى فقال لهم اذا اطلعنا المدينه نروح الحمام اللى يقولوا عليه نعيم الدنيا نستحموا فيه
ونغسل جلودنا ويقولوا ان فيه نقره غويطه يشخوا ويخروا فيها وبعد مانخرج من نعيم
الدنيا نقف ونلتف فى بردنا وتتم امرنا أقول لكم قرداش محمد قولوا اهاه نوار أقول لكم
معاكم شى برمنقار قولوا يوق يوق فيخاف صاحب الحمام ويقول لعقله دول جنادى غرب
يقطعوا الروس ويخلينا نخرج من غير فلوس وتهيبنا الناس ونبقى فى مصر مثل الاماره
ويشيع خبرنا عند الكفر اننا اماره نرطن بالتركى فيخافوا منا مشايخ الكفر ولايبقى لهم علينا
كلام أبدا فقالوا له اصحابه دى شوره صواب يابو دعموم قال فساروا حتى وصلوا مصر

وسألوا عن الحمام فدلوهم عليه فدخلوا وشلحوا الزعابيط ورموا البرد والشلاتيت وصاروا
عريانين مثل ما يفعلوا فى البرك والابيار فقال لهم صاحب الحمام استروا انفسكم فأرادوا
أن ياخدوا بردهم ليستروا بها فرمى لهم صناع الحمام فوط قدم من رجيع الحمام
فربطوها على عوراتهم غصبا عنهم وصارت عوراتهم فى الغالب مكشوفه وايورهم
مدليه ودخلوا الحمام مثل فحول الجاموس او المعز او التيوس حتى بقوا داخل الحمام
وغسلوا ما عليهم من الوسخ والسخام وغطسوا فى المغاطس مثل الثيران والجديان
وخرجوا مع بعضهم البعض وقد تزلزلت منهم الارض وهم فى حالة الاثوار وصور الابقار
حتى لبسوا الزعابيط وتلفعوا بتلك الشلاتيت وسحبوا تلك النبابيت على الاكتاف
وارادوا الخروج بلا خلاف قال فصاح عليهم صاحب الحمام هاتوا الاجره يا عرصات
فالتفت كبيرهم وقال لاصحابه قرداش محمد فقالوا اهاه نوار فقال لهم معا كم شى برمنقار
يعنى جديد فقالوا يوق يوق يعنى ما معناشى فقال لهم صاحب الحمام أى وقت يا تيوس
تعلمتم التركى المعكوس وبقيتم أماره وما هذا التركى الذى يشبه الخرا اقسم بالله
لا يخرج منكم عرص حتى يحط الاجره بزياده قال ثم انه أمر اصحابه بصكهم وضربهم
وأخذ البرد منهم وخرجوا من عنده وتداركوا فى الاجرة وقد اقترضوها من أهالى الكفر
وخلصوا بردهم وتوجهوا الى حال سبيلهم (وطلع رجل منهم) المدينة فصادف الجلاد
ينادى فى الاسواق على رجل يستحق القتل فظن أنه ينادى العونه يا فلاحين فقرّ هاربا
الى الكفر فرأى جماعة من بلده يريدون الذهاب الى المدينة فقال لهم لا تطلعوا المدينه
فانهم ينادوا فيها العونه والسخره فقيل انهم مكثوا ثلاث سنين ما يطلعو مصر خوفا من
العونه والسخره فانظر الى قلة عقولهم وخساسة رأيهم (وطلع رجل منهم) قرية على
شاطئ النيل يوم الجمعة فرأى الناس قاصدين الى صلاة الجمعة فاعتقد أنهم ذاهبون الى
ضيافة أو الى هروبة صنعها لهم امير البلد فذهب الناس الى أن دخلوا المسجد فذهب
معهم وجلس فى بعض الصفوف الى أن أقبل الخطيب وصعد على المنبر قال فصار الفلاح
ينظر اليه وهو مرتاب وخائف ومتحير الى أن فرغ الخطيب واقيمت الصلاة وسمع ضجيجهم
بالتكبير والتهليل فاعتقد أنها هرجة وقعت بينهم قال فصاح الفلاح يا ال سعد يا ال حرام
الله وكبر وسحب النبوت وخرج هاربا وهو يقول خدولك القوم يابو كتكوت
ولم يزل فى خوف وكرب حتى وصل الى الكفر فلاقاه اصحابه وسلموا عليه فرأوا احواله
متغيرة فقالوا له ايش اصابك ودهاك يابو كتكوت فقال لهم ياما قاسيت فى دى
السفره كانوا القوم مرادهم ياخدونى ولولا انى سحبت النبوت وخرجت هارب
والا كانوا اقتلونى فقالوا له ايش الخبر يابو كتكوت فقال لهم وقعت هرجه كبيره ولا سلمنى
الا الله وبركة الشيخ أبو طبل فقالوا له احكى لنا على ما جرى لك فقال لهم دخلت بلد
على البحر الكبير فرأيت ناس كتير رايحين زى قطايع الغنم فقلت لابد ما هم رايحين

لضيافه

لضيافه أو لهروبه فرحت معاهم حتى دخلت دار كبيره فيها حجاره طوال منقامة
زى الدعايم بنوع العريشه اللى نعملها فى الغيط وعليها قناطر مبنيه زى قناطر الصابون
وفيها حبال مدليه زى حبال التيران فى كل قنطره حبل وفى جنب حيط من حيطان
الدار خشبه عاليه لها سلالم زى سلالم الغرفه اللى نعملها على البيوت من الكرس
والطين ونلطخها بالوحل من اولها الا آخرها والخشبه دى لها راس كبيره زى الناطور
اللى نعمله فى المقات وقصادها عريشة صومعه زى العريشه اللى نحرص عليها الدره
والحمص فى الغيط ولها سلالم فطلع فوقها جماعه وقعدوا فيها ساعه وقام واحد منهم
وحط ايده فى ودنه وقال كلام ما حد يعرفه الا واحد خرج من حاصل فى جنب الدار عليه
عمامه كبيره الله أعلم انه قاضى ومعاه سيف ساحبه وشق من بين القوم بقلب قوى
ووجه كاشر زى وجه تيس الوسيه وما ضال طالع على السلالم سلم سلم حتى قعد على
السلم الاخرانى وهو آخر السلالم وبقت القبه فوق راسه ونظر للناس اللى تحته
وبهت فيهم وكشر على انيابه وهو ساكت غضبان كل من شاف شواربه شخ على
روحه وحيات لحاكم ولا عمرى شفت اقوى قلب منه ولا أشد حيل ولولا انه راس صابيه
ما كان عمل دى العمل وطلع وحده وسحب السيف على القوم وبعدها واحد من الجماعه
اللى على العريشه قصاده قام بقلب قوى وصار يشتمه ويسبه ويقول له كلام كتير
فانحمق لاخر منه وشتمه ولعنه ووقعوا فى بعضهم البعض شتم وسب ولعن وبعدها نزل
الراجل اللى على الخشبه وهو ساحب السيف يعارك فى الناس اللى تحته قاعدين
فلما شافوه نازل لهم بالسيف قاموا على حيلهم وصرخوا وقالوا الله وكبر وقامت
العيطه وكنت اسحب نبوتى وخرجت هارب وما سلمنى الا الله وبركة الشيخ ابو طبل
فقالوا له أهل الكفر والله يابو كتكوت لولا عمرك طويل ما سلمت من القوم وكانوا
قتلوك وأنت تعرف ان بلاد البحر كلها قوم والقتل عندهم من خطوه فقال لهم يا شيوخ
الكفر ما عدت اروح بلاد البحر طول عمرى فانظر الى قلة عقل هذا الفلاح ومن
جهله وصقاعة ذقنه لا يدري الصلاة ولا الجامع من قيام الهرجه (واتفق) لثلاث
نسوة من عواهر مصر خرجن يتفرجن فى أزقة المدينة فلقين رجلا من فحوف الريف
وهو فى حالة رذيلة وعلى راسه قفص ملآن من الفراخ يريد أن يبيعها ويسد بثمنها مال
السلطان فقالت احداهن للاخرى ما تقولى فى اللى ياخد الفراخ من الفلاح ده فقالت
الثانيه وأنا اخد ثيابه وقالت الثالثة كل ده ما هو شطاره الشطاره فى اللى تبيعه بيع
العبيد أو المقداف أو الجرافه (قال ثم ان الاولى) التي التزمت بأخذ فراخه أقبلت
اليه ورغبته بزيادة فى الثمن قال فمضى معها الى أن أقبلت على درب من دروب مصر
وبيت نافذ له باب ثان من جهة اخرى وقالت له اقعد هنا على الباب ده فانه باب بيتى واصبر
حتى اجى لك بالفلوس ثم أخذت القفص بالفراخ ومضت الى حال سبيلها من الباب الثانى

ولم يزل الفلاح جالسا على الباب ولم يأته أحد ورأى الناس داخلين خارجين من ذلك
الباب فتحير فى نفسه وقال لا بد ان دى دار كبيره وسأل عن المرأة التى أخذت الفراخ
فقال له الناس ياسقيع الدقن وقليل العقل البيت ده نافذ وكم ناس رجاله ونسوان داخلين
خارجين قال فتمشى الفلاح فرأى دربا كبيرا نافذا من الباب الثانى فاحتار وصاح ولطم على
وجهه وأقام الصراخ فبينما هو فى هذه الحالة (اذ أقبلت عليه المرأة الثانية) وقالت له
ايش صابك ودهاك يا مسكين وانت راجل غريب وعليك مال السلطان وضحكت عليك
دى العاهره وخدت منك الفراخ وتركتك فى دى الحاله فقال لها الفلاح وحياة
عيونك يا مليحه ما معى غيرهم فقالت له امش معاى الى بيتنا وأنا أعطيك شى من الدراهم
صدقة عنى فقال لها الفلاح الله يجزيكى خير وأنا الاخر لما اروح الكفر ازورك
بحزمة حلاح وحزمة بصل وشويه قرله تبقى صاحبتى وان شا الله اجيب لك كمان عشرين
قرص جله قال فأخذته وسارت الى أن أقبلت الى بيت كبير عالى البنيان فسألت
عن صاحبه فقالوا لها هذا بيت الامير فلان وقد توجه هو وطائفته الى بعض المنتزهات
قال فدخلت البيت فلم تر فيه أحدا سوى رجل كبير بواب فدخل الفلاح معها الى
وسط البيت فرأت فيه بئرا من الماء تملأ منه الحريم قال فوقفت ونظرت فى البئر ثم انها
ولولت وصرخت وبكت بكاء شديدا فقال لها الفلاح بتبكى ليه يا مليحه فقالت له يا فلاح
كعبك مشوم وقعت اساورى الدهب فى البير فقال لها ما تخافيش أنا أنزل وطلعهم
لكى من البير فقالت له تعرف تغطس فى الما فقال لها دى صنعتى وطول عمرى
فى الهم والغم وخصادى السنه اللى تجرى فيها الضعيف والقوى ثم قال لها اربطينى
فى حبل البكره ودلينى فى البير ثم انه قلع ثيابه التى كانت عليه ودلته فى البئر الى
أن وصل الى الماء فأرخت الحبل عليه وأخذت ثيابه وتوجهت الى حال سبيلها
(هذا ما كان منها) وأما ما كان من الفلاح فانه لم يزل يغوص فى الماء ويفتش فى قعر
البئر حتى كل ومل واسود جلده من برد الماء وكانت ايام شتاء ولم ير شيأ قال فلما
اشتد به الامر صار يصيح وينادى المرأة فلم يجبه أحد فبينما هو فى هذه الحالة اذ أقبل
الامير وطائفته فسمعوا الفلاح يصيح فى البئر وينادى طلعينى يا صبيه طلعينى يا مليحه
دا ما هوش مليح منك وداعيب عليكى وانا مت من السقيع والبرد فقال له الخدم
أنت انسى ام جنى فقال لهم أنا ابو زعبل بن جنيجل بن كاب المش فقالوا دا عفريت
لا كلام فقال لهم والله يا وجوه الخير ما نا عفريت أنا راجل فلاح وحكى لهم قصته قال
فدلوا له الحبل فتعلق فيه فلما رآه الخدم وعلموا أنه انسى قالوا دا حرامى وقع فى البير
فنزلوا عليه بالضرب والصك وطردوه وراح يجرى وهو عريان بردان جيعان سقعان
وهو لا يعرف أين يذهب (قال فأقبلت عليه المرأة الثالثة) وهو فى هذه الحالة وقد
صارت الاولاد تضربه ويقولون مجنون فوضعت يدها على ظهره ومسحت وجهه بمنديل

كان معها وسترته بفوطة وقالت له امرك الى الله يا مسكين يا حزين ضحكت عليك نسوان
مصر العواهر وخلوك فى دى الحاله وانت راجل غريب وعليك مال السلطان قال فبكى
الفلاح وشكى وقال لها يا مليحه وحياة شلشولك خدوا فراخى وتيابى وحزامى الليف
وشدى ومركوبى وماعدت اصدق كلام نسوان ابدا فقالت له لا تظن انى من
عواهر مصر أنا عمرى ما خرجت من بيتى غير النهارده ولما رأيتك فى دى الحاله شفقت
عليك ومرادى أعمل معك جميل وآخدك الى بيتى ولبسك لبس مليح وخليك شلبى
ظريف واعملك مملوك وحط لك خنجر فى حزامك وعلمك التركى وتبقى تقول شندى بندى
على فلاص جعاص فقال لها الفلاح أنا فى عرضك يا مليحه تعملينى جندى وتعلمينى
التركى وأنا على الحلال من ام شعير كل من عاد يقول لى كانى مانى فى زمانى قطعت
راسه ولو كان ابو عوكل شيخ الكفر فقالت له سر بنا يا فلاح على بركة الله تعالى قال
فسار معها الى أن أقبلت الى منزلها فأدخلته فيه ووضعت بين يديه الطعام فأكل
وشرب وارتاح فى نفسه ثم انها أتته بماء ساخن وغسلته بالليف والصابون وألبسته
قميص وزبون وشخشير جوخ وقاووق قطيفة وشاش قصب وحزمته بحياصة وخنجر
فى حزامه وحلقت لحيته وشواربه وجعلته مملوك حليق وأعطته بابوج جديد ومحرمة
فى حزامه وقالت له اذا كلمك حد فلا ترد عليه جواب بس هز راسك فاذا لح عليك
حد فى الكلام بالحماقه وشدد عليك قول له كرته هريف بولميه ولا تزيد عليه غير
ذلك فان الكلمه دى أصل التركى اذا عرفتها ما يمضى عليك شهر زمن الا وانت صنجق
ويبقى لك طبل وزمر فقال لها الفلاح انا فى جيرتك يا مليحه تخلينى ابقى صنجق ويصير لى
مطوه فى الكفر وكل من قال لى كل خره أقطع راسه وابقى ان شاء الله ازورك بربع
كشك وعشر طور كعك من اللى تعمله ام شعير واعمل لك قاعه واكبسها لك بالوحل والحله
وافرشها بالتبن والقصل وتبقى تنامى فيها ويقوا يقولوا الجدعان ابو شعير طلع المدينه
فلاح ورجع جندى يقول شندى بندى ويقطع الروس قال ثم انها أخذته ونزلت من
منزلها تمشى وهو يمشى خلفها الى أن أقبلت على سوق خان الخليلى وجلست على دكان
من الدكاكين وصاحب الدكان تاجر من عمد التجار وعنده انواع الاقمشة من
الخز والديباج والاطلس والشاشات وغير ذلك فقالت له اريد منك كذا وكذا مما يساوى
ألف دينار فاحضر لها ما قالت عليه وربطته فى بقجة كانت معها وقالت له يا سيدى يكون
المملوك ده عندك رهن حتى أروح الى بيت الامير وأعرض على حريمه القماش واجيب
لك الدراهم فقال لها التاجر توجهى على بركة الله تعالى قال فأخذت الحوايج وتركت
الفلاح عنده جالس (هذا ما كان منها) وأما ما كان من التاجر فانه مضى نصف النهار
ولم تأته المرأة فتضايق والتفت الى الفلاح وهو فى هذه الحالة فقال له ستك بطت علينا فهز
راسه حكم ما أوصته فكرر عليه التاجر الكلام فهز راسه اول وثانى ولم يتكلم فتضايق

التاجر من عدم الكلام وقال لجيرانه من التجار ماهذه البلية فى هذا المملوك كلما اكلمه يهز راسه كأنه مايعرف الا بالتركى قال فبينما التاجر على هذه الحالة اذ أقبل عليه رجل عسكرى فقال له التاجر بالله عليك ياسيدى تكلم لناهذا المملوك بالتركى وعرّفنا عن حاله قال فكلمه الجندى بالتركى فهز راسه فاغتاظ منه وسلّ عليه السيف وأراد أن يضربه فلمارآه يريد ذلك واشتدّ عليه الامر صرخ الفلاح فقال له كرته هريف بولئيه قال فلماسمع منه ذلك نزل عليه بالضرب فصار الفلاح يتكلم ويصيح بكلام الفلاحين ويقول أنا فى جيرتك يابوزعبل فضحك عليه الجندى وبقية التجار واستخبروه فحكى لهم على القضية فعرفوا انهاحيلة عملت على التاجر والفلاح قال فقام التاجر وعرّاه وأخذ جميع ماعليه واراد بيعه للمقداف فتشفع له الحاضرون فتركه ومضى الى حال سبيله عريان محلوق اللحية وهو فى اتعس حال حتى وصل الكفر ومكث مدّة حتى طلعت لحيته ولم يطلع المدينة بقية عمره وقيل ان التاجر باعه للمقداف بعشرين دينارا ومكث سنة وخلص روحه بالهروب ليلا انتهى (وطلع رجل من الارياف) الى المدينة فحصره البول والغائط فسأل عن عطفة يخرا فيها فدلوه على الازهر فدخل يريد بيت الخلاء وقد دخل وقت الصلاة فرأى الناس مزدحمين على بيوت الاخلية فوقف على باب كنيف يرفع رجلا ويضع أخرى من شدّة ماهو فيه من الحصر فطال عليه الوقوف واشتدّ به الامر فهجم على الرجل الذى فى الكنيف وقبض على أطواقه ورفع ثيابه وجلس بجانبه وقال له دى نقره غويطه طويله أخرا أنا وايالك فيها كل واحد من جنب ولم يزل قابضا على الرجل حتى قضى حاجته على عجل وقام يجرى من غير استنجاء والناس يضحكون عليه حتى غاب عن اعينهم (وطلع رجل اخر) من الارياف الى المدينة فأدركه الغائط فتحير ولم يعرف له عطفة يخرا فيها فلما اشتدّ به الامر شكى الى ابن مصر حرسها الله تعالى وقال له تضايقت من البول والخره كلما اردت أن أشخ قدام دكان يمنعونى الناس ويشتمونى فقال له يافلاح المدينه مايخرا فيها احد الا بفلوس ان كان معك فلوس دليتك على عطفه أونقره تخرا فيها والا تخرا على روحك فقال له وحياة دقنك مامعايا الا نصين فلوس جدد كنت بعت بهم بيض خدهم ودلنى على محل الخره وأبقى ازورك بعشرين بيضه وجانب كبر قال فأخذ منه النصفين ودخل به الى جامع وأتى به الى بيوت الاخلية وأوقفه على بيت الخلاء وقال له اذا خرج الرجل ادخل أنت تجد شق طويل ونقره غويطه شخ واخرا فيها قال فوقف الفلاح على باب الكنيف فسمع الرجل من داخله يخرا ويقول قطن قطن قطن ويكرّر هذه الكلمة قال فسمع الفلاح مقالته فظنّ فى نفسه أن الشخص فى مصر لايسهل عليه خروج الخارج الا ان قال هذه الكلمة وصار يكرّرها الرجل مع الحزق الشديد فأكدت مع الفلاح وكان السبب فى تكرير هذه الكلمة التى يكرّرها الرجل فى بيت الخلاء هو أن زوجته

لما خرج من عندها قالت له اشترى لنا قطن وكان كثير النسيان فصار يكرّر اسم القطن حتى لا ينساه ودخل بيت الخلاء وهو يكرّر اسمه حتى وقف عليه الفلاح وسمع كلامه قال فلما قضى حاجته وخرج من الكنيف دخل الفلاح وجلس على كرسى بيت الخلاء وصار يقول قطن قطن مثل الرجل فبينما هو فى هذه الحالة اذا أقبل رجل عسكرى وطرق الباب على الفلاح فقال الفلاح قطن قطن فتضايق الجندى وتحنح له اول وثانى وثالث والفلاح يقول أنا ما بقول قطن قطن فهجم عليه وصار يضربه وهو يصيح والجندى يقول له يانجس الفلاحين ايش قطن قطن وأنت فى بيت الخلاء ولم يزل يضربه حتى أقبل عليه الناس وخلصوه منه ولم يزل يجرى حتى خرج من المدينة ودخل بلده فلاقاه أهل البلد وسلموا عليه وقالوا له كيف حال المدينه يابودعموم فقال لهم المدينه مليحه الا انك تاكل فيها بجديد وتخرى فيها بنصين وان قلت قطن قطنوا عينيك من الضرب (وطلع آخر المدينة) فصادف رجلا من غلمان استاذه فعزمه الى منزله واحضر له سمكا صغيرا مقليا يسميه أهل مصر بسارية له لذة فى الطعم قال فصار الفلاح يسف منه ولم يعرف ماهو ثم قال فى نفسه داشىء عمرلى ما أكلته ولا رأيته ولابد يابوقريطم اظن انها الكنافه اللى يقولوا عليها تطلع فى المدينه وياكلها الاماره وغدا تطلع الكفر ويلاقوك المشايخ والجدعان ويسلموا عليك وتقعد انت واياهم على كوم ابوعنطوز تنفش الصوف وتبقى زى الكلاب الكواشر وتبقى بينهم تحمص زى تيس الوسيه ويقولوا لك يابوقريطم قل لنا ما أكلت فى المدينة من الطعام اللى ياكلوه الاماره تقول لهم أكلت الكنافه فما يصدقوقولك ويقولوا تكدب ياعرص فالصواب انك تاخذ لهم عضمتين من عضامها وتحطهم فى تحذلك ولما يكابروك تقلع بالعضم عينهم قال ثم انه حط فى تخفه شيأ يسيرا حتى طلع على الكفر فأقبل اليه مشايخ الكفر زى الكلاب السعرانه وهم دندوف وشضيبة وزعيبر وبعيبر وتر وفر وقنافد ولقالق وزرازه وبيالك الجماره وسلموا عليه وقالوا له يابوقريطم اطلع بنا الكوم وقل لنا على المدينه وما أكلت فيها فقال لهم المدينه مليحه قوى وفيها جمادى كتير قوى وفيها الخيار الاصفر خدت منه بجديد وخدت بجديد مقلى وخدت من اللى يقولوا عليه الحصر كرشه اللى يبيعوها على الخشبه العاليه العريضة زى الجرافه وأكلت وتنعمت واتبرقت حتى خدمت كمان وحياة لحاكم بجديد ترمس مملح وأكلت فول حار فقالوا له يابوقريطم كسرت عليك مال السلطان وعمايلك دى ماتخلى رزق وانت عمرك تصرف ولا تحسب حساب الزمان فقال لهم الرزق على الله ياشيوخ الكفر وأقول لكم كمانى اكلت الكنافه التى بتاكلها الاماره قال فلما سمعوا قاموا على حيلهم وكذبوه فقلع تخفه من على راسه واوراهم عضم السمك فلما رأوه صدقوه وصدقوا كلامه وفرحوا وانشرحوا ورقصوا وغنوا جربى وزغرطت النسوان وقالوا له يابوقريطم بقيت زى الاماره وغدا

استاد الكفر يشاش عليك ويقول بقى ابو قريطم سعيد ويا كل ماتا كل الاماره ومتى ما بلغه الخبر شيعك المقداف اوالجرافه وأنت تكتم السر ولا تقول لا القريب ولا الغريب أكات الكنافه أبدا فقال لهم ياشيوخ الكفر أنتم تكتموا الخبر وتحلفوا الى على الشيخ ابو طبل فحلفوا كلهم ان لا احد يبيح بذى القضيه فانظر الى قلة عقولهم وشدة جهلهم (وطلع رجل منهم المدينة) يبيع بيض فاشتراه منه رجل جندى وقال له امضى معى الى المنزل خذ الفلوس فمضى معه فحصر الجندى البول فرأى فى طريقه كنيف فدخله ليقضى حاجته فوقف الفلاح ينتظره فابطأ عليه فدق عليه باب الكنيف فتنحنح الجندى فصاح الفلاح وقال اعطينى حقى ياجندى ما يحل لك من الله تاخذ بيضى وتخلينى واقف على باب بيتك كلما اكلمك تتنحنح واقام الفلاح الغارات والصياح فأقبل اليه الناس فخرج الجندى وهو قابض على سراويله ومسك أطواق الفلاح وصار يضربه بالمحرمة التى فيها البيض حتى كسره على رأسه وسال على لحيته وشواربه والناس يضحكون عليه ثم خلصوه وفرّ هاربا (وطلع آخر المدينة) يبيع تبن فاشتراه منه رجل وأعطاه الدراهم فأراد أن يأتى الى رجل صيرفى لينقدها له فسأل عن دكانه فدلوه عليه فأتى اليه فلم يجده فسأل عنه فقال له ولد صغير انه ذهب الى قضاء الحاجة فقال للولد بالله دلنى عليه فأخذ الولد الفلاح وتوجه به حتى اوقفه على بيت الخلاء والصيرفى من داخله يقضى حاجته قال فهجم الفلاح على الصيرفى وفى يده الدراهم وقال له خذ دى الفلوس وبين لى منها المقصوص من النحاس لانى راجل فلاح وعلىّ مال السلطان ودلونى على بيتك ده قال فاندهش الصيرفى وقام وهو قابض على سراويله يضرب الفلاح والناس يضحكون عليه وصار لهم هيجة وضجة عظيمة فانظر الى عدم ذوق الفلاح وجهله وكونه لا يعرف بيت الخلاء من غيره (ومما اتفق) أن قيم الشام فى عدم الذوق سافر الى مصر ليزور قيمها فى عدم الذوق ويفتخر عليه بعلو به حكم ما تلعب اولاد الفن قال فسافر حتى وصل الى مصر واجتمع بقيمها فى عدم الذوق فسلم عليه فقال له قيم مصر ما تريد ياقيم الشام قال اريد أن العب معك فى عدم الذوق وكل من كان اعدم ذوق من صاحبه وشهدت له الناس بذلك يكون قيم مصر والشام فقال له حبا وكرامه فى غداة غد ان شاء الله تعالى نجمع اصحابنا عديمى الذوق ونلعب انا وانت فى عدم الذوق وتبين شطارتك قال فلما اصبح الصباح جمع قيم مصر طائفته فى عدم الذوق وحضر قيم الشام وقالوا له العب واجتهد فى عدم الذوق قال فذهب قيم الشام واحتطب حزمة حطب كلها شوك وسنط وحملها على اكتافه وشق بها بين الناس فى الزحام فصار الشوك والسنط يشتبك فى ثياب الناس وهم يستعدموا ذوقه ويسبوه ويلعنوه الى أن تم ملعوبه وأتى الى قيم مصر وطائفته وهم ينظرون ما فعل فقال له قيم مصر بقاشى عندك من عدم الذوق غير دا تفعله قال لا فقال له دى ماهى شطاره لان الناس استعدموا ذوقك

لكونك اذيتهم وشوشت عليهم وأنا أفعل أعجب من ذم وهو انى اخلى الناس يستعدموا ذوقى بالورد والنسرين والريحان وأشباهها فقال قيم الشام هذا شئ له ريحه طيبه وزى ما تعمل فقال له بكره تشوف ما أعمل فلما اصبح الصباح قال قيم مصر لقيم الشام تعالى معى وانظر ما اخبرتك عنه البارحه قال فمضوا جميعا حتى أقبلوا على بياع الزهور فأخذ قيم مصر منه شيأ يسيرا من الورد والنسرين والريحان ومضى هو وقيم الشام والطائفة حتى أقبلوا على ميضأة المسجد والناس فى ازدحام وقت الصلاة فى بيوت الاخلية فصار قيم مصر يدخل على الرجل وهو جالس فى بيت الخلاء وبيده الورد والنسرين والريحان ويقول له خذ ياسيدى شم الورد وغيره يبقى نهارك مبارك واعطينى ما تيسر فيتضايق منه الرجل ويسبه ويلعنه ويستعدم ذوقه ويقول له ما اعدم ذوقك انظر أنا فى خرا والا فى نياز وصار يدخل على هذا وعلى هذا والناس تسبه وتلعنه بهذه الفعلة قال فعند ذلك أقر على نفسه قيم الشام أنه عديم الذوق تحت حكم قيم مصر وتحت امره وأخذ خاطره وتوجه الى بلاده (ونظير ذلك) ما اتفق أن ثقيل مصر قصد زيارة ثقيل الشام والمسامرة معه واللعب والانبساط فتوجه اليه حتى بلغ دمشق واجتمع بثقيل الشام وسلم عليه فأخذه الى منزله ووضع بين يديه المأكل والمشرب ثم انه سأله عن سبب مجيئه فسكت ولم يتكلم مدة ثلاثة أيام حتى أكل جميع ما كان عند ثقيل الشام مما جمعه من الثقالة والرذالة وبعد الثلاثة ايام قال له يا اخى اخبرك عما حصل لى فى الطريق وهو أنى سافرت مع القافلة فعدمنا الماء فى بعض المراحل فتوجهت نحو جبل بالقرب منا فرأيت فى جانبه بئرا مهجورة وفيها ماء كثير فقلعت ثيابى ونزلت فيها ولم أزل نازل نازل وصار يكرر هذه الكلمة على ثقيل الشام وهو نازل فى الاكل والشرب مدة ثلاثين يوما فقال له ثقيل الشام ياهذا ما بقى عندى شئ تأكله وآخر نزولك يا أخى ما فعلت فى البئر فقال له فلما انتهيت الى قاع البئر وجدت فيه حجر طاحونة فوضعته على كتفى ولم أزل طالع طالع وصار يكررها فقال له ثقيل الشام أمسك ما عليك أنت مكثت مدة ثلاثين يوما وأنت نازل فى البئر من غير شئ فكيف طلوعك وأنت حامل حجر طاحونة أشهد لك أنك قيم الثقلاء فى مصر والشام وأنا من تحت يدك انصرف عنى قال فأخذ خاطره وانصرف بعد أن كتب له محضر بذلك أنه قيم مصر والشام فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (واعلم) أن اهل الثقالة على انواع فمنهم من يكون ثقيل الذات خفيف الصفات وبالعكس ومنهم من يكون ثقيل الذات والصفات قال الشاعر

وثقيل قال صفنى ▪ قلت ايش فيك أصف
كل ما فيك ثقيل ▪ حل عنى وانصرف

وقال آخر

وثقيل تبسما * اصبح الكون مظلما

حط فى الشرق رجله * مالت الارض والسما

فمن كان فيه هذه الثقالة وحوى هذه الرذالة ينبغى الرحلة عنه والفرار منه قال الشاعر

لأرحل عن بلادك ألف عام * مسيرة كل عام ألف ميل
ولو كانت بلادك ألف مصر * ويروى كل مصر ألف نيل
تكدرت الخواطر منك حتى * قنعنا من ديارك بالرحيل
وأنشد فى فراقك بيت شعر * تلقاه فضيل عن فضيل
اذا حل الثقيل بأرض قوم * فما للساكنين سوى الرحيل

(واشتكى) بعض الفلاحين رجلا الى القاضى وادّعى عليه أنه نزل غيطه بغير اذنه وحش منه برسيما لدابته فأحضر القاضى الرجل المدّعى عليه وسأله فقال نعم نزلت غيطه الا أنه ضربنى وشوّش علىّ فقال القاضى للفلاح واذا نزل غيطك تضربه فقال الفلاح انا بيلك يا قاضى تور وانت اذا نزلت غيطى يا هل ترى أضربك اكسر قرنك ولا اخليك تطلع سالم والا ترعى غيطى فقال القاضى اخرج قبح الله ذاتك ما اجهلك وما اقبح هذا المثل الذى تشبهنى به ثم انه طرده ولم يسمع له كلاما (ويقرب من هذا المعنى) أن رجلا فلاحا دخل على الامير جار بن بقر وأنشد يقول

يا ابن بقر ما انت الا تور * والناس حداك عجاجيل
لما تعمل بقرونك هاش * يولوا الكل جفافيل

ومعنى هذا الكلام أنت أيها الامير فى هيبتك وجلالتك وعظم قدرك مثل الثور العظيم المهاب والناس حولك مثل العجاجيل أى مثل العجول الصغار فاذا التفت اليهم ولو من هيبتك مثل ما أن الثور اذا التفت بقرونه وهاش فى العجول ولت من بين يديه فأنشد هذا الفلاح على حسب ما لاءم حاله وناسب جهله وهباله أقول وعجاجيل على وزن هبابيل كما هو فى القاموس الازرق والناموس الابلق واستعمالها فى هذا المعنى كما قال بعض جهلة الريف مواليا

رأيت ام زغابه فى المعازيل * تطحن وتعجن وتغزل بالمغازيل
وحولها شفت سربه من عجاجيل * وهم ينطوا وهى تلعب حناجيل

والعجاجيل جمع عجل كما أن الحناجيل جمع حنجول على وزن هبول وهو مشتق من الحنجل وهى لغة ريفية فانهم يقولون فلان بيتحنجل أى يجرى جريا خفيفا وينط نطا عنيفا ومعنى هذا الكلام انى رأيت محبوبتى هذه وهى ام زغابة فى معزل من المعازل تتعاطى فيه الطحن والعجن وتغزل فيه أيضا وحولها العجول يلعبوا وينطوا وهى الاخرى تتحنجل بينهم وتلاعبهم فمدح هذا الفلاح مناسب لحاله ومقصور عليه وشبه الشئ منجذب اليه (وطلع رجل منهم المدينة) لقضاء حاجة من استاذه فلما قضاها ورجع الى بلده لاقاه اصحابه وسلموا عليه فقالوا له كيف حال

المدينة فقال لهم المدينه مليحه فقالوا له يا ابو عوكل اشبرقت فيها فقال لهم اشبرقت شبرقه مليحه والزلابيه اللى يقولوا عليها الحضر خدت منها بجديدين وسمعت واحد ينادى فى المدينه ويقول حلو وبارد يا تين فخدت منه عشرين جمرة باط بجديد وحطيتهم فى مترد وعفصتهم بيدى وشربت عليهم جرة موية من البحر فقالوا له هنيالك يا ابو عوكل لكن تضيع وتمزق ولا تخلى فلوس واحنا خايفين ينكسر عليك مال السلطان فقال لهم يا وجوه الخير الدنيا زايله يا ما ضيعنا وصرفنا فضاضى وجدايد (وقال رجل فلاح) لصديق له يا فلان عملت السنة كعك فى العيد فقال له عملت ربعين بالكيل الكبير فقال له حطيت فيهم ايدام كتير فقال له حطيت بجديدين فقال له افقرت نفسك وكسرت عليك مال السلطان ثم قال له فهل بقى شئ عندك منهم قال بقى معى واحدة أنخس بها الحمارة من كفر دندبط الى كفر ربيط (وأرسل بعض الامراء) غلاما له فلاحا بنصف فضة وقال له اشترى لنا به كعك بسمسم وهات عليه زعتر نفطر به فأخذ النصف فضه واشترى باربعة جدد كعك واربعة جدد زعتر من غير دق ووضع الجميع بين يدى الامير فلما رأوه الحاضرين ضحكوا عليه فاغتاظ الامير وطرده وتوجه الى بلاده (وارسل بعض الامراء أيضا) غلاما له فلاحا وقال له خد دى الدراهم واشترى لنا دبه (يعنى بطة جلد يوضع فيها السمن أو العسل) فتوجه الغلام الى الرميله وسأل عن بياع الدبب فدلوه على القرداتى فأتاه ورآه يلعب بالقرد والدبه والكلب فصبر عليه حتى فرغ من لعبه فتقدم اليه وقال له مرادى نشترى للامير دبه مليحه فقال له القرداتى عندى واحده مليحه روح بنا نفرج عليها الامير قال فمضى الغلام هو والقرداتى ومعهما القرد والكلب والدبه حتى دخلوا بيت الامير الذى ارسل هذا الغلام وكان فى ذلك الوقت الامير حاضرا هناك وعنده جماعة من الاكابر جالسون فلما رآهم القرداتى قام يده فى الطار وسحب القرد والدبه والكلب يرقصهم ويلعبهم فقال له الامير ايش ده فقال له القرداتى ان خدامك ده جانى واخبرنى ان مرادك تشترى دبه فجيتك بها وبالقرد والكلب تنضر لعبهم وتشترى ما تريد قال فضحكوا الاماره فأمر الامير بضرب الغلام وحبسه ثم ان الاكابر الذين كانوا جالسين عنده تشفعوا فيه فأطلقه وطرده من عنده فتوجه الى بلاده وأحسن الامير للقرداتى وأمره بالانصراف فانصرف (ورأيت) رجلا فلاحا يتكلم مع صديق له ويقول له يا فلان انت تعرف تقرا قال له ايوه فقال له ايش هجا برتقان فقال له به ره به قاف واو فقال له ايش عرفك ان فيها واو فقال دلتنى عليها النقطه اللى فوق الواو فقال له ان عشت تبقى فصيح لاخوالك (وقال رجل فلاح لآخر) اسمع ما قالوا العشاق فقال له ما قالوا يا ابو دعموم فقال شعر مفعص لا له اول ولا آخر

لقد اقول جنيشن خلوت به أنت * منزلنا يا طالعة القمروشن

فقال له دا كلام مون فقال له دا كلام هارين الرشاد اللى وقع فى الجب لقفه التمساح

نزل عليه الوحل فى جامع الطيلون اللى النار بردو سلام فقال له يانعم يانعم كذلك عيسى ابن ابو طالوب جرى له زى ماجرى (وصلى رجل فلاح) فلما نوى وقرأ الفاتحة حط يده على راسه وقال آه ياراسى فقال له رجل آخر عارف بطلت صلاتك فقال له أنا ماباشكى لك أنا باشكى لربى وجع راسى ثم انه ركع وصلى وأتم صلاته ولم يبال بالكلام ولا اعتبر بقول هذا العارف (وصلى رجل) اخر من الفلاحين فأحرم بالصلاة وقال يارب خلى لنا بهايمنا وكلابنا وقططنا وحميرنا وطلع لنا زرعنا وخلى لى ولدى عنطوز فقال له رجل عارف بطلت صلاتك فقال له الفلاح أنا سمعت هذا الكلام من ابويه وجدتى قبل موتهم (وصلى آخر) فلما ركع بان ايره لقصر ثوبه وانكشفت عورته فقبض عليه رجل آخر من خلفه فصرخ الفلاح بقوله اطلقنى فضحك وأطلقه ثم انه أتم صلاته على هذه الحالة ولم يعرف الصحة من الفساد (وصلى آخر) فلما جلس للتشهد الاخير جاء ولده وقال يا ابويه البقره روحت من الغيط فقال وهو متلبس بالصلاة روح وخد شعير يحلبها فى المحلاب ثم سلم بعد ذلك من الصلاة (وصلى رجل آخر) فلما جلس للتشهد جاء ولده وركب على أكتافه ومسكه على قفاه وأمسك لحيته بيده وفيها الوحل والجلة فقال له ياولدى انزل عنى حتى أتم صلاتى ثم انه تشهد وأتم صلاته فقال له رجل عارف صلاتك باطلة فقال له الفلاح سمعت ابويه وجدتى يقول حديث عن أم عازبه جدتنا القديمه من لا يقع دقنه ماربى ابنه وأولاده الصغار مثل أولاد المعزه وأبوهم كيف التيس ينطوا عليه فقال له الرجل قبح الله الابعد وجدته وأمثاله ثم تركه ومضى (وصلى رجل منهم) فلما كبر رفع يديه وقال والتين والزيتون والنارنج والليمون وقبر معيكه المجنون جيتك يارب بلحيتى وجلتى وقفاى ومركوبى لاتردنى يارب خايب لامن رحمتك ولا من رجالك الله وكبر وركع وصلى وأتم الصلاة الفشروية (وصلى آخر) فلما قرأ الفاتحة وبلغ قوله تعالى اهدنا الصراط المستقيم أبدل النون ميما وقال اهدموا الصراط المستقيم فقال له رجل عارف بطل وخلى الصراط بلا هدم قاتل الله الابعد (وصلى فقيه ريف بجماعة) فلما قرأ الفاتحة وأتى الى آخرها قال ولا الضالون فقال رجل من خلفه آمون فالتفت اليه الامام وقال له لحنت فقال له بل أنت كفرت (وحكى) أن رجلا من جهلة العرب صلى بآخر مثله فقال الامام هذا اللفظ شنتبر كيف بتبر جماعة راكبين فيل جنتم طيرا ابابيل خلتهم مثل القطير ثم ركع وركع الآخر وأتما صلاتهما التى لافيش ولا عليش (وصلى آخر من الفلاحين) فلما سجد لدغته عقرب فضرط من شدة اللدغة ثم رفع رأسه بسرعة وقال يارب أنت تعلم انى ماضرطت بخاطرى الاغصب عنى سامحنى يارب ثم انه تشهد وسلم (وصلى آخر) فلما سجد رأى تحت جبهته انخفاضا فأخذ قرص جلة ووضعه تحت جبهته وأتم صلاته عليه (وصلت امرأة من نساء

الارياف) فلما تلبست بالصلاة جاء كلب وأخذ من جانبها رغيفا فأمسكته وقبضت على أذنه وشتمته ونهرته وخلصت الرغيف من فمه وأتمت صلاتها (وكان بعض الاولاد) يقرأ فى الكتاب فجاءت امه واشتكته للمؤدب وقالت له ياسيدنا الولد ده يئذينى ويشوش على وأنا اصلى واذا ركعت شلح ثيابه وشخ على فقال له المؤدب أحق ماتقول امك قال نعم ياسيدنا فقال له ما السبب فى أنك تؤذيها وهى فى الصلاة فقال له ياسيدنا لان عبادتها باطلة لافيش ولا عليش لكن اسألها أنت ماتقول وماتقرأ فى صلاتها فقال لها المؤدب أنت تحسنى الصلاة فقالت كيف لا احسنها وانا اعرفها من امى وجدتى وجدة جدتى فقال لها اقرءى الفاتحة فقالت بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين اذا جالك الحج نصر الدين افتح له الباب يدخل ولو كان طواب فقال لها المؤدب قاتلك الله ما هذا قرآن ماعدا البسملة والحمدلة فقال الولد اسألها ياسيدنا ماتقول بعد الصلاة فسألها فقالت أقول زى ما كانت تقول امى وجدتى سبحان الله قبل الله سبحان الله بعد الله قال فصاح عليها المؤدب وقال لها كفرت ياملعونة ثم انه التفت الى الولد وقال له امرتك أن تخرا عليها فضلا عن الشخاخ ثم انه زجرها وطردها وخرجت من عنده (وصلى رجل فلاح) فلما كبر وأراد أن يقرأ دعاء الافتتاح قال لقحت وجهى للى شرح السموات والارض لانى لا احنفا ولا مسلما ولا من القوم الكافرين فقال له رجل عارف فمن أى ملة أنت قاتل الله الابعد فقال أنا من بنى عقبه فضحك عليه ثم تركه ومضى (وأما احوالهم) فمشهورة وأضرابهم كثيرة وامورهم لا تنحصر (ولنذكر فقهاءهم) ومايقع منهم من الجهل المركب وقلة العقل والخبط فى الدين ونحو ذلك فنقول (سئل) فقيه ريفى عن تفسير قوله تعالى ياأرض ابلعى ماءك وياسماء أقلعى مامعنى أقلعى فقال هذا الجاهل أى سيرى مثل المراكب المقلعة (وتولى بعض فقهاء الريف عقد نكاح) فقال للولى قل أنكحتك بنتى خطيطه البيضة اللون الشقرة الشعر اللى عينها اليمين حولا وعينها الشمال بلا حول بشرط أن تكون فى طاعتك وتفيق لدارك وتلزق لك الجلة وتفرش لك فراشها وتسرج لك قتيلتها على عينك ثم قال للخاطب قول قبلت نكاحها ونكاحها وهراشها وفراشها وفرشحتها (وقال شيخنا العلامة) الشيخ شهاب الدين القليوبى نفعنا الله به زرنا سنة من السنين سيدنا أحمد البدوى عمت بركاته ونفعنا الله به فى الدنيا والآخرة فلما رجعنا من الزيارة أدركنا المبيت فى قرية من قرى الريف فدخلنا مسجدها فرأيناه مثل زريبة البقر فيه آثار الجلة والوحل وهو مفروش بيسير من الحشيش وجانب منه خال فيه بعض عجول بقرم بوطة فجلسنا تحت المسقوف منه بعيدا عن العجول نتذاكر فى العلم فدخل علينا جماعة من الفلاحين ومعهم رجل طويل القامة غليظ الساقين محزم على بشت من الصوف من غير قميص حافى الرجلين من غير مركوب وعلى رأسه عمامة كبيرة عليها الدناسة ظاهرة فقال لنا ماتكونوا

فقلنا فقراء من الجامع الازهر فقال لنا تقروا القرآن قلنا نعم فقال اسألكم على
سؤال قدام مشايخ بلدى ان قلتولى عليه ورديتم جوابى عشيتكم وبيتكم وان لم تردوا
على الجواب طردتكم من البلد فانى فقيه البلد وامامها وخطيبها وماعمر حد غلبنى
ولاعرف سؤالى قال فضحكنا عليه وقلنا له اسأل عمايدالك فقال يافقهاء الازهر
الصلاه لها كام عنصر وفين عنصرها الاولانى وعنصرها الاخرانى قال الشيخ
عفا الله عنه فقال له رجل من أتباعنا الصلاة لها تلتمايه وستين عنصر الاولانى من
عناصرها رجليك والتانى ايديك والتالت طيزك والآخرانى دقنك قال فسكت واحتار
فى امره فقالوا له أهل بلده غلبوك مشايخ الازهر يابو حنجول فقال لهم طول عمرى
أسأل الفقها وغيرهم السؤال ده ماشفت حد جاوبنى عنه الا دوله وأنا أقل لكم
يامشايخ البلد الحق انهم غلبونى قال الشيخ سامحه الله ثم انه توجه الى منزله وأحضر لنا
متردين لبن دشيش وخبز ذره فأكلنا ونمنا فى مكاننا الى أن اصبح الصباح فحضر عندنا
ورحب بنا وأخذنا خاطره وتوجهنا والحال أننا لم نعرف السؤال ولا الجواب وماعرفنا
هذا الكلام غير أن تابعنا الشدة حذقه اجابه من معنى سؤاله واعطاه كلام قصاد كلام
(وسأل بعض الفلاحين) اخانا فى الله تعالى الشيخ عبد العزيز الدنجيهى رحمه الله تعالى فين
هى قبلة طيزك فقال له دقنك فخجل الفلاح وضحك عليه الحاضرون (قلت) ونظير ذلك
ماحكاه شيخنا أن مما اتفق فى بعض السنين أنه حضر رجل من العجم الى مصر المحروسة
واجتمع بوزيرها وأخبره أنه من علماء العجم ولا أحد يقاومه فى العلم ودخل على عقل
الوزير بالكلام وغيره حتى مال اليه وصار عنده فى منزلة عظيمة فقال له الوزير هل فيك
قوة لمناظرة علماء الازهر فقال نعم أسألهم بحضرتك سؤالا فان أجابونى فأنا من تحت
امرهم والا يكون لى الفخار عليهم قال فأرسل الوزير الى علماء الازهر فلما حضروا بين يديه
وغص المجلس باهله عرض عليهم الامر فقالوا يسأل العجمى عمايداله فقام العجمى بين
ايديهم وسألهم بالاشارة من غير كلام يتلفظ به فقالوا له ياوزير الاشارة لاتكون الا
للاخرس ولانعرف مقصوده فقال لهم لابد أن تجيبوه عن سؤاله وألزمهم بتلك المسألة
لميله للعجمى ومحبته له فقالوا له أمهلنا ثلاثة ايام حتى ننظر بقية مشايخنا فأمهلهم الوزير
فتوجهوا من عنده فقالوا لبعضهم كيف الرأى فى دفع هذا العجمى ورده
الى بلده مقهورا فقال رجل منهم الرأى عندى أننا ننظر لنا رجلا من أجلاف الريف
ونحو فهم لايعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض ونجعله شيخنا ونلبسه لبس
العلماء ونمشيه قدامنا ونمشى خلفه ونطلع به الى الوزير ونقول له هذا شيخنا وهو الذى
يجيب العجمى ونعامله بما يناسب مقامه ونسلط الكلب على الخنزير قال فذهب هو
وجماعة منهم ليفتشوا على من بهذه الصفة فرأوا رجلا من أجلاف الريف طويل القامة
عريض القفا غليظ الساقين كبير اللحية على رأسه تخف طويل وعليه جبة من الصوف

لركبته

لركبته وهو جالس فى حانوت يأكل بيض مسلوق فدخلوا عليه وكان قد فضل معه بيضة
واحدة فلما رآهم ظن أنهم يريدون أخذ البيضة منه فأخذها ووضعها فى تخفه من داخله
واراد الهروب منهم فقبضوا عليه فقال لهم أنا فى جيرتكم ياشعرا فقالوا له لاتخف يافلاح
ولاتخش من شئ فقال لهم أنا خايف تخدونى لاستادى يقطع راسى وأنا عمرى ماضيعت
ولا طلعت مصر غير السنادى وانا كنت جيعان وجبت معايه اربع بيضات شويتهم أكلت
تلاته وفضلت معايه واحده خفت منكم وشلتها فى تخفى وانا على مكسور من مال السلطان
قرشين فقالوا له احنا مرادنا نعمل معك خير وان طاوعتنا اعطيناك القرشين اللى عليك
وغدّيناك وبسطناك فقال لهم انا الاخر كل ماامرتونى به فعلته من أمر تحت بير اوهدم
حيط أوشيل طين أوجله عملتها الكم فى ساعه أوان كنتم رايحين فى عركه خلى عنكم
وهاتوالى نبوت اضرب لكم القوم ولو كانوا ألف راجل اطحنهم فقالوا امامرادنا
الا نعملك شيخنا ونطلع بك على واحد عجمى يسألك تجيبه على سؤاله وتغلبه ولكن لاتتكلم
أبدا الا بالاشارة حكم مايكلمك بالاشارة فقال لهم خدونى لاهو عرص ده وان طابتم
اضربه خبطة بلكاميه قتلته ولو كان عند السلطان والوزير وأنا ياما قتلت وياما سرقت
وانا على مال السلطان وعلى انى أرد العجمى ده مغلوب (قال فأخذوه) وألبسوه
لبس الفقهاء وعمموه على تخفه عمامة مدورة وحط البيضة من داخل عبه فقالوا له خليها
هنا لما ترجع فقال لهم وحياتكم لم اخليها الا انها بيضة فرختى واول بيضها ولما اجوع
آكلها فقالوا له خليها معك ومضوا على حالهم حتى أقبلوا على الوزير فلما رآهم الوزير قام
اليهم واعظم منزلتهم فقالوا له هذا شيخنا الذى يجيب العجمى فى سؤاله قال فجلس العجمى
متأدبا جلوس طلبة العلم وجلس الفلاح ومد رجله لم يعتبر من حضر كأنه قاعد فى زريبة بقر
فلما رآه العجمى على هذه الحالة استعظمه وقال فى نفسه لولا أنه من العلماء الاجلاء مااحتقر
المجلس ثم ان العجمى اشار اليه بالسؤال يريد منه الجواب واقام اصبعا من اصابعه الى نحو
الفلاح فاقام الفلاح له اصبعين اثنين فرفع العجمى يده الى السماء فوضع الفلاح يده على
الارض فأخرج العجمى من عبه علبة وفتحها وأخرج منها فروجا صغيرا ورماه الى الفلاح
فأخرج الفلاح البيضة من عبه وألقاها الى العجمى فعند ذلك هز العجمى رأسه وتعجب منه
وقال للوزير ولبقية العلماء قد اجابنى عن سؤالى الذى اشرت به اليه وأشهدكم أنى صرت
من تلامذته ومن اتباعه قال ثم ان الوزير اكرم الفلاح والعلماء اكراما زائدا وانصرفوا
منصورين مؤيدين ثم انهم قالوا للفلاح بعد مانزلوا الى منزلهم نحن ماعرفنا حقيقة
السؤال والجواب فأخبرنا عنه فقال لهم الفلاح ياخساره عليكم انتم فقها ولكن
ماتعرفوا تردوا للناس جواباتهم أنا لما قعدت قصاد وجهه رأيت عينيه احمرت وزاد به
الغضب وشاورلى بصباعه كأنه يقول لى اصحى لنفسك والا خرقت عينك بصباعى ده
فأشرت له أنا الاخر أقول له ان لم تصح لنفسك والا خرقت عينيك بصباعيى دول

ورفعتهم له فرفع ايده الى السما كانه يقول لى ان لم اطيعه والاصلبنى فى السقف فحطيت ايدى أنا الآخر على الارض أقول له ان ردت تفعل معى ما تقول خبطتك فى الارض خبطه طلعت عفاريتك فلما رآنى غالبه وظافر عليه أخرج لى فروج دجاج صغير يورينى انه يا كل كل يوم فراخ وانه متنعم فى المأكل والمشرب فاخرجت له من عبى أنا الاخر البيضة المصلوقة اوريه أنى متنعم فى أكل البيض المصلوق كل يوم فغلبته ورديت سؤاله قال فلما سمعوا كلام الفلاح وعرفوه ذهبوا الى العجمى وسألوه عن الجواب فقال لهم طول عمرى أسأل العلماء بهذا السؤال وأناظرهم فما عرف أحد جوابى الا شيخكم هذا فقالوا له أخبرنا عن السؤال وعن حقيقة الجواب فقال لهم أنت له اولا اصبعى اشير اليه بقولى ان الله واحد أحد فاشار الى باصبعين يشير الى انه ليس له ثان فرفعت له يدى اشير اليه أنه رفع السماء بغير عمد فخفض يده الى الارض يقول لى وبسط الارض على ما جمد فأخرجت اليه علبة وفيها فروج صغير اشير اليه أن الله يخرج الحى من الميت فأخرج الى البيضة يقول لى ويخرج الميت من الحى فأجابنى جوابا شافيا فما رأيت أعلم منه فعرفوا أن العجمى كان فى مقصد والفلاح فى مقصد آخر على حد قول القائل

سارت مشرقة وسرت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فالاشارات مصادفة والمقاصد مختلفة (كما اتفق) أن رجلا أمسك لحيته فضرط حماره فقال صادفت النكتة (وخطب فقيه) من فقهاء الريف فقال أيها الناس الى كم تلتهوا فى الحصيدة وفى الزرع والقلع وغدا يجيكم اللموم وتحضر لكم القوم فاستعدوا لقتالهم بالمزاريق فما لكم عند الله عذر ولا تعويق واعلموا يا أهل بلدنا اللى وراه عدو ماوراه هدو قواكم الله يا قوم قدامكم جيش حرام فأنتم تحترسوا الا يجيكم العدو من جنب النقره فصلوا وصوموا واطلبوا من الله النصره وقولوا يا حنان يا منان انصر شيخ بلدنا عمران قولوا آمين فقالوا آمين ثم نزل وصلى بهم صلاة معزاويه لا فرض ولا نيه (وخطب آخر) فلما صعد المنبر قال اعلموا يا أهل بلدنا ان عندكم قمح كثير وتبن وشعير وأنتم فى خير من رب العالمين فانتم تفيقوا الزرع الوسيه والا يجيكم الكاشف بداهية وبليه فغدا تسرحوا اللعونه والسخر وفيقوا الغنم والبقر واختوا ابياركم وفيقوا لدوركم وجداركم واكرموا الخطار بالعدس والبيسار تنجوا من عذاب النار على ايش يا حبايب تهجرونا بلا سبب الله الله قولوا لا اله الا الله من وحد الله ما خيبه الله آمين والحمد لله رب العالمين ثم نزل وصلى بهم (وخطب آخر) فلما شرع فى الخطبة قام الفلاحون بالعياط والشياط فى حساب الزرع والقلع فقال شخص منهم يا جماعة اسمعوا للخطيب وعدوا انه كلب بينبح (وتوجه فقيه) هو وجماعة على أنه يسرق واياهم فول أخضر من الغيط فذهبوا معه ليلا حتى اتوا الى غيط رجل من القرية وأخذ كل واحد

منهم عمرا كبيرا من الفول وأخذ هو عمرين ثم دخل الجامع يخطب فلما صعد المنبر وانتهى الى الموعظة وقال أيها الناس قال رجل من رفقائه الذين سرقوا معه بالليل مالك وما للناس لما كنا وإياك فى السرقة خد كل واحد منا عمر واحد وانت خدت عمرين فقام اليه الفلاحون وكركبوه من على المنبر وطردوه من البلد لما ثبتت سرقته (وسأل فقيه ريف) بعض العلماء وقال له مرادى أقرأ الاجرومية على مذهب الامام الشافعى فضحك عليه من جهله وطرده (ودخل على العلامة الجبيدى رحمه الله تعالى) رجل من فقهاء الريف وقال له عندك مختصر القرآن وكان الشيخ الجبيدى شيخ الصحافين بمصر فقال له الشيخ رحمه الله نعم اجلس حتى أنظره لك فجلس عنده واذا برجل أقبل على الشيخ وقال له عندك يا سيدى مختصر مسلم فقال له نعم خذ هذا فانه مختصر مسلم لا كلام وطرده من عنده قال فتعجب الحاضرون منه غاية العجب ثم انهم سألوه عن مختصر القرآن فقال لهم أنا فقيه الريف اقرى الاولاد فى بلدى القرآن وقد ثقل عليهم لطوله فقلت لعل أحدا اختصره فيكون أسهل على الاولاد ويحفظوه بالسرعة فضحك عليه الحاضرون ومضى الى سبيله (وسعى رجل) من الاكابر عند قاضى القضاة بمصر المحروسة ليأخذ لرجل فقيه نيابة فى بعض المحاكم ومدحه عنده فقال ائتنى به فلما حضر بين يديه قال له القاضى هل تحفظ القرآن قال نعم ابدا الله مولانا القاضى وعندى مصحف مليح بخط المؤلف فتحقق القاضى جهله وضحك عليه وطرده (ودخل بعض فقهاء الريف الجهال) على أبى حنيفة رضى الله عنه ورجل الامام ممدودة لوجع اصابها فلما رآه الامام فى هيئة حسنة وثياب فاخرة لم رجله وكان الامام يقرر فى مسئلة صلاة الصبح ما حكمها اذا طلعت الشمس ونحو ذلك فقال له هذا الجاهل اذا طلعت الشمس قبل الفجر ما حكم الصلاة فقال الامام آن لابى حنيفة أن يمد رجله ثم مدها ومضى على درسه ولم يلتفت اليه (واتفق) أن اثنين اختصما فى آية من كلام الله تعالى فقال احدهما لعلهم يتفكرون وقال الآخر لعلهم يشكرون فبينما هم فى المشاجرة اذ طلع عليهم فقيه من فقهاء الريف فسألوه لاعتقادهم أنه يحفظ القرآن هل هى يتفكرون او يشكرون فقال هذا الجاهل لا تتشاجروا والاولى أننا نأخذ من كل كلمة جانبا ونجعلها لكما لعلهم يتفشكرون ونبطل المشاجرة بينكما فقالا له قاتلك الله كفرت وغيرت كلام الله تعالى ثم طرداه (ودخل رجل) من علماء المسلمين قرية من قرى الريف فرأى رجلا يدرس فى مسجدها ويخبط خبط عشواء وسمعه يروى حدثنا باطلا فقال له رأيت هذا الحديث فى اى كتاب فقال له فى كتاب عندى يسمى الدلهمة والبطال فقال اضعفت حين اسندت ثم قام عليه وابطله التدريس ومضى الى سبيله (وحكى بعض العلماء) قال دخلت قرية من قرى الريف وكان وقت المساء فقلت فى نفسى أسأل عن فقيه البلد وأنام عنده قال فسألت عنه فقالوا الى انظره على الكوم العالى فى وسط

البلد مات له حمار وهو يطرد الكلاب عنه لاجل ما يسلخ جلده و يبيعه فتوجهت اليه فرأيته على الكوم وبيده حجارة يضرب بها الكلاب ويمنعهم عن حماره الميت حكم ماذكر لى أهل بلده وهو فى حالة رذلة وثياب دنسة حافى القدم تعيس الناصية فسلمت عليه فرد على السلام بتكلف وهو مشغول بما هو فيه وهو يقول اخص بجر روح يا مشوم ويضرب الكلاب بالحجارة وهو فى كرب كأنه يغازى القوم قال فجلست ساعة أنظر فى حاله واذا برجل أقبل عليه من اهالى قريته وقال له يا سيدنا أنا قلت لامرأتى انت طالق بالتلاته وسالت فما احد ردها لى وقالوا لى ما عادت تحل لك حتى ينكحها زوج غيرك وأنا خاطرى تردها لى وتخلصنى من اليمين وخذ لك كيلة شعير قال فالتفت اليه وقال له ان كان مرادك اخلصك من اليمين ما آخذ الا كيلتين شعير فقال له اعطيك ما تطلب فقال له خذ امرأتك وقت السحر وروح بها بركة الماء اللى فى المحل الفلانى وخليها تسلخ ثيابها وتخوض فى الماء حتى يبلغ الماء سرتها ولا تخليها تضم رجليها حتى يدخل الماء فرجها فان الماء ملك والملك ذكر فصدق عليه أنه نكحها قال الله تعالى وهو الذى خلق من الماء بشرا قال فلما سمعت ما قاله لهذا الرجل أخذتنى الغيرة فى دين الله تعالى وقعت عليه بالسب واللعن وقلت له قاتلك الله وعلمك وقريتك ونهيت السائل عن هذه الفعلة وقلت له وقع عليك الطلاق الثلاث ولا يجوز لك أن تفعل بما قال لك هذا الجاهل الخبيث وحلفت انى لا أبيت فى هذه القرية لاجل هذا اللئيم ثم مضيت الى بلد اخرى ونمت بمسجدها الى أن طلع النهار وتوجهت الى سبيلى (وقال بعض فقهاء الريف) لتلامذته قد ظهر لى فى القرآن بحث وهو قوله تعالى وقيل يا أرض ابلعى ماءك انه وجه ضعيف لانه محكى بقيل (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف بساحل البحر بنواحى الجبل فرأى محلا يشبه المجلس وفيه البقر والغنم وقد اشتد به الجوع فجلس يقرأ سورة الكهف فاجتمع عليه جماعة من تلك القرية ليسمعوا قراءته الى أن وصل الى قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم فقالوا له يا شيخ نجست القرآن كلام الله ما فيه كلاب وأنت تجعل فيه كلاب اخرج من بلدنا والا قتلناك قال فقام رجل منهم وقال لا تضربوه ولا تقتلوه حتى نرسل الى فقى بلدنا الحاج مخالف الله ونساله فان قال ان القرآن فيه كلاب تركناه والا قتلناه قال فأرسلوا خلف هذا الرجل فحضر شخص كأنه سارية الجبل من طوله او عمود من عواميد الصوارى من غلظه وثقل ذاته وورؤيته تقشعر منها الجلود وهو ملتفع بحرام ابيض دنس لا غير فلما حضر وجلس اخبروه بالقضية فنظر يمينا وشمالا وقال اصبروا حتى أبين لكم واكشف لكم الحال ثم انه اضطجع على قفاه وقال لهم اطرحوا على الحرام فطرحوه عليه فسكت ساعة على هذه الحالة لا يتحرك ثم انه قام بسرعة عريان مكشوف الراس والعورة ووقف ساعة بهذه الحالة ينظر نحو السماء وهو فى وجد وكرب ثم دعا بحرامه فالتف فيه وجلس وقال لهم طلعت العشر سماوات اللى خلقها الله تعالى فرأيت

أول سما فيها بقر وثانى سما فيها جاموس وثالث سما فيها عجول ورابع سما فيها ثيران وخامس سما فيها كذا وسادس سما فيها كذا وصار يعدد اصناف من الحيوانات الى أن قال وشفت السما العاشرة ملياته غنم وانتم يا مشايخ بلدنا تعرفوا ان الغنم تعوز الكلاب ولا تفارقها وراعى الغنم لا بد له من كلب يحرس غنمه خلوا الراجل يروح ولا تقتلوه واعطوه رغيفين دره قال فأخذ الرغيفين ومضى وهو يحمد الله تعالى الذى خلصه من هؤلاء الجهلة (وكان بعض فقهاء الريف) يدرس فى قرية من بعض القرى وكلما سئل عن مسئلة اجاب عنها بسرعة نظما ونثرا ولم يتوقف فى الجواب لشدة جراءته فى الكلام من غير معرفة الى أن حضر مجلسه وهو يدرس جماعة من العلماء ورأوا سرعة جوابه فى المسائل واتيانه بكلام ليس هو فى كتب الفقه الا أن فيه رائحة المناسبة فقالوا أمر هذا المدرس عجيب فقال رجل منهم أنا أختبره لكم وأبين لكم صدقه من كذبه كل شخص منكم يأخذ له حرفا من حروف الهجاء ونجعلها كلمة واحدة ونسأله عنها فقالوا هذا الرأى صواب فأخذوا الحروف وجمعوها فصارت خنفشار ثم انهم جلسوا حوله وقت الدرس فلما فرغ من الدرس قالوا له يا مولانا رأينا فى بعض الكتب خذ الخنفشار وما عرفنا ما الخنفشار فقال لهم هذا واضح وهو نبات يطلع فى أرض الصين يعقد به اللبن قال الشاعر

لقد عقدت محبتكم بقلبى ■ كما عقد الحليب الخنفشار

وقال صلى الله عليه وسلم واراد أن يذكر حديثا باطلا فقالوا له أمسك ما معك قبحك الله أما كلامك فى حق الحكماء والعلماء فقد سلمنا لك فى الكذب عليهم وأما الكذب فى الحديث فلا نسلم لك فيه ثم انهم قاموا عليه وأبطلوه الدرس (قلت) ولهذا ذكروا أن العلم أمانة وأن الشخص لا يجوز له أن يتكلم الا عن خبر واطلاع وشدة احتياط باصول المسائل وفروعها ومراجعة النقول ولا يلتفت لما يقع من جهلة علماء العوام (فقد سأل بعضهم) رجلا من أهل العلم عن وصف كلب أهل الكهف فقال لا أعرف وأتى والده وكان من العلماء فقال له انى سئلت اليوم عن وصف كلب أهل الكهف فقلت لا أعرفه ولم يبلغنى فى وصفه شئ ثابت فقال له أبوه لاى شئ توقفت فى الجواب كنت تقول لهم صفته كذا وكذا ولونه كذا وكذا ولا تنسب نفسك الى الجهل قال فاغتاظ منه والده غيظا شديدا وأصبح ينادى عليه فى الجامع ويقول لا تأخذوا العلم عن والدى فانه رجل كذاب مدلس وقع منه كذا وكذا وذكر لهم القصة (واوصى لقمان ابنه) فقال له يا بنى اذا سالك الناس فقل لهم لا أدرى فانك اذا قلت لهم لا أدرى لا يسألونك حتى تدرى وان قلت أدرى سألوك حتى لا تدرى (وقرأ بعض جهلة فقهاء الريف) واذا بطشتم بطشتم خبازين بريد بطشتم بطشتم جبارين (وقرأ آخر منهم) ولله ميزاب السموات فقيل له ما معنى ميزاب قال الذى ينزل منه المطر (وادعى فقيه) حفظ القرآن

فقيل له الحمد لله لا شريك له من لم يقلها لنفسه ظلما فى أى سورة فأطرق ساعة ثم قال فى سورة الدخان (واشتكى رجل) ولده للقاضى وقال له اصلح الله مولانا القاضى هذا ولدى يشرب الخمر ولا يصلى فقال له القاضى ما تقول قال فانه يقول غير صحيح فانى اصلى ولا اشرب الخمر فقال له أبوه انه يزعم أنه يقرأ القران وأنه فقيه البلد فقل له يقرأ شيأ منه قال له القاضى اقرأ يا غلام فقال بسم الله الرحمن الرحيم

علق القلب الربابا * بعدما شابت وشابا
ان دين الله حق * لا نغيره ارتيابا

فقال أبوه هذه سورة كنت حفظتها من زمان ونسيتها اليوم فقال القاضى وانا الآخر كنت احفظ فيه آية اخرى وهى

ارحى صبا كثيبا * قد رأى البعد عذابا

ثم قال القاضى للرجل خذ ابنك فانه ماهر فى القرآن فانظر أيها المتأمل الى جهل الغلام وأبيه وتعجب من جهل القاضى الذى لم يفرق بين الشعر والقرآن (وكان بعض العلماء) كلما سئل عن مسئلة يقول من جهله فيها قولان فقال له رجل أفى الله شك فقال فيه قولان فكفر بحسب عبارته وبعضهم أجاب عنه بأن فيها قولين من جهة النحو (ودخل بعض العلماء) قرية من قرى الريف وكان يوم الجمعة فلما قربت الصلاة توجه ليصلى فرأى أهل القرية جميعا داخلين المسجد وكل واحد منهم معه قفة من خوص وفيها مغرفة وخشبة وسكين من حديد وفأر ميت معلق فى عنقه فتعجب من فعلهم وقال لا بد أنى أسأل فقيه البلد عن ذلك الامر فبينما هو متعجب من فعلهم واذا بالفقيه داخل الى المسجد للخطابة وهو أيضا مثلهم حامل قفة فيها مغرفة وخشبة وسكين ومعلق فى رقبته فارا ميتا ورآهم كلهم يصلون بهذه الحالة فتقدم الى الخطيب وسأله عن هذا الامر ومن أمر أهل القرية بهذه الفعلة فقال له أنا أمرتهم بذلك فقال له هذا الامر باطل والصلاة باطلة وما دليلك على ذلك فقال حديث رأيته فى كتاب عندى واسمه كتاب التيه ولفظه حدثنى يحيى بن يحيى عن شعبان النورى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بقفة ومغرفة وخشبة وسكينة وفار فطلب منه الكتاب فرآه كتاب التنبيه تصحفت عليه بالتيه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال لا تصح جمعة احدكم الا بعفة تصحفت بقفة وسكينة تصحفت بسكينة وخشية تصحفت بخشبة ومعرفة تصحفت بمغرفة ووقار تصحفت بفار وأما سند الحديث فهو حدثنى يحيى بن يحيى عن سفيان الثورى فتصحفت مثل ما مر قال فقام عليه ذلك العالم وعلى أهل القرية وأبطل لهم هذا الامر وسعى فى خروج هذا الفقيه الجاهل من القرية لعدم معرفته وجهله وقلة عقله فأخرجوه من البلد بيد أمير البلد وطردوه (ودخل بعضهم) قرية من قرى الشام فسمع المؤذن يؤذن ولم ينطق بالشهادتين بل يقول وأنتم يا أهل هذا البلد تشهدون أن محمدا رسول الله قال

فتعجب من ذلك ودخل المسجد فرأى الناس مزدحمين على شئ يباع فيه فاذا هو خمر قد صبوه فى اناء ويناول رجل منهم للناس ويقول هاتوا الثمن ويقبضه منهم فقال هذه اعجب ثم مضى الى المحراب ليسأل الامام فوجده قد أقبل على رجل واحدة ورجله الاخرى مرفوعة واقيمت الصلاة فصلى ورجله على حالها فلما خرج من صلاته سأله عن القضية وعن رفع رجله فى الصلاة وسبب الاذان والخمر فقال له اعلم يا سيدى أن المؤذن الذى سمعته لا ينطق بالشهادتين نصرانى احتجنا اليه لمرض اصاب المؤذن ورأيناه صيتا فأقمناه مقامه فهو لا يقدر ينطق بالشهادتين وأما الخمر الذى رأيته يباع فى المسجد فان المسجد له كرم عنب موقوف عليه واذا بعناه من غير عصر لا يقوم ثمنه بالمستحقين وارباب الوظائف وأما رفع رجلى التى رأيتها فقد اصابتها نجاسة وأنا داخل المسجد وأدركتنى الصلاة فقلت أرفعها وأصلى على رجل واحدة لاجل صحة الصلاة لانى خشيت من المشى عليها فيحصل التلويث للمسجد وتبطل الصلاة قال فتعجب الرجل وأتى القاضى فدخل عليه ليسأله عن هذا الامر فوجد غلاما يلوط فيه فتحير فى أمره وقال له ما هذا يا مولانا القاضى قضيتك اغرب مما رأيت واعجب فقال له لا تعجب ان هذا الغلام يدعى أهله أنه بالغ الحلم وجماعة يقولون انه قاصر فأخذته لاختبره وقلت ان فعل وأنزل فانه يكون قد بلغ الحلم والا فهو قاصر فرأيته قد أنزل المنى وتحققت بحلمه وبلوغه وهذا من باب التجربة لاجل اقامة الشرع الشريف فقال الرجل قبحكم الله أنتم وقريتكم جميعا وحلف أن لا يعود اليها بقية عمره (وتولى) بعض فقهاء الريف الجهال القضاء فأرسل الى من ولاه هدية وأرسل معها مكتوبا مضمونه بعد السلام على مولانا الافندى ان الواصل لكم هدية خروفين وسرموجتين الافندى خروف وسرموجة والنايب خروف وسرموجة قال فلما وصل القاضى مكتوبه أمر بعزله وتحقيره واخراجه من القرية (ونظيره) مكتوب فنين الذى ذكره سيدى على بن سودون فى ديوانه الذى ارسله لاهله من الصعيد قال فى عنوانه يصل ان شاء الله تعالى الى دربنا المحروس الذى خشبته سنط ولقية ويسلم ليدا اهل بيت فنين وفى داخل المكتوب السلام عليكم بعدد ما فى النخل من الاوراق سلام لا يسعه طبق ولا طبقين ولا اطباق أطول من مقود زرافة ولو كان طاق أو طاقين أو طاقات من كل بد وسبب وفى هذا المعنى أقول لكم كان شعر

ان كان ابى ما مات واتى تعيش * فبلغهم ياريح عنى السلامات
وروح قل لهم انى مع الناس فى البلد * ويا ما جرى لى بعدكم من نكبات
وانكم لفى غفلة كبيرة عن ابنكم * وانا ان مت قولوا الا حيلة فنين مات

والذى نعلمكم به ان كنتم للسمع طيبين بالحياة انى ارسلت لكم صحبة القاصد على جوز وزفقس الصيف من ديك الوزه وأيضا خروف ابلق وخروف بلا بلاق وسبحان الله تقوا تكاموا اجزاف ارسلتم تطلبوا حبل تنشروا عليه الغسيل وقلتم لنا على طوله ولا قلتم

لناعلى عرضه وارسلتم تطلبوا كشك وأناان ارسلته لكم من غير طبيخ فضيحه وان طبخته مايوصل لكم حتى يبرد وطلبتم نبده وماقلتم لى بعسل او بلاشى وطلبتم قلبلات والفلاحين مايزرعوا الاقرع طويل فيكون ذلك فى خاطركم من حقه وبلغنى ان امراتى حبله من بعدى فلا تخلوها تولد حتى أجى وان ولدت قبل ذلك لايكون الاصبى وسموه دار الخطيب فانى دخلت دار الخطيب ورأيت فيها من الطعام شى كتير اعجبنى وجرت لى فيه حكاية ولكن ماتقولوها لحد أبدا تبقى فضيحه وذلك انى أكلت يوم بطيخ وغت حشاكم العيب فى بيت الفلاحين فشخيت فى تيابى واناممذور بزيادة فان البطيخ يكتر الشخاخ فغسلت قيصى ونشرته فى السطوح فقام بالامر المقدور ضربه الهوا فوقع من فوق لتحت وارتجفت بسلامتى رجفة خلتنى ضعفت ضعفه لوضعفها غيرى كان مات وعرفت انها ماهى بشارة خير وانها تدل على موت امى وأبويه والحمد لله اللى كانوا فدايه وانى صليت وصمت لله تعالى اللى ما كنت فى قيصى ولو كنت فيه كنت اتكسرت فقلت حوالينا ولاعلينا ولكن من الرجفه وجعتنى عينى التى تبقى ناحية المشد وقت ما اخرج من دارنا والذى نعلم به الوالد زوج الوالده انى دخلت يوم البستان أنا والخولى فرأيت فيه نخل شى طويل وشى قصير وشى مايشبه شى فقلت له دى ايه قال لى توت ودى ايه قال لى نخله ورأيت يا ابويه نخله كل ورقه قدر الصفه اللى تتخنت امى فيها فقلت ودى ايه فقال لى موز فعجبنى قوى وقلت له الموز يطلع فى البستان فقال لى ايوه فقلت له والجبن المقلى يطلع فين قال يطلع فى طاجن الجبان وأنا كل يوم اجى واطل من الطاقه وعمرى ماشفت فى طاجن الجبان جبن مقلى فوعدت الخولى وراهنته من امراتى الحبله لامراته اللى بلا حبل بأنه يعمل امراتى يوم وانا اعمل امراته يوم فلا تخلوه يغلبنى وياخذ امراتى وابقى يتيم وكأنى وودن الشيطان مسدوده اصبحت اكتب لى محضر وآخذ خاطر الجيران مارأوا نخلة جبن مقلى فى طاجن الجبان والذى نعرفكم به انى لما طلعت البلد ولقيت الصابون غالى فبعت الحماره البيضه واشتريت لى حماره سوده على شان ماتوسخش وكمان كلام كتير فانى لو كتبت لكم اللى فى خاطرى لكان كلام يجى من حد عندكم لحد عندى وبعد السلام على أهل الحاره كل واحد باسمه كتير كتير تاريخ صبيحة يوم الجمعه الحرام بعد صلاة التراويح من يوم عاشورا السابع والتلاتين من جماد الاوسط سنة ما اعرف شى اللى تقولوا عليه بالامارة مطرت المطره وأهل البلد يعرفوا ذلك (ونظير هذا المكتوب كثير لا يحصى) فقد ارسل بعض فقهاء الريف مكتوبا سنة سبع واربعين وألف يقول فيه السلام من الفقى أبوعلى اللى اسمه محمد على حضرة صاحبنا اللى يطالع فى القرآن زى مايطلع الزرع فى الغيطان ويتكلم بالفهامه ويامااله علينا شهامه اللى يبيع الكتب المنظومة من الكلام زى قصة الجاريه والتودد والوردتى الاكمام حاوى الكتابة فى السطور ومن يعرف كتاب الفخ والعصفور وانا فى شوق واشتياقه

لايحمله

لايحمله جمل ولاناقه ولاحمار ولاحمارين ولابغل ولابغلين ولازرافه وفى هذا المعنى أقول لك كمان

السلام عليك ياسيدى والرحمه * سلام من هولا يا كل بعدك اقمه
الاصايم عن الزاد وهوزى الاعمه * وانا قصدى اشوفك ولو فى الضلمه

وانا كنت اريد اجيلك وحياة راسك ماعوقنى الاسرموجتى مقطعه وانا اقول لك شوف لى كتاب كنت شفته من زمان وسمعت به آه عليه ويا ماقالوا الى عليه الناس وهو قصة مدينة النحاس وماجرى فيها من العجايب والغرايب وانا البارح كنت رايح اشيع لك كلام افتكرته وعاود نسيته الله يسامحك ويسامحنى الله الله لاغالب الا الله والسلام عليكم وعلى من كانوا جيرانك على اليمين والشمال وكتب هذا الكتاب أبوعلى واسمه محمد وكتب عنوانه توصل دى الورقه مع ابوعماره اللى يبيع فى بلدنا الفول الاخضر والمش والزيت الحار يوصلها البولاق وهوا حديتى يوصلها السوق الكتب اللى يقولوا فيه حراج حراج * فانظر الى شدة هذا الجهل والى هذا الكلام الذى يشبه الوحل وأمثال هؤلاء الجهال كثير ولقد أحسن الامام حجة الاسلام أبو حامد الغزالى نفعنا الله به فى الدنيا والآخرة حيث قال

تصدر للتدريس كل مهوس * بليد يسمى بالفقيه المدلس
فحق لاهل العلم أن يتمثلوا * ببيت نفيس شاع فى كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

(ومما ينسب لسيدى عبد العزيز الديرينى)

ان شئت تدعى فقيه قوم * فطول الكم ثم عمم
واجعل على الرأس طيلسانا * واعقد على المنكبين واختم
واجلس مع القوم فى صياح * لا بالبخارى ولا بمسلم
الاصبحا ونقض كم * ولا ولم لا ولا نسلم
وان لقوا الوقف يأكلوه * وقد نسوا العلم والمعلم
ثيابهم بيض وارياء * وقلبهم بالسواد مظلم
فان ترى فى الورى فقيها * فصح وقل ياسلام سلم

أى اذا رأيت فقيها على هذه الحالة فأسأل الله السلامة منه والبعد عنه نسأل الله العفو والعافية فى الدين والدنيا والآخرة (ذكر شعرهم ورثاهم) قيل مر بعض أهل الارياف بجماعة من الظرفاء ينشدون الاشعار فى معنى العشق فقال لهم زيدوا يامغنيين القوم من دى القول المليح فقد ذكرتونى نشيد مليح قلته وانا احرث فى الغيط لكنى عشقت ام معيكه وكنت رايح أموت من عشقها وغرامها فقال له هؤلاء الجماعة انشدنا ماقلت فى ام معيكة فانشد يقول موالبا

ماضال قيصى يشحطط من ورا المحرات ■ حتى أتتنى صبيه رايحه بتبات
فقلت ياام معيكه ارجمى من مات ■ قالت أنارايحه اخراوأجيلك بتبات

أقول هـذا الكلام من بحر الخرا الوافر الذى ليس له اول من آخر وقائله من ابلد البشر أومن اغشم البقر وتفاعيله باحتياط متخبط خبط متخبط خباط وطوله بالتوكيد من اسكندريه لرشيد وعرضه باحتياط من الصعيد لدمياط ومعناه الذميم ومبناه السخيم (ماضال) هذه كلمة يستعملها أهل الارياف وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق وأصلها مازال فيبدلون الزاى ضادا لاعوجاج ألسنتهم واشتقاقها من الضل أوالضلال أومن الضئيلة وهى الحية قال الشاعر

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة ■ من الرقش فى أنيابها السم ناقع

ومصدرها القشروى ضل يضل ضلالا فهوضال ومضلول (قيصى) على وزن حريصى أوجعيصى واشتقاقه من القمص أى قص الحمار يقال حمارقاص أومن بلد يقال لها منية القمص ومصدره قص يقمص قصا فهوقامص ومقموص والقميص مايلبس من الكتان وغيره (يشحطط) مأخوذ من الشحططة اومن الشحوطة أى ينسحب وينجر على الارض يقال شحططه اذا جره على الارض وهـذه من لغات الارياف وقال بعض شعرائهم مواليا

شحطط صحيبك ورخه ألف فرقله ■ واكويه بالنار حتى يلتقى عله
حتى يلين ويبقى قرص من جله ■ قوم اطعمه عدس وبيسار وبسله

والشاهد فى قوله شحطط صحيبك وشحطط على وزن ضرّط بتشديد الراء وضرّط فيها مناسبة من وجهين الاول الوزن والثانى اذا شحطط وجرّ على الارض اوفى جورة اوفى نقرة ربما ضرط من شدّة مايحصل له من المشقة وألم التشحطط فكان المعنى ظاهرا (وقوله من ورا المحرات) أى من خلفه ووصف قيصه بأنه صار ينجر خلف المحرات لاحد امور امّا لانه غلب عليه الشقاء وكثرة الحرّ والتعب فخلع كمه من يده كما يفعله الحرّاثون اذا اشتدّ عليهم التعب وزاد عليهم النصب فيفعلون ذلك لترويح اجسادهم وهذا لايفعله الا أكابر الحرّاثين وأماغيرهم فانه فى الغالب لايحرث الاعريان أوعليه خلقة مقطعة لاتستر العورة فهذا يدل على أنه كان من اكابر الحرّاثين ويحتمل أن قيصه كان مشرمط فصار ينجر خلفه ويشبك فى الشوك والحلفه أويقال انه قلعه ووضعه على كتفه كعادة الحرّاثين فصار ينجر خلف المحرات ومن شدّة تعبه من الحرث واعتنائه بما هو فيه لم يلتفت الى أحد ولم يجد له مروه يلمه من الارض حتى جاءته تلك الصبية (والمحرات) آلة معروفة عند الفلاحين وجمعها محاريت ومن لوازمها المشقة وسواد الوجه من الحرّ والبرد قال الشاعر

تضال عمرك يامحرات تاعب جماعتك ■ لماليوم المحشر ماانت مفارق

فالحرّاث دائما فى تعب شديد وهمّ مزيد وليس فى الفلاحين أتعب منه خصوصا اذا كان فى معاناة الحرّافة السلطانية وهو اقلّ عقلا من غيره لانه فى النهار رفيق الاثوار وفى الليل رفيق النساء فى الدوّار فلم يكمل له عقل ■ ومثله فى قلة العقل مؤدّب الاطفال فانه طول نهاره رفيق الاطفال وطول ليله مع النساء ويدل على قلة عقل مؤدّب الاطفال قبوله شهادة القاصر على البالغ وان شتم ولد ولدا آخر وجه المشتوم الشتمة الى المؤدّب بقوله يقول لى الولد ده دم الحس قفاك ياسيدنا والولد الآخر يقول لى يا ابن القحبه ياسيدنا ويقول لى دم اخرق عينك ياسيدنا ونحو ذلك من هذه الالفاظ ■ وقد وجد عند مؤدّب اطفال طبلة وزمّارة وفرقلة فسئل عن ذلك فقال أجمعهم بالطبلة وأفرّقهم بالزمّارة واضربهم بالفرقلة (ورأيت فى بعض الكتب) أن مؤدّب اطفال كان يعلم الاطفال القرآن فى غرفة له فاتفق الاولاد على أن يبنوا على باب الغرفة حائطا ويمنعوه من الدخول اليها ففعلوا ذلك ليلا ولما اصبحوا جاؤا الى المؤدّب وقالوا له ان الغرفة هربت بالليل قال فشدّ وسطه وعدا فى طلبها ومازال فى البرّية يمشى حتى قارب الليل فلم يجد شيأ فرأى صومعة فيها راهب فسأله هل رأيت غرفة فيها ألواح ودوى فقال الراهب فى نفسه انه أحمق لاعقل له ثم قال له نعم انها مرّت على الظهر وأنت لاتلحقها ولكن بت عندى الى السحر وأنت تلقاها فقبل منه ذلك القول وصعد عنده وقد هلك من الجوع والعطش واضرّه التعب فأحضر له الطعام فأكل وشرب حتى شبع ثم اسكره ونوّمه وقام اليه وجرّده عن ثيابه التى كانت عليه ولبسها الراهب وألبسه ثياب الرهبان وشدّ له زنارا وتركه فلما كان وقت السحر نبهه وقال له ويحك ان الغرفة رجعت الى البلد فقم وادخل البلد تجدها قال فقام ومضى الى البلد فرحا مسرورا فلما رآه الناس قالوا له أنت صرت راهب قال لا والله الا أنى بت عند راهب وقلت له نبهنى وقت السحر فأيقظ نفسه وتركنى قال ثم انه رجع الى الصومعة وصار يتذلل له ويقول له بالله عليك ياراهب نبه نفسى حتى اروح البلد وخذ نفسك اجعلها مكانها صدقة عنك بحق المسيح قال فصار الراهب يضحك عليه حتى ايس منه وانصرف فانظر الى قلة عقله وشدّة جهله (وكان أيضا بعض مؤدّبى الاطفال) اذا وقف يصلى وركع أخرج رأسه من بين رجليه وقال شفتك يا ابن القحبه رأيتك يا ابن العرص ويشتم الاولاد ثم يسجد ويتم الصلاة (وقوله حتى اتتنى صبيه) أى لم يزل على هذه الحالة السخيمة والعيشة الذميمة والكرب والتعب ومعاشرة اخوانه من الثيران والابقار فى الليل والنهار حتى مرّت عليه هذه الصبية وهى ضدّ العجوز وصبية على وزن بلية أورزية مشتقة من الصبوة على وزن اللبوة أومن الصابون أومن مصبنه فشغلته بحبها وفتنته بجمالها وسباه هواها لاسيما وهى من ملاح الريف وخصوصا اذا كانت فى وقت جمع الجلة وشيل الزبل وهى متضمخة بالنجاسة وتلك الروائح (وهى رايحه بتبات) أى والحال أنها ماروحه من الغيط الى دارها تبات فيها كما هو عادة الفلاحين انهم يسرحوا

فى الغيط ليشتغلوا فيه بالزرع والقلع وتلقيط الحلة الناشفة والضم ونحو ذلك ثم انهم يروحوا بيوتهم آخر النهار أو فى نصفه على قدر تمام أشغالهم فيجدوا العدس والبيسار أو المدمس قد طاب أمره وحسن طعمه فيأكلوا ويتمتعوا بنسائهم على الافران ومداود البقر وأشوان التبن وغرف الجلة ونحو ذلك. (فقلت ياام معيكه) أى أنه لما اشتغل بحبها عندما أقبلت اليه وهى مروحه من الغيط كما تقدم نظرها فأحبها والعين توقع القلب فى أشد ما يكون من الحب والغرام والوجد والهيام قال القائل

عينى نظرت وشبكتى من عينى * مايقتلنى الاسواد العين

وقال الشاعر

نظرتك نظرة بالخيف كانت * جلاء العين منى بل ضياها

فآها كيف تجمعنا الليالى * وآها من تفرقنا وآها

فاحتاج أن يخاطبها ويتذلل بين يديها كما هو عادة المحبين من أنهم يتذللون لمن يحبونه ويبذلون له الارواح فضلا عن الاموال ويهيمون بحسنه وجماله لان أحداق الملاح تذيب اجساد العشاق وحلاوة الجمال تزيد فى الاشتياق ومحاسن الحبيب تجذب روح العاشق الكئيب ولله در معن بن زائدة حيث قال

نحن قوم تذيبنا الحدق النجل * على أننا نذيب الحديدا

وترانا عند الكريهة احرا * راوفى السلم للغوانى عبيدا

وخطابه لها بالكنية لاشتهارها بها والكنية ما صدرت بأم أو بأب كما هو مقرر ومعيكه تصغير معكه وهى على وزن زكه أو حكه أو دكه أو لبكه وغلبت عليها هذه الكنية وصارت علما عليها لكثرة ما كانت تمعك شعرتها على جذور الشجر عند اشتداد أكلان الشعر من طوله وقلة نتفه وغليان الشهوة لان الشعر اذا كثر وطال ربما اشتد غليانه وزاد اكلانه فلا يبرده على النساء الا النتف خصوصا فى زمان الصيف وبعضهم يستحسن بقاء الشعر على الكس أيام الشتاء لان الشعرتين اذا التقتا تولد من بينهما الحرارة فيسخن الاير والكس فتحصل اللذة من الجانبين قال الشاعر

ولما كشفت الذيل عن سطح كسها * وجدت عليه الشعر أسود كالزنجى

فقلت لها ماذا الذى قد رأيته * فقالت طواشى كاتب الدخل والخرج

وهذا زمان البرد والشعر ساخن * فأسفق أباهذا بجهد بلا حرج

واشتقاقه من المعك وهو الحك يقال معك يمعك معكا فهو ماعك ومعولك ودليل كونه مشتقا من المعك قول بعض شعراء أهل الريف مواليا

قومى امعكى ياخطيطه شعرتك بالحيط * لما أجيلك هديه طورتين مخيط

واعطيلك وحياة راسى نعل من هريط * واجى لعندك نوشل رجليك جوا الغيط

ومقول القول (ارحمى من مات) أى تعطفى بالرحمة والشفقة على من أشرف من حبك وغرامك على حالة تشعر بالموت أو بالخناق المستعجل وهذا على حد قولهم حزين وواعى لانه مع كونه فى حالة تعب وارتكاب نصب من الحرث وتراكم الهموم والقهر حصل منه هذا العشق الذى يفضى الى الموت فكأنه يقول أنا ياام معيكه قد أشرفت من حبك على الهلاك والموت فرقى لحالى وانظرى ما أنا فيه من معالجة اخوانى الابقار ومقاساة الحرث بالليل والنهار وأنت صبيه نضيفه وتكرهى الشعره المنتوفه فاسمحى لى بسحبتين فيما بين العلمين وازور الشيخ أبو قبه ولو أخذت البشت والجبه والا يحصل لى من بعدك وغرامك الموت فلما فهمت من حاله هذه القضية وابتلت بهذه البلية ورأت الذى لها مثل الذى عليه وشبيه الشئ منجذب اليه قال الشاعر

رأيت مجذما فى قاع قبر * وآخر ابرصا يخرا عليه

فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

أبدت اليه العذر الذى أوجب لها هذه الحالة الذميمة وعدم تعطفها عليه وهى فى تلك المشقة العظمى والداهية العميمة وهى حدوث الخرا عليها بلا انكار ومكابدة دفعه مع المشقة والاضرار لانه ثقيل فى الصرم خفيف فى الكم اذا ادرك الشخص بين ناسه خرى فى لباسه (قالت) له على سبيل الوفاء بالوصال ولم تدعه يقاسى ألم الحب والنكال (أنا رايحه اخرا) وفى رواية خاطرى اخرى والمعنى فى الذوق واحد ولكن الرواية الاولى اولى لتأكيدها من جهة الخرا كما لا يخفى على صاحب الذوق المستمع للعبارة والقارى لها أيضا والمعنى ان مرادى افرغ نفسى من هذه القضية فى نقرة اخرا فيها مثلا أو فوق سطح أو فى جنب شجرة اوفى الغيط اونحو ذلك كما هو عادة الفلاحين القاطنين فى الارياف فان المرأة منهن تجلس فى قضاء الحاجة وسط الزريبة أو فوق الكوم خارج البلد وأى نقرة وجدتها بابات وغوطت فيها لان دورهم ليس لها مراحيض يخروا فيها قال الشاعر

سألت بنى الارياف ما لبيوتكم * مراحيض قالوا الامر اسهل للقوم

فقلت فماذا تصنعوا فى نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالرجال من باب اولى ثم انها ارادت بقولها هذا تفهيمها اياه حالها وغرضها كأنها تقول له انى اذا اتيت اليك وصرت بين يديك ربما تضايقت من هذا الامر المشروح ورائحته عليك تفوح ولكن عندما ازيل هذه الضرورة ويفرغوا الاولاد من لعب الكورة أوفى بالوعد ولم الشتات (وأجيلك بتبات) أى بأمر ثابت محقق واجا لك فيه وأصله بالثاء المثلثة غير أن هذا من ألفاظ الارياف فكما أنهم يقولون فى الميراث ميرات بالتاء المثناة فوق فكذلك يقولون تبات ونحو ذلك بالمثناة الفوقية ووقع فى رواية اخرى اجيلك وابات لكن يكون فيه الايطاء وهو عيب فى الشعر وان كان مناسبا للمقام اذ هو شعر كلا شئ فعلى

الرواية الاولى يكون المعنى أنا قولى ثابت فى المجيء اليك والبيات عندك * والبيات مأخوذ من بيات الفراخ لان نساء أهل الريف يقلن للفراخ عند المساء بيت بيت فلعله مشتق من هذا المعنى ولا يضرّ ادخال حرف الجرّ على الفعل لانه مناسب لثقل الكلام وركاكته وبين بتبات وتبات الجناس المحرّف أو المصحف على اللغة الاصلية ويمكن أن يكون قوله رايحه بتبات أى هذه الليلة وقولها أجى وأبات أى الليلة الثانية كما لا يخفى فكان البيات الاول غير البيات الثانى وان كان هو عينه فى باطن الامر هذا نتيجة الفرق بين تبات الاول وتبات الثانى فان الاول منسوب لقول الرجل والثانى لقول المرأة ولعلها ارادت بتأكيدها فى البيات عنده عدم التعذيب بالهجر وسرعة تعطفها عليه كما هو شأن من يريد الوفاء بالوصال ويكافىء العاشق بلذة القرب والجمال وقالت فى نفسها هذه الصبية هذا المحب لا يرضيه منى الا ليلة على كمالها يتملى بتلك المقابح ويشم تلك الروائح وهى آثار جلة الغيط وارقد أنا واياه فى الفرن أو فى مدود الحماره أو على الجرن أو فوق الجلة الناشفة لان نهاره كله فى الحرات والتعب ولا يتفرغ لمحبوبته ولا لغيرها لكونه فى كد المعيشة وتعبها وهوانها ونصبها قال الشاعر

قالت تسافر يافتى * وتفارق الوجه الحسن
فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن
هم المعيشة فرقة * بين الاحبة والوطن

وتأكيدها فى البيات يفيد أيضا أنها تريد من هذا العاشق أنه يتهيأ لما يناسب حضرتها تلك الليلة من العدس والبيسار والفول المدمس ونحوه ومصدره بات يبيت بياتا * وقولها السابق اخرى لفظة الخرا فيها لغات ذكرها صاحب القاموس الازرق والناموس الابلق وقد تقدم معناه ويطلق عليه الغائط والعذرة ونحو ذلك انتهى * ومن أشعارهم القشروية

وقلت لها بولى علىّ وشرشرى * عريض القفا للنائبات صبور

هذا الكلام من بحر الخرا الطويل الذى عرضه من الحسينيه لبركة الفيل وتفاعيله هبيل مهابيل ومعنى كلامه الثقيل ولفظه الهبيل أن هذا القائل لما ولع قلبه بالعشق والغرام بحب هذه المليحة احتاج أن يتذلل لجمالها وأن يتمتع بمحاسنها وأن يتحمل منها المشاق والدواهى والبليات كما هو عادة المحبين ومذهب العاشقين خصوصا اذا كان العاشق به ضرب من الافلاس فهو فى اشد الاشتياق لمحبوبه بين الناس قال الشاعر مواليا

عشقت ذليت حلت الجوع جسمى حلت * وصمت عامين لما صمت يوم الشك
وحق من له الجبال الراسيات تندك * يستاهل العاشق المفلس طريحة صك

فالعاشق يحتاج الى ثلاثة امور أن يكون اجرى من كلب واوزن من صيرفى وأذل

من يهودى * وعشق الفسقة على أقسام عشق شفقة وعشق نفقة وعشق حدقة وعشق علقة فهى اربعة أقسام ونحن نوردها على اخواننا المتاعيس على التمام * فأما عشق الشفقة فهو أن يميل العاشق الى الولد الجميل أو المرأة الجميلة ويكون معه أو مع المرأة على حسب المراد وقضاء الحاجة والمدح فى محبوبه والشفقة عليه حتى يصير عليه أحنّ من الوالدة على ولدها ويدفع عنه المضرّات ويتحمل من اجله البليات ويكون حريصا على أمواله مشفقا على حوايجه مسرعا فى قضاء أوطاره حتى يقضى منه المراد على اتم حال قال الشاعر

لقد صرت فراشا لحبى وسائسا * زمانا الى أن نلت منه مراديا

وأما عشق النفقة فهو أن يكون الشخص صاحب ميسرة واموال فهو لا يحتاج الى تعب فى جلب محبوبه بل كل محبوب اظهر له الدراهم يحضر عنده على أحسن حال واتم منوال قال الشاعر

نخرة العشاق يامن عشقوا * ذهب يشتره اوورق
واذا باب الرضا قد أغلقوا * يفتح الدرهم ماقد أغلقوا
هكذا قد قال فى تنزيله * لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا

وأما عشق الحدقة فهو أن يكون من اخواننا الفقراء وقلبه يميل الى الملاح وليس له حيلة الا النظر الى الامرد الجميل وطرفه يشير اليه أنه مسكين وعاشق وفقير مفارق وليس معه من الدنيا الا الدعاء لحضرة هذا الجمال ثم يتذلل بين يديه بالدعاء بقوله اطال الله بقاءك ادام الله جمالك اسعد الله ايامك ونحو ذلك فيعرف الامرد من دوام نظره اليه ودعائه له أن مراده الوصال لما يرى من دوام النظر اليه وفقره وافلاسه قال الشاعر

ومانظرة الاوطى الا فراسة * وما تحت عين الغلق الا منجم

فيعطف عليه ويمكنه من نفسه ومؤلف هذا الكتاب من هذا القسم على حد قول القائل

ان أجد وجها مليحا * ألق فى القصة خفه * أو أجد هذا وهذا * لم أجد فى الحى غرفه
أو أجدها تيك جمعا * ألق فى الحارة زفه * فلهذا طول عمرى * تائب من غير عفه

وأما عشق العلقة فهو أن يكون العاشق عديم الذوق سيء الخلق كثيف الطبع والذات اذا رأى الامرد علق معه مثل الزنبور فلا يفارقه ولو ضربه بالمقارع أو صكه بالنعال لا يرجع عنه ولو عرض عليه أنواع البلاء وألقاه فى اشد المصائب لا ينفك عنه ولا يخلص منه الا بمراده كرها لا برضا قال ابو نواس

اذا رقد الندامى خل عنى * وعمن كان يصلح للدبيب
ألذ النيك ما كان اغتصابا * بمنع الحب او خوف الرقيب

ولعل الناظم من هذا القسم بدليل قوله بولى علىّ وشرشرى أى أن محبوبته لما رأته

عالقابها كعلوق النار فى الحطب أو الزنبور فى الخشب علمت أنه لا يفارقها الا أن يقضى مراده منها العدم ذوقه وصقاعة وجهه ولم تقدر أن تمنعه بصك ولا بشئ نجس فلاجل أن ينزجر عنها ويمتنع عن عشقها ويترك العلوق بها رفعت قميصها وأوهمت أنها تريد البول عليه أو على لحيته حتى تملأها ولكنها فى وهم منه وحيرة فأكد عليها بالقول وأمرها أن تفعل فقال (وقلت لها بولى على وشرشرى) أى أنى لا ابالى بما تفعلينه معى من النجاسة ولا أتكدر من الخساسة لانى عاشق مشوق وقليل الهندام والذوق وفى هذا المعنى يقول القائل

احبكم واخرى عليكم وعلى بابكم من فوق ▪ بالله اعذروا العاشق الخرا عديم الذوق

فلا أبالى بالبول على وعلى لحيتى لانى (عريض القفا) وتخينه ومن شان عريض القفا وبليد الطبع أن يكون (للنائبات صبور) وأن لا يضجر ولا يقاتى من البول وغيره ويصبر على حوادث الدهر ومصائبه لشدة بلادته وعدم ذوقه قال الشاعر

يعرض قفاه للهموم جميعها * وذا لسوء الطبع فهو بليد

وقوله بولى مشتق من المبولة على وزن مزبلة وهى شئ يعمل من الخوص أو الحلفاء يحملون عليها الزبل وربما يكون فيها الجلة والوحل فسميت باسم ماوضع فيها من تسمية الظرف باسم المظروف أو المحل باسم الحال ومصدره بال يبول بولا ومبالا ومبولة ومبلة أيضا وهى مايل ويتنع فيها الكتان فان قيل اذا كانت لفظة المبولة فيها هذه المصادر فلاى شئ اكتفى الناظم بقوله بولى على ولم يصرح فيها فيقول بولى على بولا ومبالة الى آخره قلنا يمكن الجواب القشروى عن هذا الكلام وهذه الاشكال الفشكلية وهو أن كلمة بولى فيها تكرار اذا تصرف فيها واشتق منها المصادر فيلزم من هذا اختلاف الوزن وخروجه عن قاعدة النظم فيكون الكلام ركيكا وان كان فى حد ذاته ثقيلا فاكتفى الناظم بقوله بولى أو يقال ان هذا من باب الاكتفاء وهو مايدل موجوده على محذوف قال الشاعر

بالت على مبالة ومبلة ▪ حتى اكتفيت ببولها وأنا أبول

أى وأنا ابول عليها أيضا المناسب بولها بولى لاجل اتفاق المعنى ومناسبة المحبة وائتلاف العشرة لانها لما بالت على بلت أنا الآخر عليها بيقين ومن الاكتفاء والاقتباس قول بعضهم

مليكة الحسن جودى باللقا كرما ▪ لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذى

أفسدت قلبى فقالت تلك عادتنا ▪ قد قال سبحانه ان الملوك اذا

أى اذا دخلوا قرية أفسدوها وقوله على أى بولى على ذاتى جميعها حتى يشمل البول شواربى ولحيتى وماجاورها بحيث لا يبقى فى منبت شعرة الا وقد عمها البول ظاهرا وباطنا وقوله وشرشرى معطوف على بولى وهى من لغة الارياف وقد وردت

فى القاموس الازرق والناموس الابلق وهى مشتقة من الشرا أو من الشر اومن الشرور أو من اولاد ابى شر يشروهم جماعة فلاحون أو من الشرشرة وهى آلة محددة تعمل من الحديد يضعها الفلاح فى حزامه اذا سرح فى الغيط يحش بها الزرع للبهائم وفى شر شر جناس مذيل وهو مشرشر وأكد على محبوبته فى القول بلفظ شرشرى لكونها انثى ولو كانت ذكرا لكان الانسب أن يقول له بل على وطرطر لان المرأة اذا بالت شرشرت بمعنى أن بولها ينزل من فرجها مشرشرا حكم أسنان الشرشرة لطول فرجها واتساعه بخلاف الرجل فان ايره ضيق المنفذ فكان المناسب أنه اذا بال طرطر لان بول الرجل يخرق فى الارض وبول الانثى يرش عليها قال الشاعر

اذا بالت الانثى على الارض شرشرت ▪ وان بال زب فهو فى الارض يخرق

وفى رواية رشرشت بتقديم الراء فيكون فيه جناس مقلوب والمعنى واحد ويؤكد ماقلنا أن عنترة لما رماه بعض الاعداء بسهم ومات به خاف أهل قبيلته وهم بنو عبس من العدو أن يدهمهم على حين غفلة ابن شعر واعوته وكانوا على أهبة سفر فاتفقوا أن يجعلوا ابنة عمه مكانه ويزيوها بزى رجل مثله ففعلوا ذلك وركبت الجواد وسارت أمام قومها فنظر العدو اليها فلم يشكوا فى كونها عنترة وتحيروا فى هذا الامر وكان فيهم رجل صاحب رأى وفراسة فقال لهم أنا اكشف لكم الامر وهو أنى اتوقع نزوله لقضاء الحاجة فان كان بوله يخرق فى الارض فهو عنترة وان كان مشرشرا فهى عبلة ابنة عمه ويكون عنترة قد مات فتعقب الرجل وكشف عن الحال فوجده عبلة فهجموا عليهم ودهموهم والقصة مشهورة فى محلها وقد تطلق الشرشرة على فعل الرجل لقول الشاعر

اذا المرء لم ينفعك والدهر مقبل * عليه ولم تخطر عليه ببال

فصوره فى وسط الكنيف بجمة ▪ وشرشر عليه عند كل مبال

وقوله عريض القفا على وزن صقيع اللحا وعريض القفا مشتق من العرض أو من العرضية وهى مايلف على الرأس بلغة الريافة ويسمونه أيضا الكتر أو من عارضة الباب قلت والانسب اشتقاقه من العارض وهو الغمام لان قفاه صار متعرضا للبول والصك وغيره كتعرض الغمام فى أفق السماء والقفا مشتق من القفوة أى قفوة الانكشارية التى يلبسها ملازموهم أو من القفة أو من القفقولة وهى بوشة صغيرة يطبخ فيها أهل الريافة طبيخ البيسار وقيل هو من قفوت الشئ اذا تبعته لان القفا دائما تابع للرأس ولا يفارقه أبدا الا عند قطعه ومتى سار سار معه قال الشاعر

الرأس يتبعه فى السير أربعة * وجه وذقن وآذان وعرض قفا

وقد يطلق القفا على ذات الرجل جميعها ويخاطب به الانسان اذا كان بليدا جبان القلب قال الشاعر

صاديابك يابحر الوفا وقفا ▪ فعاقه عنك نطع واقف وقفا

وفى هذا البيت الجناس التام المزيد وقوله للنائبات جمع نائبة وهى ما ينوب الانسان من البلايا والمشقات وقد تنتج من خبايا الايام وحوادث الدهر وعجائبه على وفق ارادة الله تعالى قال الشاعر

كن حليما اذا بليت بغيظ ■ وصبورا اذا أتتك مصيبه
فالليالى من الزمان حبالى ■ مثقلات تلدن كل عجيبه

ومصدرها ناب ينوب نيابة وقوله صبور على وزن عبور وقيل بمعنى صابر وعلى هذا أيضا يكون عبور بمعنى عابر وهو مشتق من الصبر أو من الصبارة التى تعلق على ابواب البيوت وقد تنبت فى بعض المقابر فهى لشدة مرارتها وحدوثها على حين غفلة وصبر الرجال عليها اشتق لها هذا الاسم من هذا المعنى وقد صرحت بما يقرب من معنى ذلك فى مطلع قصيدة قلتها فى شكوى الدهر وعجائبه وسرعة انقلابه فقلت

حوادث الدهر قد تأتى على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الكدر
واعددا لها من سهام الصبر سابغة * تقيك من شر ما ترمى من الشرر

الى آخرها هذا وقد أتى لفظ العبرايه بمعنى العبور فى نظم الشيخ بركات وسبب قصته أنه كان رحمة الله عليه من البلداء واتفق أنه سافر الى بلاد الروم ووصل الى مدينة القسطنطينية العظمى فصادف صديقا له مارا فى بعض شوارعها فسلم عليه وسأله عن حاله وحال الملك فقال له يا شيخ بركات قد أجازنى بكذا وكذا على قصيدة مدحته بها فقال له الشيخ بركات لا بد أن أمدحه أنا الآخر وأثنى عليه وكان صديقه هذا يعرف بلادته وسوء طبعه فنعه فلم يقدر على منعه عن الملك فطرق الباب وكان من عادة الملوك فى قديم الزمان انهم لا يمنعون أحدا عن أبوابهم فخرجت اليه امرأة عجوز وقيل جاءت له من خلف دار الملك كما سيأتى فى نظمه وقالت له ما تريد فقال أريد الملك فقالت له تاتى اليه فى وقت غير هذا وان كان ولا بد فعرفنا حالك نخبره به فأخذ دواة وورقة وكتب فيها يقول

بركات عبرايه * جا يسلم ما قدر شى * من عجوز خلف دار * كالاسود الضاريات

وطواها وأعطاها للعجوز وجلس ينتظر الجائزة من الملك قال فلما وقعت الورقة فى يد الملك وقرأ البيتين أمر باحضاره فلما مثل بين يديه ورأى ذاته وبلادته وثقل نظمه ورؤية لحيته ضحك عليه فقال له ما تريد قال الجائزة على هذا النظم قال وكان الملك صاحب ذوق ولطافة فقال له نعم أجيزك جائزة تناسب نظمك هذا ثم انه ألبسه برذعة حمار وأمر أن يجعلوا فى فمه اللجام وعلى طيزه الثفر كعادة الحمير ثم أمر أن ينادى عليه فى المدينة هذا جزاء من يمدح الملوك بمثل هذه الالفاظ ثم أنعم عليه بعد ذلك وأمر باخراجه من المدينة * قلنا ولهذا ذكروا أن الشاعر لا يهدى قصيدته الملك أو غيره حتى ينظر فى ألفاظها ثم يهديها أو يعرضها على أرباب الخبرة من أهل

الذكاء والفطنة لئلا يقع فى محظور ومثل هذا (ولنرجع) الى شرح نظم الشيخ بركات فنقول قوله (بركات عبرايه) جمع بركة وهو علم عليه مشتق من بركة الفيل بمصر أو من بركة الجمل وقوله عبرايه أى يريد العبور على الملك وتقدم اشتقاقه وقوله جا يسلم ما قدر شى أى أتى يريد السلام ما قدر والمانع له من السلام عجوز لها قوة شديدة وشدة فى منعه كالاسود اى السباع الضاريات العاديات التى تعدو على الانسان وغيره وتفترسه ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة اذا انحنى ظهرها وشاب رأسها فيصير قربها وجماعها غم الاعلى من يميل الى عشق العجائز ويفضلهن على ذوات النهود البارزات على حد قول الشاعر

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

(ويقرب) من هذا المعنى أنه وصف لابى نواس رحمه الله رجل حداد بمصر يقول الشعر ارتجالا فسار اليه متنكرا يختبر فصاحته حتى دخل مصر وسأل عليه فدلوه على حانوته فوقف عليه وسلم فرد عليه السلام فأنشد أبو نواس يقول

ماذا تقول رعاك الله فى رجل ■ اضناه حب عجوز بنت تسعين

فاجابه الحداد بقوله

يبكى عليه فقد أودى بمهجته ■ حب القباح وترك الحور والعين

فقال له أبو نواس مثلك لا يكون الانديما لامير المؤمنين فقال مالى ولامير المؤمنين أنا صنعتى تكفينى ولا حاجة بى اليه فتركه وانصرف * وقد تطلق العجوز على الخمرة اذا اعتقت وطال زمنها وقيل لبعض الحكماء من شر الناس قال العجائز وقال بعضهم فى تفسير قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه الصلاة والسلام فى حق الهدهد لاعذبنه عذابا شديدا قيل اراد أن يزوجه بعجوز وقال سيدنا على كرم الله وجهه اياك ومجامعة العجوز فانها تأخذ منك القوى وتهد الحيل وقيل الشابة من النساء شهوة والعجوز بلوة وذات الولد دعوة وذكروا أن أصل حرب البسوس من امرأة عجوز كانت تسمى البسوس وكانت لها ناقة ترعاها فضربها كليب بسهم فقتلها فذهبت الى جساس وألقت الفتنة بين الفريقين فاقتتلوا ووقع الحرب بينهم اربعين عاما وذكر بعضهم أن فتنة التتار التى لم يوجد فى الاسلام أعظم منها الا خروج الدجال كان سببها امرأة عجوزا (وأما حيلهن) فى القيادة وجمع النساء منهن للمفاسد فانها تغلب حيل ابليس قال الشاعر

عجوز السوء لا يرحم صباها ■ ولا يغفر لها فى يوم موت
تقود من السياسة ألف بغل ■ اذا حرنت بخيط العنكبوت

وقال بعضهم مررت بعجوز جالسة خلف بئر تبكى وتنوح فقلت لها ما الذى دهاك فقالت لى يا سيدى وقعت لى اسورة من ذهب فى هذه البئر قال فاعتقدت صدقها ونزعت ثيابى

ونزلت البئر فى طلب الاسورة فأخذت ثيابى وانصرفت وتركتنى عريانا ففتشت فى البئر فلم أر شيأ ثم خرجت من البئر فلم أرها فسرت الى منزلى عريانا ولبست ثيابا غيرها فكان هذا من حيل العجائز ومكرهن فحيلهن عجيبة وامورهن غريبة فينبغى التحرز منهن والبعد عنهن فهن اصحاب العجائب وارباب الدواهى والمصائب * فان قيل لفظة قدرشى فى نظم الشيخ بركات التى تقدم ذكرها بمعنى قدر فلأى شئ لم يكتف بها مع أنها أقل حروفا من قدرشى فكان حقه أن يقول جايسلم ماقدر وكان هذا اولى واخصر فى اللفظ قلنا هذا من باب قطع وقطع فان زيادة البناء تدل على زيادة المعنى فلفظة قدرشى أبلغ من لفظة قدر وايضا ربما اختل النظم فراعى فى ذلك زيادة الحروف لاجل وزن الشعر وأمار كاكة المعنى وثقل الكلام واختلاف القافية فلا تطالبنا به لبلادة قائله وكثافة طبعه انتهى (ومن أشعارهم القشروية البيتان الآتيان) وسببهما على ماقيل أن جماعة من الظرفاء جلسوا يتناشدون الاشعار وبينهم شئ من الحلوى والثمار فمر بهم رجل فلاح الهم والخزى على وجهه قد لاح فلما رآهم فى هذه الحالة انقض عليهم بلا محالة وقال لهم ذكرتونى زمان العشق للملاح وقولى فيهم بلا مزاح واراد أن يأكل معهم فحصل منهم انقباض فقال لهم لابد ما ارمى عليكم أنقاض أى ألغاز بلغة شعراء الريف ثم انشد يقول

والله والله العضيم القادر * هو عالما بسرايرى وخبايطى
ان عاود القلب المشوم ذكركو * لأقطعو من مهجتى بصوابعى

هذا الكلام من بحر الهلفطة والمعانى للشرمطة وتفاعيله متخلبطه متخابطه وعرضه بيقين من زنجيه لشربين وطوله باحتياط من السرو لدمياط وأما شرح معانيه المسخمطه وحل مبانيه المقمطة فقوله والله والله العضيم القادر يريد القسم غير أنه لم يقع الموقع لانه ذكر الصفة بالضاد المعجمة لا بالظاء المشالة جريا على لغة أمثاله من أهل الريف فاختل المعنى فى ذكر الصفة وان كان الموصوف الذى هو الاسم الكريم باقيا على حاله وقوله هو عالما بنصب عالما مع أنه مرفوع ليس على قاعدة النحويين الا أن لسانه لم يساعده على ذلك لان ألسنة أهل الريف تنصب المرفوع وترفع المنصوب كما يقولون عبد الرحمن برفع راء الرحمن وهذا من باب معرفة الكلام المناسبة لهؤلاء القوم وقوله بسرايرى وخبايطى السرا ير جمع سريرة وهو ما يسره الانسان من خير أو شر والخبايط جمع خبيطة على وزن عبيطة فخبايطى على وزن عبايطى مشتقة من الخبط يقال فلان خبط فلانا اذا ألقاه على الارض أو من الخباط على وزن الضراط ولفظة الضراط أنسب بالمقام بل هى اولى قال الشاعر

الخبط مشتق من الخباط * كذلك الضرط من الضراط

وتصريف هذه المادة خبط يخبط خبطا فهو خابط وذاك مخبوط وقوله

ان عاود القلب المشوم ذكركو * لأقطعو من مهجتى بصوابعى

هو جواب القسم والقطع هو فصل الشئ وبعده يقال فلان قطع فلانا اذا ابعده عنه والقلب مشتق من التقلب قال الشاعر

وما سمى الانسان الا لنسيه * ولا القلب الا أنه يتقلب

والمهجة معلومة والصوابع على وزن القراقع وهى معلومة أيضا واسماؤها الخنصر والبنصر والوسطى والسبابة والابهام فهى خمسة بيقين لاشك فيها ومعنى الكلام أن هذا البليد أقسم بالله العظيم القادر على كل شئ العالم بسرائره وخبايطه أى ما اسره من الافعال القبيحة والنيات الخبيثة وما يخبطه بالليل من سرقة الغنم والفراخ والبط فى الدور وقرط الزرع وسرقة الجلة وموالسته على زوج شريكه وأخذه بالليل ونحو ذلك من الخبايط التى يفعلها هو وغيره من اراذل أهل الريافة وقوله ان عاود القلب المشوم أى ان رجع الى محبتكم بعد ما قاسى من همومكم وترككم اياه وهو يتذلل لكم بالمحبة ويسرح لكم فى الغيط فى الحر ويصالحكم بالزبل ويسرق لكم الجلة وترسلوا له القفة يملاها خرا ناشف وزبل غنم ونحو ذلك ويسرح لكم بالليل يقرط لكم الغلة من غيطان الناس ومن زرعكم ويطعمكم وأنتم تشتغلوا بغيره وتهجروه ولا تعرفوا الجميل الذى فعله فهو الآخر ان عاد قلبه المشوم ووصفه بأنه مشوم لانه وافقه على محبة قليلين الخير ناكرين الجميل وقوله ذكركو بنصب الكاف الثانية جريا على اللغات الريفية كما تقدم أى تذكركم بعد هذا كله لاقطعو من مهجتى أى أنزعه منها بصوابعى وفى رواية بضوافرى والمعنى واحد لان الضوافر تابعة للاصابع فان قيل ان القلب لا يتصور قطعه الا بعد موت الانسان لو فرض ولا يمكن الشخص وهو فى حالة الحياة نزع قلبه ولا قطعه فما وجه كلام الناظم قلنا الجواب أن هذا قطع معنوى لا حسى بمعنى أنه يزجر قلبه ويمنعه عن ذكرهم بحيث انه لو صور بين يديه وخالفه لقطعه بصوابعه أو بضوافره كما تقدم ومن هذا المعنى قول العارف بالله محمد بن عروس نفعنا الله تعالى به

ياقلب لاكويك بالنار * وان كنت عاشق لا زيدك
ياقلب حملتنى العار * تريد من لا يريدك

وقوله من مهجتى فيه شئ فان القلب ليس فى المهجة وانما هو فى الصدر مما يلى الشق الايسر فهذا من عدم معرفته وقلة ذوقه اذ لو كان له أدنى ادراك ومعرفة لم يقل هذا الكلام ولم يجعل القافية على هذا النمط لان قافية البيت الاول خبايطى والثانى صوابعى أو ضوافرى وهو غير الوضع العروضى ولا يساوى قشرة بيضة وناظمه اثقل من حجارة المبضة غير أن قائله من ارباب القحوف المقلوبة والمناسبة مطلوبة (مسئلة هبالية) لاى شئ ذكر القطع بالصوابع ولم يقل بالسكين أو الموسى اذ من شأن القطع أن يكون بآلة محددة وكون القلب لحما لا يتجه قطعه بالصوابع ولا بالضوافر قلنا الجواب القشروى أن يقال

انما ذكر القطع بالصوابع لكونه أخف فى الالم من السكين أو لان الحركة والعمل لا يتأتى الا بالاصابع اذ لا يمكن أن يقطع الشئ الا بيده واصابعه فهو حينئذ لا يستغنى عن الاصابع فيكون فى الكلام حذف والتقدير لاقطعو من مهجتى بسكينة قابض عليها بصوابعى ومن هذا المعنى قوله تعالى فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا أى مما حكاه الله تعالى عنهم بقوله وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك أو ان السكين اذا قطع بها قلبه يمكن أن يقال فلان جرح نفسه بسكين أو قتل نفسه بها فذكر الاصابع هنا لينفى عن نفسه الريبة أو انه من باب خلبطة النظام وعجرفة الكلام ولو قال لاقطعو من مهجتى بصوابعى وسكينتى لكان اولى للجمع بينهما اى الصوابع والسكين الا أن الناظم الهبيل لم يساعده الوزن على هذا المعنى الثقيل فاعجه الجواب وبان الصواب * ومن أشعارهم مواليا

هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك ■ وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك
يامن عجنتى قلبى فى وحيلاتك * يا ريتنى قرص جله بين ادياتك

هذا القول العكيس والنظم الخسيس والمعانى الغلسة والالفاظ الهبالية من خرافات الاسرائيلية والتشابيه التى خرجت عن الاوضاع وتمجها النفوس والطباع وهو ان ثبتت اوزانه وتخلبطت اركانه فهو على اربع تفاعيل مستخبط خابط مستخبط خبط وطوله باتفاق من الخانكه لبولاق وعرضه يقين من باب زويله لسويقة السباعين ومعناه غريب ومبناه عجيب فقوله (هباب فرن ابن عمى كيف كحلاتك) يريد هذا العاشق البليد التشبيه الخارج عن الماهية الجارح للقلوب عند سماعه فكأنه يشبه الرزية وهذا من العجب العجاب أن هذا البليد الطبع شبه كحل محبوبته بالهباب لكن هو الانسب لها ولعشقه اياها وشبيه الشئ منجذب اليه والطيور على أجناسها تقع وخص الهباب بفرن ابن عمه لانه لم يكن فى بلده اكبر منه ولا اكثر هبابا وأن غالب نساء الكفر تخبز فيه العيش وتطبخ فيه الطعام فيتراكم الهباب فلكثرة تراكمه يسود سوادا شديدا فلهذا أوقع تشبيه كحلاتها بسواده وقوله ابن عمى ولم يقل فرنى لكونه كان فقيرا لا فرن له الا بالمصحيف وهذا من قبيل التغزل القشيرى لانه لما عشق هذه المليحة ورأى الكحل فى عينيها اراد أن يتغزل فيه بما يناسبه ويشبهه بتشبيه لا يكون خارجا عن الماهية فنظر ببلادة طبعه فلم ير شيا اسود منه فشبه كحلاتها بذلك لان الشخص اذا ألف محلا صار يرى كل ما فيه حسنا وكذلك اذا ألف شخصا لا يراه الا بعين الكمال ولا يشاهد فيه عيبا الا ويلوح له ما ينفيه عنه ويشفع عنده فى قبوله قال الشاعر

واذا الحبيب أتى بذنب واحد ■ جاءت محاسنه بالف شفيع

وقال اخر

يقولون فى البستان للعين نزهة * وماء نمير صفوه غير آسن
اذا شئت أن تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

(وعادة نساء الارياف) أنها تهوى الافران لاجل تدميس الفول وطبيخ البيسار وتقمير البتاو وتنفيض الثياب من القمل ونحو ذلك فكانت هذه المحبوبة تحب تراكم الهباب عليها لكثرة اشتغالها بالخبز والطبيخ فشبه كحلاتها به لكونها دائما فى هذه الحالة وهذا من باب قولهم سخام بهباب ثم انه لما شبه كحلاتها بسواد هباب فرن ابن عمه مشيرا اليها أنها تفهم من ذلك أنه محب لها ومصر على عشقها أراد أن يشبه مدلاتها أيضا ليحصل لها بذلك غاية المدحة بين نساء الارياف وأن يكون التشبيه من ماهية ما سبق من تشبيه كحلاتها فقال (وحبل طور ابن خالى كيف مدلاتك) هذا الكلام فيه تقديم وتأخير وتقديره أن مدلاتك فى الطول تشبه حبل طور ابن خالى والمدلات سلاسل من فضة تعلق على الاصداغ وترخى الى الصدر ويجعل فى آخرها جلاجل من فضة وبرق ونحو ذلك وتسمى أيضا مضنات كما هو مشهور عند نساء الارياف (فان قيل) هذه نحو من ذراع أو أقل منه وحبل الثور ربما يكون أكثر من ذراع أو ذراعين غير ما يكون ملتفا على اذنيه فما وجه هذا التشبيه وما حكمه (قلنا) هذا من باب الغلو فى الشئ والتفنن فيه لانه لما عشقها ورأى هذه المدلات مرخاة على صدرها ولم ير فى بلده أحسن من ثور ابن خاله ولا أطول من حبله شبه مدلاتها به وأتى بهذه الاشعار الذميمة والتشبيه الخسيس ليناسب نظمه التعيس وأما كونه حرم نفسه من أن يقبل كلامه عند محبوبته التى خاطبها باستعارته ثور ابن خاله وحبله وكذلك فرن ابن عمه وهبابه ولم يذكر شيأ يدل على المال حتى يلين قلب محبوبته فهذا من شدة فكره وقصر ذيله وشقاوته وظهور حاله أنه عاشق مفلس فليس له دواء غير الصك بالنعال كما قالوا فى هذا المعنى مواليا

اللى معه مال لو طلب الثريا نال * واللى بلا مال صكوه الملاح بنعال
وان كان معك مال هاته تبلغ الآمال * ما كان معك مال طردولك الملاح فى الحال

فاتضح الحال وظهر المقال عن هذا الكلام المشلوق الوارد من عديم الذوق وقوله طور ابن خالى بالطاء المهملة جريا على لغات الارياف لانهم يبدلون الثاء المثلثة فى الثور بالطاء أو بالتاء المثناة فيقولون طور وتور (يامن عجنتى قلبى فى وحيلاتك) هذا البليد الطبع الخسيس العقل لما وجد محبوبة قلبه تعجن الوحل والطين عقب المطر يعنى أنها تلمه وتدوسه برجليها كما هو عادة نساء الارياف اذا نزل المطر فى الزريبة واختلط بالجلة والزبل والطين فيجعلوه معجنة كبيرة ويكون فيها الزبل والجلة والوحل بيقين ويسموا مجموع ذلك وحلا وقد يطلق على فرد من تلك الافراد عند أهل الريف ثم انهم يجعلوه جواليس ويلبسوا به بيوتهم وافرانهم وربما جعلوا منه مداود للبقر وغير ذلك مما يحتاجوا اليه فلما رآها

فى هذه الحالة أخذت قلبه وعجنته برجليها فى هذا الوحل خاطبها بياء الندا تنبيها لها على أنه لا يجوز من المحبوب أن يتملك قلب المحب ويعجنه ويدوسه فى الوحل والجلة والزبل وغير ذلك بل يترفق به ويرق له ثم انه استشعر من ذلك سؤالا كأن قائلا قال له المحب ليس له تصرف فى نفسه بل القلب والروح لمحبوبه فلو أنها ألقتك وزقتك وقلبك فى الخرا مثلا فضلا عن الوحل لا تلمها فتمنى أن يكون قرصا من الجلة بين يديها وأضاف الوحل اليها لانها مالكة له ومتصرفة فيه ويفهم من هذه العبارة أنها كانت تعجن الوحل فى محلها حتى يكون ملكها وأن الوحل كان فى زريبتها بيقين كما أن الجلة والزبل فيها أيضا وقوله وحلا تك تصغير وحلات وقوله (ياريتنى قرص جله بين اديا تك) حينئذ تأكيد وبيان أن المعجنة التى كانت تعجنها وتدوسها برجليها كان فيها الجلة والزبل بيقين وقوله ياريتنى قرص جله الى آخره بابدال اللام راء فى ريتنى من لغة الريافة وأصلها ياليتنى وقد وجدت فى القاموس الازرق والناموس الابلق والمعنى انى أتمنى أن أكون بين يديها قرص جله من هذا الوحل الذى عجنته وأكون وحل ابن وحل أى وحلا بطريق التمنى وابن وحل بطريق التشبيه فاتجه الجواب عن هذه اللغة الفشروية ونزل نفسه منزلة قرص جلة وهو شئ خسيس اشارة الى أن العاشق ذليل حقير عند محبوبه فشبه نفسه بهذا التشبيه الحقير المشابه للجيمة التعيسة وتمنى أن يكون قرص جلة بين يديها وهذا هو الانسب لمحبوبته لانها دائما فى عمل الجلة وتلزيقها وعجنها فهى دائما فى هذا الامر فأتى لها بما يناسب حالها وما تحبه وأعز ما يكون عندها الجلة والوحل فما أخس هذا العاشق وما أرذل هذه المحبوبة وقوله بين اديا تك هذه لغة أهل الريف والمعنى انى أتمنى أن أكون قرص جلة تقلبينى بين يديك من اليمين الى اليسار مثل ما تفعلى فى قرص الجلة حتى انى ألتذ بكونى مرفوع فى يديك وتمس ذاتى اصابعك فتحصل لى الراحة ويزول عنى ألم المشقة ولو أن صورتى انقلبت قرص جلة فانى لا أبالى من النجاسة ولا اسام من الخساسة لما فيها من الراحة وبلوغ المنى ونحو ذلك ويقرب من هذا المعنى قولى

وهيفاء لما جئتها حين حلبها ■ تمنيت أنى مرطها وثيابها

لكن هذا تمن ظريف فى محبوبة لطيفة (مسئلة هبالية) لاى شئ اقتصر فى العبارة على الوحل وكان حقه أن يضيف اليها أيضا الجلة والزبل حتى يصير فيها مجموع الثلاثة (قلنا الجواب الفشروى) أنه اذا كان الوحل ثابتا بيقين فيكون الزبل والجلة فيها من باب اولى فلا اعتراض على الكلام واتجه الجواب بلا ابلام (وقوله) هباب على وزن تراب أو كلاب أو سراب مشتق من هبوب الريح أو من هبهبة الكلاب قال الشاعر

لقد هبهبت لما رأتنى كلابها ■ فقلت محبا قد علانى هبابها

(وهبهب) وادفى جهنم (وفى الاحياء للغزالى) فى كتاب ذم الكبر والعجب

عن

عن محمد بن واسع قال دخلت على بلال فقلت ان اباك حدثنى عن أبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان فى جهنم واديقال له هبهب حق على الله أن لا يسكنه الا كل جبار واياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه ومصدره الهباب يقال هب يهب هبابا وسمى بذلك لكونه يهب من الافران (وقوله ابن عمى) العم أخو الاب وقد يطلق ويراد به الاب كما يطلق الاب ويراد به العم مثل قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزر فان المراد به عمه لان العرب تخاطب العم بلفظ أب وهو مشتق من العمى أو من العموم ومصدره العم يقال عم يعم عما هذا ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به السواد الذى هو ضد البياض وهو أقبح الالوان (كما اتفق) أن بعض الملوك ارسل اليه بعض الاكابر هدية لا تليق به وهى عبد أسود فقال الملك لكاتبه اكتب له بوصول هديته وأوجز فكتب اليه أما بعد لو وجدت لونا اقبح من السواد وعددا أقل من واحد لارسلته الينا والسلام ويقال ان السواد ماخوذ من السودد وهو العلو والرفعة وتصريفه ساد يسود سودا وسوددا (وقوله) كحيلاتك الكحل مشتق من المكحلة أو من الكحال أو من تذكرة الكحالين قال الشاعر

جبال الكحل تفنيها المراود ■ وكثر المال تفنيه السنين

(وفى الحديث) اكتحلوا بالاثمد المطيب فانه يحد البصر والسنة الاكتحال به وترا عند النوم (وقوله) وحبل طور ابن خالى الحبل مشتق من الحبلى او من الحبالين والطور تقدم معناه وهو مشتق من الطور او من الطارة التى يصيدوا بها السمك وأما بالثاء المثلثة وهى اللغة الفصيحة فهو مشتق من ثوران الارض لانه يثيرها بالحرث لانه معد لذلك وللساقية أيضا بخلاف البقرة فانها معدة للحلب والولادة قال ابن سودون مواليا

التور والبقره دى العام ومن قبله ■ فى مصر والشام مع غزه مع الرمله
فدى بتحبل وتولد عجل او عجله ■ والتور فى الساقيه يا كل بفرقله

(وقوله) ابن خالى الخال اخو الام فعلى هذا يكون الناظم ابن اخت صاحب الثور والخال مشتق من الخيلاء أو من الخيل أو من الخلخال أو خيال الظل ومصدره الخيل يقال خال يخيل خيلا ويطلق على الخال الذى يكون على خد المحبوب فيزيده حسنا وجمالا كما قال أبو نواس

يكون الخال فى خد قبيح ■ فيكسوه الملاحة والجمالا

(وقوله) كيف مدلاتك المدلات واحدته المدلة على وزن مبلة أو المدلة مشتقة من الدل أو الدلال قال الشاعر

له دلال ودل زانه غنج ■ سبحان من خصه بالحسن فى الناس

أو هى من التدلية لكونها تدلت على الصدر أو على الخوران أو الاكتاف ونحو ذلك ومصدرها التدلى يقال تدلت تتدلى تدليا فهى مدلاة (وقوله) عجنتى

العجن مشتق من المجنة أو من العجين قال الشاعر

والعجن مشتق من العجين * كذا من العجان باليقين

ومصدره العجن يقال عجن يعجن عجنا وتقدم تعريف القلب واشتقاقه (وقوله) فى وحيلاتك العبارة من وحل وفيها الوحل أيضا وهو مشتق من التوحل ومصدره الوحل يقال وحل يوحل وحلا وقد يخاطب به الشخص فيقال يا وحل مثلا أى من طبعه وخصاله تشبه الوحل نجسة خبيثة (وقوله) ياريتنى قرص جله القرص هو الشئ المدور مشتق من التقريص أو من القراصة أو من القرصة ومصدره القرص يقال قرص يقرص قرصا والجله فيها أيضا وهى مشتقة من جلة البهائم (وقوله) بين اديانك جمع يد وقد ورد هذا اللفظ عن القاموس الازرق والناموس الابلق قال الشاعر

جاءت لنا بأديات تشير لنا * تمشى اليها سحيرا بالرجيلات

(وفى نسخة اخرى) ياريتنى قرص جله بين رجيلاتك والمعنى واحد فى النجاسة وعلى القول الثانى تكون الرجيلات جمع رجل وهى من الترجيل أو من الرجلة قال الشاعر

اذا اشتقت الرجلات فهى كرجلة * والافرجل كالترجل اذورد

ومصدرها الرجل يقال رجل يرجل رجلا والرجلان مثنى الرجل * وفى الابيات من انواع البديع تشبيه شيئين بشيئين لانه شبه سواد كحيلاتها وطول مدلاتها بهباب الفرن وحبل التور ولبعضهم

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

(ومن أشعارهم أيضا) مواليا

سألت علحب قالوا اشت ملتايه * مسحت دمعى بكرسايه وجلايه

وشلت وجهى لربى قلت مولايه * جاب لى رغيف وعجوره وقتايه

هذا المواليا ثقيل الاوضاع تمجه الطباع قليل المعانى ركيك المبانى خسيس النظام وهو من برز بل الكلام وطوله باتفاق من هنا البولاق وعرضه بدستور من الجيزة لبولاق التكرور وتفاعيله مستثقلن ثاقلن مستثقلن ثاقل ومعناه الذميم لا يهواه صاحب الذوق السليم وقصد هذا البليد من هذا المعنى السقيم الاكيد ان قوله (سالت علحب قالوا اشت ملتايه) يريد به أنه لما عشق هذا المحبوب وزاد به العشق والوجد والغرام اكثر من ذكره وصار دائما لا يفارقه طرفة عين فان من أحب شيأ أكثر من ذكره ولو أنه فى أعظم المشقات واصعب البليات قال عنترة بن شداد

ولقد ذكرتك والرماح نواهل * منى وبيض الهند تقطر من دمى

فوددت تقبيل السيوف لانها * لمعت كبارق ثغرك المتبسم

والعاشق يتلذذ بذكر محبوبه واذا ذكر عنده ربما تختلج اعضاؤه عند ذكره شوقا اليه (كما اتفق) أن رجلا زاد به العشق فمرض فأتوه بطبيب فأخذ يجس نبضه

ثم قال الطبيب لغلامه هات الفرجية فتحرك نبض المريض فقال الطبيب أنت عاشق ومحبوبتك اسمها فرجية فقال له نعم ياسيدى فقيل له من أين عرفت ذلك فقال أمسكت نبضه وذكرت الفرجية فتحرك فعلمت بالفراسة أنه عاشق ومحبوبته اسمها فرجية ومن هذا المعنى ماذكرته فى بعض القصائد من قولى

شكوت مابى فقال الصحب أجمعهم * انظر طبيبا لقد امسيت فى وجل

فرحت نحو طبيب كنت أعرفه * يدرى رسوم الهوى بالقول والعمل

ناديته يارعاك الله خذ يدى * وانظر لحالى وداو القلب من علل

فجس نبضى وقال الحب فارتعدت * فرائصى وفؤادى صار فى خجل

وقال أنت سقيم فى هوى قمر * بديع حسن رنا بالاعين النجل

الى آخر الابيات فلهذا أراد هذا العاشق استفسار الخبر عن محبوبه وأن يعلم محله ومنزله ويسأل عن حاله وفى أى مكان هو لاجل الاجتماع به وبلوغ المطلوب منه فسأل عنه كما تقدم فقال له الجماعة المخاطبون جوابا لسؤاله ان محبوبك الذى تسأل عنه شت أى ذهب وراح من التابة وهى محل يجعلوه الجماسة على شكل دائرة او نصف دائرة من القلقيل والطين وربما جعلوا له سقفا من الغاب والحشيش مثل بيت صغير ويضعوا فيه اوانى اللبن لاجل عمل الجبن واجتماعهم فيه ويسموه التابة فيقال تابة الجماسة وتابة الغنامة ونحو ذلك مما هو مشهور بينهم وهذا كله فى زمن الربيع فانهم يمكثوا هذه المدة على تلك الحالة وربما لطخوها بالجلة والوحل أيضا لاجل تمكين البناء وسميت بذلك لانها تاوى هؤلاء الجماعة وتقيهم من الحر والبرد فعلى هذا يكون محبوبه من اولاد الجماسة أو الغنامة الذين هم رعيان الجاموس أو الغنم بدليل أنه سأل عنه الجماعة القاطنين بهذه التابة فلما علم أنه شت منها باخبارهم له تشتت شمله وأدركه البكاء والنواح عليه بدليل قوله (مسحت دمعى بكرسايه وجلايه) أى حين علم أن محبوبه سافر وشت من التابة ولم يعلم خبره وكان ذهابه من التابة لاحد امور اما أنه انكسر على أبيه مال السلطان فهرب لئلا يأخذوه عنه رهينة أو أنه راح فى طلب عجلة أو بقرة أو تور رفشت فى البرارى لينظر ماذهب منه فسأل هذا العاشق الطفس عن هذا المحبوب الغلس فلم يجده فبكى على فراقه كما هو عادة العشاق واسلوب المحبين وسال دمعه وامتد سيلانه وربما اختلط بمخاطه أيضا (كما اتفق) أن بعض العشاق المغفلين قال لصديق له هذه الابيات

اذا ماذكرتك يامنيتى * يسيل المخاط على لحيتى

وليتك عندى اذا ماخريت * يكون لسانك فى ثقبتى

نسيمك عطل ماء السما * واورثنى الكسر فى ركبتى

فان لم تغثنى بلطف الدوا * فان الهوى مسهل معدتى

فلكثرة شوقه وعشقه لهذا المحبوب قال مخبرا عن حاله مسحت دمعى بكسر الدال

المهملة جرياعلى اللغة الريفية أى لما حصل لى هذا الامر مسحت دمعى السايل مع المخاط الذى هو من لوازمه بكرساية فلم يتيسر مسح جميعه فمسحت باقيه أيضا بجلاية أى أنه استعارله مسحتين عوضا عن محرمتين وهذا مما يناسب عشقه لهذا المحبوب وأيضافيه مناسبة لحال العاشق لانه دائما فى قطع الكرس وشيل الجلة وعجنها ولزقها وكذلك المحبوب فالخسسة علة الضم والاشياء مناسبة لبعضها البعض اذلوقال مسحت دمعى بمنديل أو بمحرمة لكان هذا بعيدا عن الفلاح لانه لا يتصور أن يكون له محرمة أومنديل الا نادرا الان الظريف من أهل الريف اذا فرغ من الاكل مسح يده فى كمه أوفى لحيته فما بالك بغيره مثل هذا العاشق فانه لا يتصور منه لبس يليق بهذا المعنى ولو سلمنا ذلك وان كان نادرا كما تقدم فقد لا يتفق ذلك فى وقت سؤاله عن محبوبه لانه سأل عنه أهل التساية وهم دائما فى حالة رذلة من الجلة والطين ونحوذلك وهو أيضافى حكمهم ومتخلق باخلاقهم ومحبوبه كذلك بل هو واسطة عقدهم فى الخساسة ورئيسهم فى النجاسة ولا يتصور أن يكون مع أحدهم منديل ولا محرمة لان مناديل الجماعة فى الغيط ذقونهم ومحارمهم اكمامهم وربما مسح الشخص منهم يده فى قرص جلة أوفى القلقيل أوفى الحشيش أونحوذلك (فان قيل) لاى شئ مسح دمعه بكرساية وجلاية وكان الاولى أن يمسحه بكمه أوبطرف كرة أو بشئ كان عليه من ملبوسه (قلنا) لعله لم يكن عليه الا مايستر به عورته فقط أوكان عريانا كما هو دأب الفلاحين فى غالب اوقاتهم الكبير منهم عليه مايستر العورة لاغير فربما كان وقت سؤاله عريانا فى حفر بئر أوقناة اوشيل زبل اوجلة اونحوذلك ومحبوبه على هذه الحالة ومن هذا القبيل أوأنه لشدة بلادته وعدم ذوقه وكثافة طبعه لم يتيقن أن الكرساية والجلة نجاسة كما هو عادة الفلاحين أنهم لا يتحاشوا عن هذه الامور فمسح دمعه بها أوأنه من الخضوع القشروى والتذلل لمحبوبه أوأنه اراد أن يفهمه اذا رجع واجتمع به أنه مسح جبينه ووجهه ودموعه بكرساية اوبجلاية ليتحقق أنه محب له وأنه تعاطى لاجله أخس الاشياء والاولى أن يقال ان هذا من باب المناسبة لحال العاشق وحال المعشوق لان الشخص من اولاد الفلاحين ينشأ من حين ولادته الى أن يموت فى الجلة والطين وشيل الزبل ونحوذلك واذا جلس لا يجلس الا على النجاسة وربما أكل وشرب على الزبل والجلة ونحوذلك فهم خرا اولاد خرا فكان مسحه بالجلاية والكرساية فيه مناسبة بهذا الاعتبار فلا يؤثر عنده المسح بذلك كما هو عادة ارباب التسايات واحوال الفلاحين كما تقدم فاتضح الجواب من وجوه شتى ثم انه لما مسح دمعه وأفاق لنفسه وتيقن أن محبوبه يطول رجوعه اليه ورأى نفسه جيعان ولم ير احدا يرسله الى داره ليأتيه بشئ يأكله من الخبز الشعير والجبن القريش والبصل ونحوذلك كما هو عادة الفلاحين فى الغرما أكلوا هم لم يكن له صبر لان الجوع يضر بالانسان خصوصا مثل هذا الفلاح لاسيما اذا كان فى حالة حفر البئر اوشيل

الطين اوتحت قناة اوشيل الوحل وترا كمت عليه الدواهى والتعب من عقب حفر البئر اوشيل الطين او العشق الذى هو فيه وزيادة على ذلك بكاؤه وسيلان دموعه وامتزاجها بمخاطه وقد ابطأ عليه الغدا فاضطر اضطرارا شديدا وساخت عليه نفسه لانهم يقولوا الجوع كافر (وسمعت) بعض الفقهاء يقول لما خلق الله النفس سلط عليها انواع البلايا وقال لها من أنا فقالت أنت أنت وأنا أنا فسلط عليها الجوع وقال لها من أنا فقالت أنت الله الذى لا اله الا أنت فكان الجوع على النفس أصعب عليها من غيره ولهذا ترى الشخص اذا صبر عليه يصح جسمه وينشط للعبادة (وقال بعضهم) تأكل كثير تنام كثير يفوتك خير كثير قال الشاعر

اذا شئت أن تحيى صحيحا منعما ■ فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره ■ اذا قل أكل المرء عاش طويلا

فلما اشتد بهذا الفلاح هذا الامر أخبر عن نفسه وقال فى مناجاته لربه (وشلت وجهى لربى قلت مولايه) أى لما طال على الزمن فى حالة بكائى وفى مسحى الدموع وأشرفت نفسى على الهلاك من ألم الجوع وغيره كما تقدم شلت وجهى لربى أى رفعته وهذه لغة ريفية وردت فى القاموس الازرق والناموس الابلق كما يقال عندهم فلان شال وجهه أى رفعه وقوله لربى أى لخالقى ومربيى ثم دعوته وقلت مولايه وحذفت ياء النداء لضرورة النظم وأما الهاء فى مولايه فلاجل الروى ثم كان من ضمن دعائه أنه قال أطلب منك يا ربى ومولاى أن تيسر لى ما آكله والتهى به عن الانتظار لهذا المحبوب الذى اذهل عقلى واجاع نفسى وأسال مخاطى ودمعى فعند ذلك استجاب الله دعاءه كما اشار له بقوله (جاب لى رغيف وعجوره وقتايه) أى سخر لى انسانا أعطانى مجموع هذه الثلاثة وأكلت وسددت مجاعتى وحصل لى غاية المقصود لان الله تعالى مع المنكسرة قلوبهم (فان قيل) استجابة الدعاء لها شروط أن يأكل حلالا ويشرب كذلك وهذا الفلاح فى وقت دعائه متضمخ بالنجاسة وهى مسح وجهه بالكرساية والجلة ووقوفه أيضا ينتظر هذا المحبوب لاجل ما يرقعه جنب المدود أوالجرن وأيضا هو لا يعرف الحلال من الحرام ومع هذا عجل الله له ما ذكر وهو الرغيف ومامعه (قلنا) انما عجل الله له هذا من باب الاستدراج أومن باب ماورد ان الرجل الخبيث اذا دعا يسرع الله له بالاجابة بخلاف الرجل الصالح فان الله تعالى يحب تكرار دعائه اليه وقد قيل فى قوله تعالى فى حق سيدنا موسى وهرون عليهما الصلاة والسلام قال قد أجيبت دعوتكما أى بعد أربعين عاما (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى ذكره فى الابيات الكرس والجلة والرغيف والعجورة والقتاية وهذا لا يناسب ذاك ولا يجتمع معه فان الشخص لا يمكن أن يأكل القتاية والعجورة بالجلة والكرس نعم يمكن بالخبز وغيره مما يناسب فما فائدة ذكر ذلك مع أن فيه انواع النجاسة (قلنا) لعل هذا من باب تعدد الاسماء وقد ذكروه نوعا من البديع

فالكرسايه واحدة الكرس والجلايه واحدة الجله والمجورة والقتايه كذلك وذكر القتايه بالتاء المثناة لغة ريفية فيكون بينها وبين اللغة الفصحى الجناس المصحف فاتضح الجواب وزال الاشكال عن وجه هذا الهبال وأما حل هذه الابيات واشتقاقها فقوله سألت عن الحب السؤال هو أن يسأل الشخص عن شئ وهذا من باب تحصيل الحاصل وهو مشتق من السيل أو من السولية أو من السيالة ومصدره السؤال يقال سأل يسأل سؤالا والحب مشتق من المحبة أو من المحبوب وهو بكسر الحاء اسم لزير الماء (وسمعت امى وأنا صغير تقول ياشي من شي بطنى على بطنه والمدلى يعمل شغله ولم أفهمه الا بعد مراجعة أمى مرارا انه زير الماء والكوز ومصدره الحب يقال حب يحب حبا وقوله شت مشتق من الشتات أو من الشيته التى تستعملها النساء لحر الكتان والتايه مشتقة من التوهان أو من وادى التيه وقوله مسحت من المسحة على وزن المروحة أو من المسحة على وزن دبحة ومصدره المسح يقال مسح يمسح مسحا والجلايه كذلك من معناها والكرسايه من التكريس أو من كرس الزريبه وقوله شلت وجهى الشيل مشتق من الشالية التى يوضع فيها اللبن أو من الشلف الذى يشال فيه التبن ومصدره الشيل يقال شال يشيل شيلا والمجورة من المجر أو من المجيرة وهى حشيشة معروفة ومصدرها المجر يقال مجر يمجر مجرا والقتايه مشتقة من القت الذى يربطوه الحصادين من الفلاحين ايام حصاد الارز وهو معروف عندهم وفى البيت من انواع البديع المقابلة لانه قابل وجهه بالكرسايه وقابل لحيته بالجلايه وقابل بطنه بالرغيف والمجورة والقتايه وهذا يدل على أنه كان مشغولا ببطنه أشد من اشتغاله بمحبوبه وفيه الطباق المعنوى أيضا لكونه طوى ذكر الجوع وشكايته ثم ذكر بعض مايدل على ذلك فانظر وفقك الله ماحوى هذا النظم القشروى من غموم وهموم ومعانى عليها الخراطوم لا يعرف الا بالذوق ولا يدرك الا بالشوق (ومن أشعارهم مواليا)

رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك ■ ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك

الاوكلاف يقول لى ياصبى مالك ■ طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك

هذا المواليا من بحر التخبيط وهو على اربعة اضرب من التخابيط وتفاعيله مستلهطن لاهطن مستلهطن لاهطن وطوله من غير حصر من شبرى لمصر وعرضه مع المصيبة من باب النصر للصليبة ومعنى ألفاظه الخويطة وحل معانيه العبيطة أن قوله (رقاص طحونتنا يشبه لخلخالك) أى رنة خلخال محبوبته وسماعه اذا خطرت ومشت يشبه رنة رقاص الطاحونة خصوصا اذا كان خلخالها من النحاس المطلى بالقزدير كما تفعله نساء الارياف أو من الحديد فعلى هذا يكون المشبه به السماع والحس لا نفس الرقاص وسماعه يظهر عند دوران حجر الطاحونة فيكون هذا الصوت الذى شبه به صوت خلخالها ناشئ من بين الحجر والرقاص ولهذا عرفوه بأنه الهواء المنضغط

بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع فاتضح المعنى واندفع الاعتراض عن الناظم والا لو كان المشبه به نفس الرقاص لم يكن هناك فائدة لكلامه الاعلى تقدير مضاف أى صوت رقاص طحونتنا الخارج منه ومن الحجر يشبه لصوت خلخالك الخارج من بين الفردتين اذا مشيت ويفهم من هذا أنها كانت تلبس فى كل رجل حجلا كاملا لاجل ظهور الصوت فان قيل ان رقاص الطاحونة له حس مرعب عند دوران الحجر وله قرقعة عظيمة منفرة للقلوب عند سماعها ولهذا يفعله الطحانون لاجل معرفة الناس أن هذا محل الطحن فيأتوا اليه للطحن فيه أو لاجل دوران الثور أو الفرس فانه مادام يسمعه يدور فاذا رفعوه وانقطع حسه عند فراغ القمح من القادوس وقف فهو معد لاجل نشاط البهائم وسرعة دورانها فأين المناسبة بينه وبين الخلخال وأيضا جعله الخلخال مشابها للخشب فى غاية البعد خصوصا اذا كان الخلخال من الفضة فان الشئ انما يشبه به ما كان مثله فالجواب أن هذا النطع لم ير الخلخال اصلا ولا ملكه طول عمره وانما يعرف رقاص الطاحونة فظن بسوء طبعه وعدم ذوقه أن صوت هذا الرقاص لم يكن فى الدنيا أحسن منه سماعا فشبه صوت خلخال محبوبته به لاسيما اذا لم يكن من الفضة بل كان من النحاس أو الحديد فانه اذا كان كذلك ومشت به محبوبته فان حسه يقارب فى السماع حس الرقاص وبالجملة فلو كان هذا الفلاح طحانا لطيفا لم يتكلم بهذا التشبيه الكثيف

* وألطف ماسمعته فى طحان هذان البيتان

طحانكم قد زها جمالا * فما يطاق السلو عنه

ورق خصرا فليت شعرى * بكم يباع الدقيق منه

وأحسن ماسمعته فى محبوب فلاح قول بعضهم

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه ■ كفلى أضعف خصرى * فأعينونى بقوه

أقول هذا من باب عمى العاشق عن عيوب المحبوب والا فالفلاح وان كان جميلا فان أفعاله بعدم اللطافة مشهورة وغاية الامر أن هذا العاشق نظر الى الردف الثقيل والخصر النحيل فمدحه فاتضح الجواب وبان الصواب * ثم انه أضاف الطاحونة الى نفسه لكونه كان ملازما لها وقاطنا فيها ويحتمل أنها كانت ملكه أو أن هذا من باب بناء الامير الجدار ثم ما كفى هذا القائل الخبيث الطبع الرثيث الوضع الذى لا يعرف الحب ولا يدريه وعشقه يشبه الخرا ماذكره من النظم الركيك والمعنى الدكيك حتى خيل له أن الرحا تخاطبه بالمقال وأنها تفهمه عن شرح الحال فأخبر عنها وقال (ورحينا فى الزريبه قالت اشحالك) يشعر هذا الكلام بأن الرحا خاطبته وأنها سألته عن حاله وقالت له ما حالك اليوم يا مسكين وقد وصلت الى العظم السكين وكيف صبرك على فراق محبوبتك ومقاساتك التعب والمشقة من اجلها هذا اذا جعلنا خطاب الرحا له وأما اذا كان الخطاب لمحبوبته فيكون ذلك من باب سلام الرحا عليها واستفهامها منها ماهى فيه فى هذا الوقت وبالجلة فان كانت اللام التى قبل حرف الروى منصوبة كان الخطاب له

وان كانت مخفوضة كان لمحبوبته ولعل هذا هو الاصوب وسيأتى أن نصب اللام وخفضها لا يضر فى الشعر * ويفهم من قرائن المقام أن محبوبته كانت مثله طحانة تطحن على الرحا فى الزريبة فان هذا العاشق كان يتردد عليها ويشاهد هذا الامر فكانت الرحا أى لسان حالها ترى منه هذا الامر فتخاطب تارة العاشق وتارة المعشوقة خطابا بلسان الحال لا بلسان المقال فانها ليست من أهله * ثم انه لما علم من حالها أنها خضعت له ورقت لحاله حيث خاطبتها الجارة وأنه يريد منها ما يريد الراهب من الجارة أراد أن يعرفها ما يقع لغيره قبل مواصلته وما يتفق لبعض اصحابه واخوانه من الاثوار من نحول جسمهم من ضرب الفرقلة وتعب السواقى والحرث ونحو ذلك لاجل ما يتأسى به ويتسلى بحاله فأتى بأداة الاستثناء فقال (الا وكلاف يقول لى يا صبى مالك) وفى نسخة بدل مالك والك بالواو (طور ابن شيخ البلد حاله كأحوالك) أى أن هذا الكلاف ويقال له العلاف بالعين المهملة ويسمى التوار أيضا وهو الذى يكلف البهائم والاثوار ويتعاطى خدمتها لما رأى هذا العاشق ومقاساته للاهوال من أجل محبوبته وقد صار فى حالة رذيلة خصوصا عند مشاهدة محبوبته لان العاشق اذا شاهد معشوقه اعتراه التغير وخالطه الاصفرار وأذبله النحول قال الشاعر

علامة من كان الهوى فى فؤاده * اذا ما رأى المحبوب يوما تغيرا
ويصفر منه اللون بعد احمراره * وان طالبوه بالجواب تحيرا

وأيضا رآه فى حالة فقر وافلاس وناهيك بالعاشق المفلس كيف يكون حاله وشاهد ما هو فيه من النحول وشدة النحول قال له يا صبى مالك او والك على الرواية الثانية لغة عند أهل الريف والمعنى واحد أى ما حالك هذا الذى أنت فيه وما سبب مقاساتك الخطب وانما خاطبه بلفظ يا صبى لكونه اعترته الصبوة أى المحبة والميل وسيأتى اشتقاقها أو أنه كان من صبيان البلد أى من شجعانها وقد أذله الحب وأنحله الغرام والمعنى انك لست مختصا بهذه الحالة وحدك بل ان بعض اخوانك من الاثوار نابه ما نابك واصابه ما اصابك وهو ثور ابن شيخ البلد الذى هو أعظم الاثوار وأكبرها فان حاله الآن مثل حالك قد انحل جسمه واصفرت ذاته مما قاسى من التعب وما كابده من النصب وما أكله من الضرب على أضلاعه وما حصل له من شدة أوجاعه وهذا من باب التسلية والتأسى بالغير كما سبق واراد تسليته بالثور لكونه فلاحا ومن شأن الفلاح أنه فى الغالب لا يضرب الامثال الا بالبهائم ولا يكثر الا من ذكرها وذكر آلات الغيط ونحوها فخاطبه من جنس ما يناسبه كأنه يقول له سل نفسك وصبرها على العشق والغرام فان هذا الامر ليس مختصا بك فان صديقك ورفيقك الذى هو ثور ابن شيخ البلد حاله يشبه حالك وأتى بهذا التشبيه الخسيس المبنى على غير تحسيس ليناسب عشقه وحال محبوبته كما تقدم يسلمه لئلا يخرج تشبيهه عن ماهية ما هو فيه لانه دائما فى معاشرة البهائم والاثوار

وكذلك محبوبته فاتجه الحال وظهر الجواب عن هذا الاشكال اذ هو نظم يشبه بول الرجال وقائله اثقل من الجبال * وأما شرح كلمات الابيات واشتقاقها فقوله رقاص طحوتنا الرقاص آلة يصنعها النجار من الخشب تشبه الكف والانامل معلقة فى عود من الخشب أو الحديد فاذا دار الحجر رقصت عليه وسمع لها حس وسميت الرقاص لانه مشتق من الرقص على وزن القمص أو من قرية فى البحر الغربى يقال لها ام رقص ومصدره الرقص يقال رقص يرقص رقصا فهو رقاص * والطاحون على وزن الماعون والمعجون مشتقة من طحن القمح أو من الطحين ومصدره الطحن يقال طحن يطحن طحنا فهو طاحن ومطحون * والخلخال مشتق من الخلخلة او من الخيلاء أو من خلخلة الهواء ومصدره الخلخلة يقال خلخل يخلخل خلخلة * والرحى جمع رحا وهى حجران صغيران احدهما مركب على الآخر الاعلى يدور على الاسفل وفى وسط الاسفل عود من الحديد يدور عليه الحجر الثانى يقال له القطب (قال ابن دريد) رحمه الله تعالى فى مقصورته

وان سمعت برحا منصوبة * للحرب فاعلم أننى قطب الرحا

والرحى بضم الراء واحدتها رحا كما تقدم وهى مشتقة من الراحة او من الروحاء محل بأرض الحجاز أو من الرواح وقيل من المروحة ومصدرها الرحا يقال رحا يرحو رحا قال الشاعر

لى راحة مشتقة من رحاتهم * تروحنى لما اروح الى ارضى

والزريبة مشتقة من زرب البهائم لانهم دائما تزربوا فيها ويحلوا فيها وربما بالوا فيها أيضا كما هو معروف بينهم ومصدرها الزرب يقال زرب يزرب زربا * والكلاف مشتق من الكلفة أو من الكلف وهو النمش الذى يظهر فى وجه الامرد أو الجارية بعد بلوغها ودليله أن هرون الرشيد مر يوما بجارية تباع فقال والله لولا كلف بوجهها لاشتريتها فانشدت الجارية تقول

ما سلم الظبى على حسنه * كلا ولا البدر الذى يوصف
الظبى فيه خنس بين * والبدر فيه كلف يعرف

فاشتراها هرون الرشيد لفصاحتها وحظيت عنده واذا كان بلفظ العلاف كما تقدم فيكون مشتقا من العلف أو بلفظ التوار فيكون مشتقا من التيران ومصدره العلف يقال علف يعلف علفا * وقوله يا صبى مالك بنصب اللام والبيتان السابقان بكسر اللام وهذا لا يضر لانه ورد فى شعر العرب وتقدم فى غير هذا المحل اشتقاق الصبى من الصبوة أو من الصابون أو من قناطر الصابونى وتقدم تعريف الثور لغة واصطلاحا (مسألة هبالية) لاى شئ أتى فى النظم بالثور فقط وكان من حقه أن يأتى بالعجلة أيضا أو بالبقرة حتى يكون الناظم فى مقام الثور والمحبوبة فى مقام العجلة او البقرة بحيث يكون الذكر للذكر والانثى للانثى ويكون هذا من باب المقابلة التى هى ابلغ فى النظم (قلنا الجواب الشمروى) أنه يفهم من ذكر الثور ذكر العجلة او البقرة كما أن ذكر عنتر يفهم منه ذكر عبلة

فكان الاعتراض على الناظم فى غير محله وكانت المقابلة معنوية وهذا من باب قياس فلطس بن فلطس الذى قاس البحر على المغطس (فان قلت) لاى شئ حصر الناظم الرحى فى الزريبة مع انها ليست معدة لذلك وانما هى معدة لزرب البهائم فيها كما تقدم أنهم يبولوا فيها ويخروا أيضا حتى يغرقوها فما الحكمة فى ذلك (قلنا نعم) وان قلنا انهم يبولوا فيها يسقين فان البول فيها لا يدوم وربما كانت جوانبها سالمة من البول فيجعلوا فيها الرحى لاجل الطحين أو يقال ان نساء الارياف لا يتحاشين من الزبل والجلة فان المرأة منهن اثوابها دائما متضمخة بالجلة وغيرها فى غالب الاوقات فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال (ومن أشعارهم موالبا)

رأيت حريقى بفرقله يسوق تيران * لو كرا اصفر على راسه كما اللبسان
يارتنى كنت لو حدوة من الحدوان * أو كان لى شلق فوق راسى من الكتان

هذا الموالبا من بحر التخريف ومعنى التخريف بالتقدير من سمنود لابى صير وأما معناه الخارج عن الادراكات الجارح لقلوب ذوى المروآت الذى يمجه الطبع ولا يسعه محل من البيوت ولا ربع فان قوله (رأيت حريقى بفرقله يسوق تيران) هذه الرؤية بصرية أى شاهدت ببصرى لا بايدى ورجلى حريقى أى محبوبى وهذه اللفظة من لغة الارياف لانهم يخاطبون محبوبهم بهذه الكلمة فيقول الشخص منهم فلان حريقى أى صديقى أو صاحبى أو محبوبى ويقول له يافلان تعالى حرقنى اولا قشنى ياابو واسعه أو هارشنى ياابو عريضة او حارقنى ياملحه اوياابو كاره اوياابو كره ونحو ذلك من هذه الالفاظ وستأتى كيفية تشهم على المرد والنساء فى الارجوزة الآتية فى آخر الجزء ان شاء الله تعالى * وقوله بفرقله يسوق تيران يريد به التغالى فى وصف المحبوب حيث جعله سواقا بفرقله لان الانسان اذا عشق شخصا يصفه بوصف يليق بحالته التى هو فيها من لبس او صنعة او نحو ذلك مما يكون مغرما به وعاشقا له (كما اتفق) أن بعضهم كان يهوى غلاما يهوديا وكان الغلام مغرما بضرب الناقوس فمر به يوما وهو يضرب به فأنشد يقول

رأيته يضرب الناقوس قلت له * من علم الظبى ضربا بالنواقيس
فقلت يانفس أى الضرب يعجبك * ضرب النواقيس أم ضرب النوى قيسى

فانظر الى رقة هذا الكلام والى مصادمة هذا النظام فكان هذا مناسبا لحال كل منهما لان العاشق فلاح والمحبوب سواق ولا يستغنى الفلاح عن عشرة السواق ولا السواق عن الفرقله أيضا والفلاح عنده التيران فى مقام الاولاد كما أن السواق عنده الفرقله أعز من اخيه وولده ولهذا تراها دائما على كتفه لا تفارقه فكان المطلوب من هذا العاشق وصف هذا المحبوب بما يناسب مقامه وما يألفه ثم ما كفى هذا العاشق الماسخ والهم الراسخ ما وصف به محبوبه من أمر تعاطيه الفرقله واشتغاله بسوق التيران وأنه عنده

من اكابر الرعيان ومن اعز السواقين الاعيان حتى وصف ما على رأسه فقال (لو كرا اصفر على راسه كما اللبسان) هذا على حذف مضاف تقديره ان لهذا المحبوب كرا وهو الشد الذى يلفه على راسه يشبه فى لونه نوار اللبسان وهذا من قبيل التفاخر بمحبوبه والتعاظم له حيث وصفه بأن له كرا أصفر على رأسه يشبه نوار اللبسان وأنه متميز عن غيره من السواقين والرعيان بهذا الكر فقل أن يلبسه أحد من جنسه واذا فرض أن أحدا يلبسه لا يكون كله أصفر كنوار اللبسان بل ربما تكون أطرافه فقط مزعفرة أو معصفرة كما يفعله اهل الريافة لاولادهم (فان قيل) لاى شئ شبه كر محبوبه بنوار اللبسان ولم يشبهه بالزعفران او العصفر أو نحو ذلك (قلنا الجواب) واضح وهو انه انما شبهه بهذا الزهر لانه لا يعرف الزعفران ولا غيره من الصبغات وانما يعرف ما تظهر صفرته من اصناف النوار مثل نوار اللبسان لانه فلاح والفلاح لا يعرف الا ما يظهر من الزرع وكذلك محبوبه سواق بفرقله فكان الانسب أن يشبه كره بما يعرفه والا لو فرض أنه شبه الكر بشئ لطيف أو وصفه بوصف ظريف لخرج عن ماهية الرذالة وكان منه تشبيها لطيفا بعيدا عما يقتضيه طبعه من الثقالة فاتضح الحال عن وجه هذا الاشكال ثم لما علم أن محبوبه دائما يمشى بحدوة فى رجله اذا احتاج الى حرث الارض أو حصاد الزرع أو الذهاب الى الساقية اذا كانت بعيدة تمنى أن يكون حدوة فى رجليه من الحدوان فقال (يارتنى كنت له حدوة من الحدوان) أى ياليتنى فأبدل اللام راء على لغة اهل الريف كما تقدم أكون دائما حدوة فى رجليه ولو كان بها النجاسة حتى أتلذذ بمس بشرة رجله الخشنة وكعبه المقشف فانظر الى قلة عقله وصقاعة لحيته حيث عمل نفسه حدوة من الحدوان بل هو جدى من الجديان وارذل من هذا التمنى فى هذه الابيات قول بعضهم فى المدرجات

ياليتنى كنت له سنداسا * أو كنت فى أقدامه مداسا

فتمنيه فى الشطر اشنع من تمنى هذا الفلاح لان السنداس اشنع من الحدوة لانه محل الشئ المستقذر نعم الشطر الثانى من قبيل ما نحن فيه * ثم ان هذا الفلاح لما لم يبلغ مناه ولم ينل ما تمناه ولم يظفر من محبوبه برضاه تمنى أن يكون محبوبه مرفوعا على رأسه فقال (أو كان لى شلق فوق راسى من الكتان) الشلق يطلق على قطعة حبل من الليف أو الكتان وربما سمى اهل الريف الحزمة الصغيرة شلقا وهذا من باب التذلل لمحبوبه والتواضع له حيث جعل نفسه حدوة من الحدوان فى رجليه وجعل محبوبه شلق كتان فوق راسه لاجل ما يعصب راسه به اذا اشتد وجعها من ألم الصداع أو المضارب أو الدواهى والمصائب وهذا من عدم ذوقه وقلة عقله وشدة جهله (فان قيل) اذا كان هذا العاشق قصده أن يكون محبوبه فى صورة شلق من الكتان يربط به راسه يكون على هذا التقدير محبوبه دائما فى تعب منه مع أن العاشق لا يريد الا راحة محبوبه (قلنا) ان هذا من باب التواضع القشروى لمحبوبه وطلب الرفعة له والعلو

بكونه دائما فوق رأسه مرفوعا لان الرأس ما رأس وعلا فلا يكون فوق محبوبه شئ ولا دون هذا العاشق أحد من العشاق فى التواضع او أنه من قبيل الاشتغال به بربطه على رأسه وعلى الاحتمال الاول حصلت هنا المقابلة لرأسه والمحدوة التى فى رجل محبوبه فكان هذا من باب التدلى وعكسه فناسب الامر واتضح المعنى وهذا كله من تمنى مالا طمع فيه على حد قول بعضهم

الا ليت الشباب يعود يوما ■ فأخبره بما فعل المشيب

(مسئلة هبالية) لاى شئ تمنى هذا العاشق أن يكون حدوة ولم يتمن أن يكون وطا مع أنه المناسب وربما كان ألطف وأظرف من الحدوة وأغلى ثمنا والحدوة فيها يبس وعجرفة أكثر من الوطا والوطا يفرح به الفلاح ويقبله خصوصا فى ايام الاعياد ونحوها والمحبوب لا يليق به الا الشئ النفيس فما الجواب (قلنا الجواب) عن هذا البحث القشروى ان هذا المحبوب دائما يمشى الى الحرث والحرّاث لا يليق به المشى فى حالة الحرث الا بالحدوة وأيضا هى أكثر استعمالا لكثرة ما يدوس بها فى الارض المحروثة فى سروحه ورجوعه وفى شدة الحر وبذلك تكون النجاسة فيها اكثر والقذارة اوفى وأوفر فتكون بمقامه أنسب واوفق بحاله من الوطا واقرب وايضا هى المعهودة والمعتادة فى مثل هذا المقام اذ من عادة الفلاح أنه لا يسرح ولا يروح الا والحدوة خلف قفاه مربوطة بحبل فى تبوته والعادة تثبت بمرة فكان الاولى لهذا العاشق أن يتمنى أن يكون له حدوة لانها عنده المحبوبة المألوفة فهى أحسن من الوطا وأيضا العاشق من شانه أنه يحب ما يألفه محبوبه ويهواه ومن شانه التذلل للمحبوب والخضوع له والذل فى الحب لائق بالمقام كما قال بعض الملوك فى جاريته وكان مغرما بها او مشغولا بحبها

ايا ربة الخدر التى ضيعت نسكى ■ على كل حال أنت لا بد لى منك

فاما بذل وهو أليق بالهوى * واما بعز وهو أليق بالملك

وقال هرون الرشيد فى جواريه الثلاث

ملك الثلاث الآنسات عنانى ■ وحللن من قلبى بكل مكان

مالى تطاوعنى البرية كلها * واطيعهن وهن فى عصيانى

ماذاك الا أن سلطان الهوى * وبه قوين أعز من سلطانى

فاتضح الجواب وبان الصواب (مسئلة اخرى) فان قيل كان من حق الناظم أن يقول (أو كان لى شلق فى وسطى محزم به) لان الشلق كما تقدم حبل من الكتان أو الليف والحبل لا يكون معدا الا للحزام او لربط شئ ونحوه وأما وضعه على الرأس فنادر فما الحكمة فى ذلك قلنا الجواب عن ذلك أن الشلق وان كان معدا لما ذكر الا أن الغرض للناظم خلاف ذلك وهو أنه يريد رفع محبوبه على رأسه حتى يصير فى أعلى مكان واشرف منزل وبذلك ظهرت الحكمة فيما قاله وأيضا يمكن الجواب بان يقال ان من عادة الفلاحين انهم يلفوا

على

على رؤسهم الحبال اذا كانوا فى شغل دق الكتان أو فتل الحلقة فيجعلوها مقام الكزوير بطوا بها رؤسهم ويحفظوا بها طواقيهم لئلا تقع من على رؤسهم وأما اذا جعلنا الشلق بمعنى الحزمة الصغيرة كما تقدم فلا اشكال بل هو الاوفق بقوله فوق راسى من الكتان فاتضح بما قلناه الجواب وظهر المعنى وبان الصواب (شرح لغات الابيات) قوله حريفى مشتق من الحرفة أو من الحرافة أو من حروف الهجاء أو من حرف الماجور (قال الشاعر)

حريف اذا ما اشتق فاذكر حرافة ■ وقد قيل من حرف الهجاء وحرفة

وقد صح فى القاموس الازرق أنه * من الحرف للماجور فاصغ لحكمة

ومصدره الحرف يقال حرف يحرف حرفا فهو حريف * والفرقلة مشتقة من الفرقلة على وزن المزبلة أو من الفرقال على وزن المثقال أو عبيد الزبال ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن الاصل فى وضعها الطراشة التى تلعب بها الخلابيص فى السامر وعملت الفرقلة قياسا عليها وكان اسمها فى الاصل فرقيعة وان الذى صنعها صار يضرب بها الناس ويفرقع فكل من رآه يضرب آخر فرقع له فحذفوا العين المهملة من آخر الفعل واضافوا اللام وهاء الضمير الى بقيته واقاموا الضمير المذكور مقام هاء التأنيث وجعلوا مجموع ذلك علما على هذه الحبال المفتولة وقالوا فرقلة كما قالوا مثل ذلك فى بعلبك ومعدى كرب ونحوهما من المركبات المزجية (فان قيل) اذا كان أصل الفرقلة الطراشة فلاى شئ ترك الناظم الاصل وأتى بالفرع والاصل أشرف من الفرع الا فى بعض مسائل ذكرها العلماء (قلنا) انما كان يناسب الاتيان بالاصل لو كان محبوبه خلبوصا فان الطراشة من ملازمات الخلبوص ولكن المقام لا يناسبه الا الفرقلة لكون هذا المحبوب سواقا للبهائم وهو من اولاد الفلاحين فكان الانسب به الفرقلة كما تقدم * ومصدرها الفرقلة يقال فرقل يفرقل فرقلة ■ وقوله يسوق على وزن فسوق مشتق من السواق أو من الساقية أو من السواقة ومصدره السوق والسواقة يقال ساق يسوق سوقا وسواقة (قال الشاعر)

يسوق اذا ما اشتق فهو سواقة ■ وساق وسواق وسقى لقد ورد

* والكتر ما يلف على الراس من الكتان والقطن وغيره وهو مشتق من الكركرة على وزن الخرخرة او من الكراويا أو من الكروب أو من كرّ الشئ اذا حمله يقال كرّ عرضية فلان اذا حملها من على راسه ومصدره الكتر يقال كتر يكتر كترا * وقوله كما اللبسان اللبسان نبات يطلع فى البرسيم له ورق عريض يأخذه أهل الريف وينزعوا اوراقه ويخرطوه بالسكين ويضيفوا عليه اللبن والملح ويبقوه زمانا يسيرا ويأخذوا قوامه ويسموا مجموع ذلك كبر باللبن وسيأتى ذكره فى كلام المتن وزهره يخالف زهر الكتان لانه أصفر وزهر الكتان ازرق (قال ابن سودون)

زهر الكتان مع اللبسا * ن هما لونان ولا كذب
كيهود فى دير خلطوا * بنصارى حز كهم طرب

وهو مشتق من اللبس لانه ربما يلتبس على الشخص القليل المعرفة قبل ظهور نواره بنبات آخر غيره يسمى عند الفلاحين حميض بضم الحاء المهملة وتشديد الميم وربما اشتبه أيضا بنبات يسمى فسا الكلاب ورقه أيضا يشبه ورق اللبسان وفسا الكلاب فيه يقين منافع مذكورة فى منافع النباتات أو من بئر اللبسان وهى بئر مشهورة فى ارض مصر يطلع فيها نبات يدخل فى علم الصنعة الالهية ويقال ان هذه البئر هى باب الكنز الذى تأتى اليه الحبشة وتأخذه فى آخر الزمان ومصدره اللبسان يقال لبس يلبس لبسانا * والحدوان على وزن الجروان واحده الحدوة وهى جلدة تعمل على قدر القدم لها خيوط من الجلد تمسكه ويستعملها الحراثون وغيرهم لدفع المشقات واذهاب الحفا والعيا عن الرجل ونحو ذلك ومصدره الحدو يقال حدا يحدو حدوا وقيل مشتقة من الحداية وهى طائر معروف من الفواسق الخمس التى جوز الشارع قتلهن (فان قيل) ان الحداية من شانها الخطف والحدوة بخلاف ذلك فكيف تكون مشتقة منها (قلنا) هناك ادنى مناسبة وهو أن الحدوة اذا مشى بها الشخص وربما خطفت بعض الحصا وطرحته اذا اسرع صاحبها فى المشى فكان هناك بعض شبه بالحداية من هذا الوجه (فائدة) ذكر صاحب القول المعاب فى وصف الغراب واقعة عجيبة وهى أن بعضهم افتقر فدخل الى بعض اخوانه من الاغنياء يلتمس منه شيأ فعبس فى وجهه فخرج من عنده منكسر النفس ومضى الى بعض المقابر فمرغ وجهه على الارض ودعا الله تعالى واذا بحداة ألقت عليه شيأ فنظر فيه فاذا هو كيس ملآن دنانير وفيه جوهرة تساوى جملة من المال فأخذه واتجر فيه وصار فى يسر الى أن مات فانظر الى لطف الله تعالى ونعمه ومزيد عطائه وفضله على خلقه * ورأيت فى القاموس الازرق والناموس الابلق أن الحدوة مشتقة من الحدادى واستشهد على ذلك بشاهد فشروى فقال

والحدوة اشتقاقها قد صححوا * من الحدادى فاستمع مارجحوا

والحدادى على وزن الجنادى جمع حداية * والشلق مشتق من الشلوق أو من الشلقة أو من الشاقول الذى يوضع فيه ربع الميقات ومصدره الشلق يقال شلق يشلق شلقا * والكتان معروف وهو مشتق من الكتاتنية الذين يتعاطون تعطينه وتشميسه ونحو ذلك ومصدره الكتن يقال كتن يكتن كتنا (فان قيل) لاى شئ تمنى أن يكون محبوبه شلق كتان ولم يقل شلق خوص أو حلفة أو نحو ذلك قلنا لعل شلق الكتان اقوى من شلق الخوص والحلفة أو لعله من باب اشتغال العاشق والمحبوب بزرع الكتان وقلعه وملازمتهما لهذا الامر فهما لا يعرفان غيره فأتى بما يناسب الحال نعم لو كان محبوبه صعيدى لناسب أن يأتى بشلق الحلفة لكون الصعيدى يألفها ولهذا يقال صعيدى مصاص حلفة أو كان

خواص لناسب أن يأتى بشلق الخوص فاتضح الجواب وزال الاشكال وتم المقال وقد انهينا ما اردناه من شرح بعض كلامهم ودشهم وفشارهم وحل لغاتهم بلا مرا وكشف معناها الذى يشبه الخرا الذى لا يعرف الا بالذوق * ولا بد أن نأتى بطرف يسير من شعر من يدعى النظم وهو جاهل ويقول الشعر وهو ذاهل (فمن ذلك) ما اتفق أن هرون الرشيد جلس يوما عند زوجته زبيدة فجرى ذكر ولدها الامين وكان بليدا جدا بخلاف اخيه المأمون فانه كان حاذقا فطنا لبيبا بارعا فى النظم والنثر وغيره وكان الخليفة يميل اليه لفصاحته وسرعة جوابه وشدة حذقه فمدحه عندها فاغتاظت منه لكونه لم يمدح ولدها الامين فقال لها انه بليد لا يدرى النظم ولا يعرف النثر فقالت له بل ولدى اشعر من اخيه واقوى جراءة وأشد فكرة ومعرفة فى النظم والنثر وان شاء الله تعالى فى غد أقول له ينظم الشعر ويعرضه على أبى نواس فقال لها الخليفة حبا وكرامة فى غد ان شاء الله تعالى نسمع كلامه ونطلع على شعره قال فلما مضى النهار ارسلت خلف ولدها الامين وأخبرته بالقصة التى وقعت بينها وبين أبيه وألزمته بنظم الشعر وأن يعمل ابياتا ويعرضها على أبى نواس فاجابها لذلك واعتزل فى محل خال عن الناس وقدح فكرته الكاسدة وقريحته الباردة حتى عمل أبياتا يأتى ذكرها تشبه رص القلقيل ثم انه أتى الى أمه واخبرها ففرحت وارسلت الى أبى نواس وقالت له اسمع ما قاله ولدى الامين فقد صار ماهرا فى الشعر بارعا فى النظم فقال له أبو نواس أسمعنى ما قلت فأنشد يقول

نحن بنو العباس * نجلس على الكراسى

فقال أبو نواس نعم وأنتم لذلك أهل ومحل وأنتم اصحاب الرتب العالية كمل الابيات فأنشد يقول

نقاتل الاعادى * بالسيف والمزراق

فقال له أبو نواس اتلفت ما قلت وغيرت القافية فاغتاظ منه الامين وأمر بسجنه فسجن اياما فتفقده الخليفة فقيل له هو فى السجن حبسه الامين لكونه عاب شعره فأحضره وأحضر الامين وسأله عن السبب فأخبره بالقضية كما تقدم فقال الخليفة للامين لولا أنه رأى فى شعرك خللا ما عابه فقال أنا انظم غيره وأقوله قدامك حتى تنظر نظمى وتباهى فيما أنظمه فقال له افعل ما بدا لك قال فمضى الى محله واعتزل وطرد الجوارى ولم يبق أحدا عنده وقدح فكرته الكاسدة حتى عمل ابياتا وأتى الى والده وحضرت والدته زبيدة وكذلك أبو نواس فقال لهم اسمعوا شعرى فقال أبو نواس تكلم بما قلت فأنشد يقول

يا قاعدة فى الاربع * ما مثلك فى الابلد

شبهتك بكنافة * مبسوسة بالخردل

والسمن فوقك سائح * مثل الحصان الابلق

فلما سمع أبونواس هذا الكلام قام يجرى فقال له الخليفة الى أين فقال الى السجن ياسيدى ولا أسمع هذا الكلام فضحك عليه وعلى شعره فتحققت والدته زبيدة بلادته وسكتت (واسمع من هذا النظم) ما قاله مرجان الحبشى وكان أميرا بثغر اسكندرية وقد عارض بهذا النظم الشنيع والكلام الوضيع همزية الاديب الورع الزاهد العالم الماجد البوصيرى رحمه الله تعالى ونفعنا به وخمسه أيضا وها أنا اسرد لك هذا النظم الخسيس مصحوبا بالتخميس وهو

يارسول الله قل من الناس المعروف

اصبحت بينهم مثل الطير المنتوف

بعدما كنت مثل الخروف المعلوف

يارسول الله اغثنا اغاثة الملهوف * لقد أضرت به اشرار من اللكعاء

يارسول الله ماعاد فى حد خير

يارسول الله مابقوا يوقروا صغير ولا كبير

يارسول الله كن لى منهم نصير

يارسول الله اصبحنا بينهم مثل الحمير * وهم يسوقونا بالعصاء

يارسول الله احنا من رعيتك

يارسول الله احنا من جملة امتك

يارسول الله احنا فى جيرتك

يارسول الله بحق صحابتك * أجرنا من النار لها سعراء

وأنا أمدح نبى ربه استخاره وعزه

ياما غزا الكفار بعسكره وغزه

ومن صلى عليه ربه لم يخزه

وقد عرج به ربنا وعزه * وقد رأى من آيات ربه الكبراء

ضاهيت بها همزية الابى صيرى

والفرق بينهما يلوح للنحرير

وانظر الى الصير هو مثل البورى

والا جبل مصر مثل الطور * والا الصقر الصائد مثل البوماء

أنا انتخبت الفاظها من القاموسا

ومن عارض نظمى فى لحيته يلق موسا

ومن له فى الادب رتبة أو ناموسا

لابد أن يميز بين الجاموسا والناموسا * واولاد الحلال ماهى مثل اولاد الزناء

نظمى هذا ماهو مثل نظم الناس

نظمى هذا مثل درة فى كاس

ومن يستمع نظمى يقول دهاس

قد فقت فى النظم ابو النواس * أنا مرجان والحبشان لى اماء

أنا مرجان والى اسكندريه

وادرى بحور النظم بالكليه

ومن عارض نظمى يلق بليه

أنا اصبحت مثل الشمس المضيه * ونظمى مثل نظم أبو العلاء

نظمى مثل درة فى حق

لهنى على فتى عارف منحق

هو ابن المخاض مثل بنت الحق

ولا النمل السباعى مثل البق * وانا اصبحت مثل القط اصطاد الفاراء

أنا اصبحت مالى فى نظمى نظير

ولا ضاهى قولى لا كبير ولا صغير

وأنا اعطانى ربى الخبير

أنا مرجان الحبشى الامير * استخرج الدر من البحراء

وأختم قولى بمدح طه الزين

ياسعادة من زاره فى حنين

وقبل حجرته وشاف بالعين

وقال له ياجد الحسن والحسين * اشفع لمرجان ينجو من النار اء

فانظر الى قلة عقله وكثرة جهله على صاحب الهمزية نفعنا الله به وظن هذا الغبى البليد أن نظمه فى غاية البلاغة واستحكام الصناعة مع أنه اجهل من الحمار وأجمد من الاحجار * ورأيت له أيضا نظما أثقل من الحجارة وانجس من ماء الحرارة قد حكى فى ترتيبه القلقيل فى الرص وفى رؤيته ذقن العرص عارض به لقلة عقله وسوء جهله خمرية القطب الربانى والهيكل الصمدانى سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته فى الدارين

سقينا على ذكر الحبيب مدامة طربنا بها

كميت من الكرم ختامها مسك

ودارت علينا سقاة في يدها كؤس
كل ساق منهم يحكي لنجمة الفلك
ويا ماشفنا من خمرتنا ورأينا من سكرتنا
امور محتبكات ومرتكبات ربك
وشاهدنا العجائب ورأينا الغرائب
واندكت جبالنا من اطوارنا دك
مدامتنا هذى تعلو على مدامة الفارضي
وأين الثريا من الثرى ولعمرى بعيد من الدرك
مدامتنا ما مثلها في الكون مثل
ولا عند الرهبان والقسوس وأبناء الترك
مدامتنا هذه من ذاقها في كأسها
قال من طعمها هذه مثل السك
ومن اوصاف خمرتنا اذا صبت على حجر
لقام ذلك الحجر من حسن معانيها يحكو
ومن اوصافها كمان ان شربها ضعيف
طاب لوقته ولم يعد قط يشكو
ومن اوصافها ان مر مزكوم على ديرها
وشم رائحتها من بعيد خاص بلا شك
ومن اوصافها ان صبت في قارورة صبا
تشاكل الامر وراح الطرف من حسنها يحكو
ومن اوصاف خمرتنا ان شربها ابكم
لترجم بكل لسان مثل سناء الملك
وقد شرب منها سامرجان شربة
فاضحى بها هائم في الكون بلا شك
فدونك مدامتنا لا تحود عن شربها
ففي شربها يا خالي البال الحسك والدك
وفي شربها في حانها وسط مجلسها
من يد ساقيها السعد والملك
وأختم خمرتي هذه بصلاتي وسلامي
على نبي عربي جاه الجمل يشكو

وعلى آله واصحابه كلما حطوا الحجاج
عند سيرهم الحمول وفككوا

فانظر الى عدم اصابة ميزان هذه الخمرية وفرضها لكون ناظمها قاب طواليها في عرضها * وقد اتفق أن بعض القضاة من الاروام قال لنائبه نحن ننظم الشعر ونسمي بيت النظامين ونقول الشعر محاضرة فقال له النائب لا يبعد عليكم فقال له قد نظمت بيتا محاضرة فقال النائب أسمعنا اياه فقال

شين الشرع لها شاره * وتقطع مثل المنشاره

ماتقول أيها النائب في هذا الكلام وحسن هذا النظام فقال بعد أن ضحك عليه واشار بكلامه اليه وأنا الآخر نظمت محاضرة عروض كلامك وشبيه قولك ونظامك فقال القاضي تكلم أيها النائب وصاحب الرأى الصائب فقال

سعيده كانت مزاره * وتحب طبيخ البيساره

قال فهام القاضي طربا من كلامه ومن شدة ما أعجبه من نظامه وأعطاه جوخة كانت عليه ومال قلبه اليه ولم يزل معه في عز واكرام وهيبة واحترام الى أن عزل وأدوات سفره قد حضرت وودعه النائب بقوله فلا رجعت * وكتب بعض البلداء ممن يدعي النظم لرجل من العلماء يسمى الشيخ محمد السلسيلي مراسلة يعرفه فيها عن حال بنت تسمى هند وعن اخت لها تسمى عرب وكان الشيخ رحمه الله تعالى يحبهما لان طبعه كان يميل للاناث حتى انه كان لا يأكل الا من الزبدية ولا يشرب الا من القلة ولا يركب من الدواب الا الانثى ولا يقبل المذكر قط وكان من الاولياء العارفين غير أنه كان يغلب عليه الخلاعة والانبساط مع النساء لاجل التستر على احواله رحمه الله تعالى ونفعنا به فأرسل اليه يقول

بعد ازكى السلام مني نهاضه * لحبيب يحب دون بغاضه
اسمه السلسيلي والشيخ محمد * زادك الله في الانام رياضه
أنت في ذا الزمان قمح غزير * وسواك الانام مثل النفاضه
أنت ارسلت في الكتاب بتسأل * عن عريب فانها من بياضه
وهنيد زادت عن الكل عجبا * بسواد العيون لا بالغلاضه
من يحب الملاح يسلى الدراهم * وعهدنا ما عندك شي قراضه
وأنا أسمى رازق الشيخ محمد * ألضم القول اطرزه بالفضاضه

فلما قرأ الشيخ هذه الابيات ضحك وجعلها معه وصار كلما حصل له انقباض يعطيها لفقيه يقرؤها له لانه كان بصيرا فينشرح ويزول عنه انقباضه * ويقرب من هذا النظم المرثية التي رأيتها لبعض الشعراء البلداء في رجل مات من الامراء يقال له ابن الخواجا مصطفى فأحببت أن أثبتها لما فيها من الابيات المجرفة والمعاني المقلحفة

وهي هذه

أحمد الله لطيف اللطفا * في ابتدائي بديع صنفا
وعلى ازكى البرايا كلها * صلوات الله جاءت بالوفا
وعلى الآل جميعا كلهم * وعلى أصحابه والخلفا
بعد هذا أبتدي مرثية * في امير موته قد حتفا
جاءه الموت سريعا عاجلا * وعليه عزرئيل عكفا
بعد ما مات بلغني موته * عندها دمعي بعيني دلفا
ودموعي من عيوني قد جرت * مثل ما تجري سواقي مرصفا
قلت لما موته قد جاءني * صائحا يا اسفا يا أسفا
مات من في الناس يذكر اسمه * بالامير ابن الخواجا مصطفى
يوم مات الارض كادت أن تغور * والسما صارت سحابا كسفا
والاماكن كلها من بعده * ونبات الارض حقا قلحفا
كم له وسط المدينه سمعة * كالصناجق بل وأعلى شرفا
كان والله شجاعا بطلا * حين تنظره العدا ترتجفا
قد تولى وانقضت أيامه * يا نعم يا ابن الخواجا مصطفى
وجميع امواله قد قسمت * أخذوها أهل الطمع بالجزفا
لماذا الامير اتاني نعيه * خفق القلب له وارتجفا
والاعادي فرحوا في موته * لاجل مال ينهبوه جزفا
من معادن فضة مع ذهب * وكنوز أخرجوها قففا
ورثوها بعده أعداؤه * فرقوها اليوم بفرد العلفا
من جواهر لا تضاهي كثرة * لامعات نورها قد رصفا
ويواقيت زبرجد لؤلؤا * ودلاص سابغات رعفا
قدرت في بيت مال عدها * ألف الفي ألف ألفي مقطفا
وعلى الكاشف منها أخذا * بعد ما أسرف فيها مجحفا
أودعوها بيت مال بعدما * أخذ الكاشف منها واكتفى
كم أتى في بيته من مرأة * مع بنات لابسات الغدفا
ثم قد نحن عليه حزنا * وعليه الناس صلت صففا
كم امير جاء في تربته * ووقع فوق التراب الشقفا
كم فقيه جاء في موته * وتلا ياسين ثم الزخرفا
يا ترى قد مات بالبطن اذى * اووبا أو بالرعاف ارتعفا
ليتني شاهدته في كفن * ذي بياض حين فيه لقلفا

ليته لو عاش قرنا كاملا * لكن الموت عليه زحفا
يا ترى من عاد يخلف بعده * في مكارم قل فيها من وفى
فعسى يأتي حسين بعده * يفتح البيت ويبقى منصفا
ليت شعري لو تخلف بعده * وتكرم مثله كي يخلفا
حيث أخلى داره من حسه * رائد الموت عليه عطفا
هكذا الدنيا دوا ما طبعها * تقهر الناس وتأتي بالجفا
كل ما فيها تراه زائل * تتقلب بالغدر مثل الجرفا
ليس يعجبني الاماره كلهم * كالامير ابن الخواجا مصطفى
كم غمرنا احسانه مع جوده * كم عطايا زائدات بالوفا
كيف لا أبكي على من جادلي * بعطايا ماعطاها خسرفا
رب فارحمه وخلي بعده * امه والست وابنه يوسفا
قد توفي في جماد الاول * سادس الشهر خميسا شرفا
عام ارخ من ثلاثين مضت * بعد الف من ستين تعرفا
بعد هجرة من أتانا رحمة * بالهدى ازكى البرايا شرفا
يا الهي اغفر لنا ظمها اسمه * عابد الرحمن وابنه يوسفا
جده يسمى محمد مغوري * فارض عنه يا لطيف اللطفا
وارحم الوالد وأجداده * والامير ابن الخواجا مصطفى
وصلاتي وسلامي دائما * للنبي والآل اصحاب الوفا

ودخل بعض البلداء من الشعراء على السلطان الملك العادل بيبرس وقد فتح قريه من قرى الكفار فقال له اطال الله بقاء الملك أنا فلان بن فلان بن فلان عاش أبي من العمر ستين سنة وعاشت أمي اربعين سنة وأنا في سن الخمسين سنة وقد عملت لك ابياتا تتضمن تاريخ فتح هذه القرية التي ملكتها ثم أخرج له رقعة مكتوبا فيها

قد فتح السلطان بلدة * وأتى بسعد البلدة
فلما فتحها ارختها * حاكما في شهر ذي القعدة

فقال له الملك لم أر ابرد من كلامك الا شعرك ومن تركك الا حيتك قال فخجل الرجل ومضى الى سبيله (أقول) قد سبق لك أن هذا كله من عدم الذكاء والفطنة وكثرة الجهل وقلة المعرفة والا فصاحب الذوق السليم لا ينطق بهذا الكلام السقيم فقد قال بعضهم لا ينبغي للشاعر أن يعرض قصيدته حتى يهذب ألفاظها ويحرر معانيها ثم بعد ذلك يعرضها على من يشاء ويعطيها لمن يحب وقد قال بعضهم في ذلك

لا تعرضن على الرواة قصيدة * ما لم تكن بالغت في تهذيبها
فاذا رويت الشعر غير مهذب * جعلوه منك وساوسا تهذي بها

وعشق بعض الفقراء غلاما فأراد أن يختلو به فلم يمكنه من ذلك فسلك معه طريق المكر والحيلة وصار يترجم بكل لسان بالزور والبهتان ويخبر عن بلاد وأراض بعيدة وأماكن صعبة شديدة ويدخل بين الجمع ويشخص ببصره الى السماء فيقول الحاضرون شئ لله ويقول لهم أنظروا يا محجوبين الاولياء وهم طائرين فوق النجائب وقد أقبلوا من المشرق والمغرب فيقومون اليه ويقبلون يديه ويلتمسون منه الدعاء فلما رآه الغلام على هذه الحالة اعتقد أنه ولى وقال فى نفسه أنا لى مدة اخدم شيخى ما رأيته شاف نبى ولا ولى ولا أخبرنى بشئ من هذا الا يقول لى صلى وصوم وما اشبه ذلك والاولى أن أخدم هذا الولى الفقير لعله أن يطلعنى على الاولياء والنجائب الطائرين دائما فى الهواء ثم انه تشاجر مع شيخه وانفصل منه وأقبل على هذا الشقى وقال له يا شيخ جئتك طائعا ولامرك سامعا واعلم انى تعبت من شيخى وهو يقول لى صوم وصلى واعبد ربك الذى لا اله الا هو ولم أر منه بركة ومرادى أنظر الاولياء الراكبين النجائب الخضر فقال له هذا الشقى اعلم يا ولدى أن الطريقة ليست بصوم ولا بعبادة فأنت تريح نفسك من هذا التعب وأنا اصبّ لك عمود النور فى بطنك فتنظر سائر الاولياء من وقتك وتقبل على النجائب الخضر وتركب وتشاهد الملكوت العلوى والسفلى فقال له الغلام فمتى تصب لى عمود النور هذا فقال له حتى ادبر لك ماء الحياة وأستقطره فقال له يا سيدى شئ لله وما يكون ماء الحياة هذا فقال له شئ أبيض يجرى فى قصبة الذكر عند وصول الوجد للفقير وعند الخلوة بالتلميذ قال وكان هذا الغلام مغفلا لا يعرف شيأ من هذه الامور الذميمة فقال له ذلك الشقى الممقوت قم بنا على الخلوة فأخذه ومضى الى أن صاروا فى خلوة التعس والنكس والخسران ومحل الفسق والفجور فقال له انطرح يا ولدى على بطنك حتى اصب لك عمود النور فعند ذلك انطرح الغلام على بطنه وصار هذا الشقى يترجم ويبرجم ويهمهم ويرغى ويزبد ويظهر الزور والبهتان والنزغ من الشيطان ثم انه كشف ردف الغلام فازداد به الوجد والهيام وقد اشتعلت فى قلبه النيران وقام عليه الاعور الجبار وخطه على باب تلك القبة المشيدة الاركان المرخمة الالوان ودكه فيه فلم يمنعه الا الخصيتان فعندها صاح الغلام الامان الامان فلم يفلته حتى قضى منه المراد على حسب ما اقتضاه عقله الخسيس فعندها صاح الغلام يقول هذا البيت

كفى حزنا أن لا نجائب عنده * ولا الاوليا الا القبائح والذم

ثم ان الغلام قام وأمسك لحيته وصار يشتمه ويلعنه ثم تركه ومضى واستوفى ما قدره الله عليه فانظر الى هذا القليل الدين الخبيث وتحيلاته على الفعل القبيح قاتل الله فاعل هذا الامر ولعن الله عامل عمل قوم لوط (وحكى) عن الامير مقلد رحمه الله تعالى أنه كان سائرا بموكبه وغلمانه الى بعض القرى فرأى رجلا مقتولا بجنب حائط والدم يجرى على

اوراكه فوقف ساعة ينتظر أحدا فلم ير أحدا ثم حانت منه التفاتة فرأى رجلا فقيرا قائما يصلى وقدامه ابريق وفى رقبته سبح وعليه مرقعة كبيرة فوقف الامير مقلد عنده حتى أتم صلاته وقال لبعض غلمانه اقبضوا على هذا الشيخ فقبضوا عليه فقال له الامير مقلد يا شقى تلبس على الله وعلى الناس ما هذه الخويشة وتقتل النفس التى حرم الله قتلها فلاى شئ قتلت هذا الرجل الذى مررنا عليه قال فصار يحلف ذلك الفقير ويتضرع الى الله تعالى ويدعو على الذى قتله فقال الامير مقلد لغلمانه فتشوه ففتشوه فرأوا معه السكين الذى ذبح به هذا الرجل الملقى على الارض ووجدوا جميع حوائجه عنده فلما رأى ذلك الامير مقلد قال له ما أنت فقير بل أنت زنديق ثم التفت الى غلمانه وقال لهم اقتلوه فقتلوه فانظروا يا اخوانى الى هؤلاء الفقراء المتزندقين وأعمالهم الخبيثة التى لا تحصيها كتب ولا دفاتر ولا دواوين فنسأل الله تعالى السلامة فى الدين والعبادة على اليقين وأن يجعلنا من الطائفة الذين سلكوا مسالك الحق وساروا على قدم الصدق وعرفوا الله بخلوص النيات وتركوا المحرمات فى مواضع الشهوات والقيام على قدم المجاهدات وتركوا الفضول واتبعوا ما جاء به الرسول اللهم احشرنا فى زمرتهم وتحت لوائهم آمين يا رب العالمين (وسمعت) بعض الملحدين من الدراويش المحلقين لحاهم يقول كلاما يخالف الكتاب والسنة وهو أن البعث والنشور والجنة والنار لا حقيقة لها وأن الشخص جنته وناره وحسابه فى نفسه وأن الدنيا لا تفنى ولا تزول وانما هى شمس تطلع وقمر يغيب وينشد قول أبى العلاء المعرى

أتى عيسى فأبطل شرع موسى * وجاء محمد بصلاة خمس
وقالوا لا نبى بعد هذا * فضل القوم بين غد وأمس
ومهما عشت فى دنياك هذى * فما تخليك من قمر وشمس
فان قلت المحال رفعت صوتى * وان قلت الصحيح دخلت رمسى

ثم يقول ان الشخص اذا خرجت روحه ومات دخلت فى جسد من الاجساد فى ادمى أو فى حيوان حتى يدور عليها الدور فترجع الى صاحبها الاول فيظهر بصورته التى كان عليها اولا وهكذا سائر العوالم فانظروا يا اخوانى الى شدة كفرهم وجهلهم وسوء اعتقادهم لعنهم الله تعالى (ويحكى) أن رجلا صالحا أضاف جماعة من الملبسين معتقدا أنهم من الصلحاء فلما فرغوا من المأكل والمشرب جلسوا يتحدثون فيما بينهم الى أن تكلموا فى القرآن فقالوا لهذا الصالح أتزعم أن القرآن كلام الله فقال نعم ومن شك فى هذا كفر فقالوا له ليس كذلك وانما هو كلام بحيرا الراهب علمه للنبى صلى الله عليه وسلم فلما سمع ما قالوه قام عليهم بالسب واللعن وعرف ضلالهم وأخرجهم من منزله على أشأم حال نسأل الله تعالى السلامة فى الدين والدنيا والآخرة (واجتمعت) برجل من الفقراء كان يكثر الذكر والعبادة وكنت أعتقده فجلست معه يوما فتكلم فى فضل العبادة فقال لى

ياسيدى أنالى عشرون سنة على هذا القدم ثم قام فصلى فلما فرغ من صلاته توجه الى ناحية سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به وقال كن لى يا أبا الفرجات وتقبل عبادتى ويسر لى رزقى فقلت له ما هذا الكلام لا يقبل العبادة الا الله تعالى ولا يرزق الخلق الا رب العالمين وانما سيدى أحمد البدوى رجل من اولياء الله تعالى وكل من قصد بالعبادة كالصوم والصلاة غير الله تعالى فقد أشرك وجعل لله تعالى شريكا والله سبحانه وتعالى اله واحد لا شريك له فى ملكه فقال لى ياسيدى انما أفعل ذلك عن شيخى الذى كان يقول لى قبل موته اقصد بعبادتك سيدى أحمد البدوى فقلت له معاذ الله انما هو مخلوق والعبادة لا تكون الا للخالق وقدمات شيخك على ضلال وعبادتك كلها فى هذه المدة فاسدة باطلة ثم انه ادركته العناية فتاب على يدى وأنقذه الله تعالى من الضلال الى الهدى وتوجه الى الله تعالى وأخلص فى عبادته (وحضرت) مرة بعض الموالد فسمعت رجلا من الفقراء الزنادقة قد هام فى الجمع وغنى فقال

ياهايما خذ من خراطيز كابتى ■ والطخ لحالك والحاضرين ورالك

(وعشق) بعض الفقراء الزنادقة غلاما جميلا فتحيل الى الوصول اليه فلم يمكنه ذلك فجاء الى رجل اشقى منه وعرض عليه حاله وشدة حبه لهذا الغلام فقال له ذلك الشقى خذ مصران غنم وأملأه زيتا ولفه على بطنك من داخل الثياب وقف فى وسط الجمع ودردش باللسان وخبر عن الشام وعن الزيتون وأدخل يدك بلطافة وأنت بجانب الغلام وحل المصران وخذ فى يدك شيأ من الزيت وارفع يدك فى الهواء فان الزيت يسيل منها وتكون قد وضعت فى جيبك زيتونة خضراء فأخرجها بلطافة وأرها للغلام وللناس فيعتقدون أنك ولى من الاولياء ويميل قلب الغلام اليك فاذا اتاك وقال لك علمنى الولاية وهذه الكرامة فقل له الولاية لا تصح الا بتدبير النقطة الخارقة وهى المنى ولا يصح تدبيرها الا فى الخلوة وادخل عليه بهذه الحيلة حتى تقضى منه المراد قال ففعل ما أمره به هذا الخبيث ونزل الجمع ووقف بجانب الغلام ودردش باللسان وأخبر عن الشام وعن شجرة الزيتون ومد يده الى الهواء فسال الزيت من يده وأظهر الزيتونة الخضراء فصاح الفقراء وقالوا شى لله وقبلوا يده فجاء الغلام وقبل يده ومال اليه وقال له ياسيدى أكون معك وأطلعنى على الكرامات والولايات فقال له ياولدى الولاية لا تنال الا بالنقطة الخارقة فقال له ياسيدى ومتى تفعل ذلك فقال له ياغلام هذا لا يكون الا فى الخلوة ولا يصح بحضرة أحد فقال له الغلام سر بنا الى الخلوة فأخذه ذلك الشقى ومضى به الى الخلوة وقال له نم على بطنك فنام الغلام وكشف هذا الشقى عن ردف ثقيل وخصر نحيل ركب فوقه ودفع ايره فما منعه الا الخصيتان فصاح الغلام الامان الامان ما هذه ولاية قاتل الله الابعد ثم قام من عليه بعد أن قضى مراده وتحقق الغلام أن هذا كله من الحيل حتى وقع له ذلك ثم سارا معا حتى لقيا جمع فقراء فى مولد

فقام

فقام هذا الشقى بجنابته فى الجمع وترجم وهمهم وقال

علونا على قبه مليحه مرخمه ■ وصبينا فيها من النور جانب

فأجابه الغلام بقوله

ماعدت تنظرها من اليوم ياقبيح ■ وماعادلك الا التعب والمصائب

قال فزعق الفقراء عند ذلك وهاموا وظنوا أن الفقير وصل الى قبة الفلك الاعلى ورقى عليها وأن الغلام فات مرتبته وحجبه عنها وفاق على شيخه فى الولاية والحال أنه مارقى الا على هذا الردف الثقيل والخصر النحيل وصب فى تلك القبة الدمعة الخارقة الحارة الدافقة وقبل الخدود ودفع فيه العمود فهم فى سكرتهم يعمهون قاتلهم الله أنى يؤفكون وقد قيل فى هذا المعنى

يصان الفتى فى حجر والده وان ■ تدروش قام الناس يكونوا وراءه

أى ان احتوى عليه جماعة من الفقراء أو من طائفة الملحدين المحلقين اللحى أو غيرهم من خواسر الطوائف قاتلهم الله تعالى افسدوا عقيدته وشغلوه عن الدنيا والدين ودار معهم فى التعاسة والخزى والنجاسة حتى تطلع لحيته فيتركوه خرابا لاذوق لا من النسك يشبع ولا من المال يجمع ومنهم طائفة لا يطلقون الامرد ولو التحى وشاب ويتمثلون ويظنون أنه الصواب بقول من قال

اهواه طفلا فى القماط وأمردا ※ وبلحية واذا علاه مشيب

وقال اخر

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى ■ ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فلست لاصحاب اللحاء تعسفا ■ فلا أنا لوطيا ولا أنا زانيا

وهذا بخلاف مذهبنا فى المحبة وسلوكنا فى العشق فان الامرد اذا جاوز ثمانى عشرة سنة مجته النفوس ولا يرغب فيه الا وقت القشل من الفلوس فاذا بلغ العشرين خشن وجهه بيقين وظهرت لحيته وتغير حاله وعمه الغم وخفى الخال الذى فى خده وصار وجهه مثل قفاه وتلى عليه لا حول ولا قوة الا بالله وقد قيل فى المعنى

التحى الامرد الذى ※ كان فى التيه مسرفا

حسنا كان وجهه ■ وسريعا تصحفا

سر والله ناظرى ■ مذ رأى ذلك اشتفى

شكر الله لحية ※ صيرت وجهه قفا

وقال اخر

سلب الناس بالمحاسن حتى ※ اذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه ※ وكفى الله المؤمنين القتالا

(ولوالدى) عفا الله عنه فى المعنى مع التشبيه البديع والجناس المصحف

قاربت للطلوع فى الخد ذقن * اثرت ظلمــــة قبيل النبات
كانتشار الظلام فى الشرق لما * غابت الشمس عند وقت البيات

وقال اخر

مافعــل الله باليهود * ولا بعــــاد ولا ثمود
ولا بفرعون مذ عصاه * مافعل الشعر بالخدود

فالعشق والغرام لا يكون الا رشيق القوام حلو الابتسام من أبناء العشر وذوى اللطافة فى الطى والنشر فاذا بلغ خمسة عشر صارت محاسنه لعشاقه محسنة ولواحظه لعذاله ملسنة وهذا هو الغرض والمرام عند أهل العشق والغرام ولا اعتبار بعشق هؤلاء الطوائف فان حبهم لدين الهوى مخالف وقبائحهم بادية وضلالتهم عادية واعتقاداتهم فاسدة وتجاراتهم كاسدة * ومن فعل هؤلاء الطوائف الذى ابتدعوه والامر القبيح الذى اخترعوه مع هذه الاحوال وارتكابهم الضلال أنه اذا مات بينهم انسان غسلوه وكفنوه وعلى النعش وضعوه وتعاطى حمله اربعة ابالسة كانهم من جنس القساقسة أو من دير الرهبان أو من جن سليمان فيجرون بالنعش بقوة باس وشدة أنفاس ويقيمون الصياح والزعيق ويقولون طار الشيخ بتحقيق ويقفون به فى بعض المحال يقرؤن فواتح وتضيع بسببهم المصالح ويطوفون به حول البلد والمقبرة وهم فى غبرة وعفرة كانهم حمر مستنفرة فرت من قسورة وربما ساروا به من بلد الى اخرى وقد يرجعون به القهقرى وهم فى خباط وعياط وصياح وشياط واضطراب وجنان ويقولون شى لله ياشيخ فلان وربما زغلط النسوان ورمين عليه الطرح بقدر الامكان * واخبرنى بعض الاخوان ممن شاهد الامر عيانا أنهم مكثوا اذا برين بميت من اول النهار الى غروب الشمس حتى انتفخ من شدة الحر وصار جلده لا يطيق اللمس فانظر رحمك الله هذه البدعة الفظيعة والطريقة الذميمة الشنيعة التى ارتكبوها من غير دليل ولا اثبات وانما هى اثم عليهم واذية للاموات فعلى العاقل أن يقف على قدم الشرع ليحصل له بذلك مزيد الخير والنفع قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى

وزن بوزن الشرع كل خاطر * فان يكن مأموره فبادر

وأن لا يختلط بهؤلاء الطوائف المضلين وارباب البدع الملحدين بل يكون على حذر منهم ويعتزل عنهم وان رأى منهم ما يخالف الشرع زجرهم ان استطاع والا تركهم وعاشر من يعود عليه منه الانتفاع قال بعضهم لا تصحب الا من اعجبك حاله ودلك على الله مقاله ولنختم هذا الجزء بارجوزة تتضمن ماذكرناه فى هذه الاوراق وما عايناه من احوالهم باتفاق كما تقدم الوعد به عن تحقيق فنقول وبالله التوفيق

قال الفقير يوسف بن خضر * لله حمدى دائما وشكرى

ثم الصــلاة والسلام أبدا * على رسوله الكريم احمدا
كذاك كل آله وصحبه * ومن قفاه بعدهم من حزبه
وبعد انى ناظــم أرجوزه * لطيفة مفيدة وجيزه
تخبر عن حال ذوى الرذاله * كذا عوام الريف لا محاله
نحمد الله ماأقول * فى نظمها وعنه لا نحول
اذا اردت وصف أهل الريف * أهل الشقاء وذوى القحوف
وغيرهـــم من فقهاء الجهل * كذا قضاتهم عديمو العقل
والعلماء منهم والخطبا * وغيرهم ثم النسا والادبا
فاعلم هداك الله للصـــواب * لا تصحب الفلاح لاكتساب
ولا لفضل منه حقا تعرفه * ولا لامر من مهم يكشفه
ولا ترج منه نفعا يحصــل * اذ ليس للامر الشديد يحمل
وليس يرجى لقضــاء حاجه * بل دأبه الالحاح واللجاجه
وان قضى مع كون ذاك نادرا * تلق له وجها عبوسا كاشرا
ويطلب الاجر على قضاها * أو تتخذه سيدا وجاها
تصبر فى خدمته والنفـــع * فى الحرث والقلع وضم الزرع
وكلما أردت منه تخلص * يرميك فى هـــم له ينغص
فاسمع لقولى ان ترد فلاحا * لحاجـــة فاترك نجاحا
ولا تؤمنه عــــلى معامله * فليس يعطيك سوى المماطله
وان ترد معه سريعا يختصم * يقول لك حتى أسدد الملتزم
وان بقى شئ من الزرع فلك * خذه والا لا تطـــول أملك
وان أطلت معه المخاصمه * أتاك بالشر مع الملاكمه
ويسحب النبوت والحزاما * ويلزمـــك بماله الزاما
وربما يقول للمـــلتزم * هـــذا يريد أن يزيل نعمى
ويأخذ الزرع بتلك الحيلة * والمال يبقى ياأمير بلــدتى
واخرب سريعا وتبور الارض * من حيث فلاح عليه القرض
فيمنع الامير رب الدين * عنه ويمسى حائرا فى شين
فليس فيهـــم أبدا نجاح * وليس يرجى منهم صـــلاح
بل مثلهم مثل الكلاب الجائعه * وحالهم حال الوحوش الراتعه
ونطهم فى الوحل ثم الجله * وضربهم للثور ثم العجله
تسبيحهم قم ربح بنا للساقية * واحسب لنا مال البلد فى الزاويه
غالبهم عوراتهم مكشوفه * شعرته من طولها ملفوفه

وان لحفر البئر يوما قصدا * ينزل عريانا كما قد ولدا
وليس فوق جسمه ما يستر * بل ايره ممطط مطرطر
ولبسه للحر والبرد برز * وطيزه من الشقا بها غرز
رجلاه لو تراهما من القشف * مثل جلود قد بدا فيها التلف
وهمهم وشغلهم فى الطر * فى حالة البرد ووقت الحر
ونطهم فى الحر بالغيطان * كمثل نط الوحش فى الوديان
وضمهم للزرع وقت القيظ * مثل عفاريت أتت فى الغيظ
وان يريدوا المزح والملاعبه * مثل كباش قد أتت محاربه
تاتى لهم حينئذ زعيقا * تحسبه ياصاحبى نهيقا
بل ربما يفوق صوت الرعد * فى عفرة وغبرة وطرد
وان تجمعوا للعب الكوره * تراهم فى غارة وغوره
من كثرة الصياح والزعيق * والجرى فى الزقاق والطريق
اولادهم ان لعبوا المداره * أوجلسوا للرقص والزماره
أوسرحوا بقصد جمع الجله * أوالتقاط سبل أورجله
مثل عفاريت أتت فى زوبعه * أوفرق من القرود الجائعه
صبيانهم اذ يلعبون فائح * كأنهم بهائم سوارح
وان هم فى حاجة تعللوا * فعلل الصبيان تلك العلل
وان أتت مواسم كالعيد * تراهم فى النط كالقرود
ومردهم ترقص والنساء * فعيدهم وحظهم فساء
طباعهم مثل طباع البقر * وان تشأ فقل كطبع الحمر
عشرتهم على الطباع ثقلت * مثل قرود فى الفيافى أقبلت
ويقتلون النفس عند كلمه * ان قال شخص بالضد الذمه
شخص يميل منهم لسعد * للشر يدعوهم وكل كيد
ولحرام آخر يميل * يصيح فى اغراتهم يقول
خذوه من قبل ترون باسه * ثم اقتلوه واخمدوا أنفاسه
فذا يصيح يال سعد أسعدوا * وآخر يال حرام أنجدوا
فذانك القطبان دون لبس * عندهم أمر بقتل النفس
فيخربون الارض بالغارات * ويرصدون القتل فى الطرقات
وان أتتهم للقتال عسكر * فروا الى جبالهم واستتروا
وعند ماعادوا الى البلاد * عادوا الى الشر والفساد
فما جزاهم غير قطع الرأس * وشنقهم وضربهم والحبس

فقسوة القلب لهم طبيعه * وقلة الخير لهم ذريعه
ومشيهم فى الحر من غير وطا * ونومهم فى الغيط من غير غطا
وطرهم فى ظلم الليالى * فى الجرن ياصاح أوالتلال
قد يبست جلودهم فى الحر * كأنها قد خلقت من صخر
ونطهم فى الطين ثم الوحل * وضربهم للثور ثم العجل
وحفرهم فى البئر والسواقى * ومشيهم أيضا بلا طواقى
ومنهم من لا يزيل شعرا * والرأس لا يحلقه ماعمرا
ولا يقص شاربا اولحيه * ولا ينظف قلبه من خريه
وشدة فيهم على الخناق * منها يطول الشر باتفاق
وضربهم للاب ثم الام * وصبرهم للجسر ثم الطم
وأكلهم فى العدس والبسله * كمثل أكل كلبة أوعجله
ومن تراه منهم يصلى * تراه لا يعرف فرض الغسل
ولم يميز طاهرا من نجس * ولم ينظف ثوبه من دنس
وان جثا يوما على الفقيه * تجد له طيزا كما البرنيه
كذاك من يجنبه وآخر * وذا مخاصم وذا مشاجر
وان اقام عندهم ذو فضل * فهو حقير عندهم فى ذل
ولن يطيعوا الشرع الاغصبا * أويوجعوا لاجل ذاك ضربا
وهم عبيد قابض الاموال * فعندهم كالم أوكالخال
ويجلسون عنده فى أدب * أويقف الواحد منهم كالصبى
وليس فيهم رحمة لعالم * لكن لاهل الشر والمظالم
فالشر والعد وان فيهم شائع * والخير والاحسان منهم ضائع
أخلاقهم تروى عن ابن حجر * طباعهم تروى عن ابن بقر
دناسة اللبس لهم مرويه * عن ابن شلتوت له معزيه
ذقونهم تروى عن ابن وحل * والضرط الفساء وابن زبل
فلا جزاهم ربنا خيرا ولا * لقاهم سوى الهموم والبلا
فقيههم ذو الكم والعمامه * اذا أتى كأنه غمامه
والعلم عند الله ليس يعرف * سوى بذا الاسم حين يوصف
وان جثا يوما على الجفان * كأنه الناطور فى الغيطان
يفترس الأكلة من يسار * ويلعه عن مضغ ذاك عارى
يقول أروى لكم روايه * تنبى عن الضمير بالدرايه
وفى غد أروى لكم قصيده * لعنتر فى عبلة الفريده

كذلكم دلهمة البطال * وسيرة الراهب والجمال
واشرح لكم واقل لكم عن شيحه * وامّ جابر بنت ابو فريحه
واروى لكم ماقدأتانى عن أبى * وأبى قدقال أيضا عن أبى
وقال جدّى ذاك أبو غنداف * صلوا ولو كنتم على المقداف
ولو بلا وضو ولا طهاره * كماروى عن جدّتى شراره
قاضيهم اذا أتى لشغل * مثل رئيس قدأتى بالطبل
ينزل عن البغله أوالجماره * كأنه الراهب أبو زراره
وعندما يجلس فى انتفاخ * تفرش له قطعه من الانخاخ
وبعدذا يأتى اليه المشتكى * ثم يقف على عصاه متكى
وبعضهم على العصا يلف * رجلاله وهو ثقيل خف
يسأله ياقاضى الهموم * هات لعندى ابن أبى دعموم
وحياة دقنك جلتى سرقها * واربع قفف من زبلنا حرقها
وقدأخذ وحياة راسك حدوتى * وعمتى المشرمطه ولبدتى
احكم بحكم الله ياقاضى البلد * والا ضربتك ألف نبوت بالعدد
يقول هذا قدلزمه الحدّ * حيث سرق ومنه تقطع يدّ
رح ياقفا ياعرص ياابن الزبله * ادفع له قيمة هذى العمله
وصالح الخصم وهات لى فرخه * والا على دقنك أشخ شخه
ان عقد النكاح ليس يدرى * منه سوى زوّجت بنت عمر
وليس يدرى شاهدا ولا ولى * ولا يعرف صحة من علل
اذا قضى قضيه وبتها * يجرى سريعا عندها باليتها
فقير هم شعاره الابريق * والنط والصريخ والتصفيق
وذا مريدى ومريد جدّى * وذا الولد بدايتى وعبدى
يسير طول الليل خلف ظهرى * غير مصلى مغرب أو ظهر
الا باذنى أو بذا تشويشه * ومن راه قال ذا درويشه
وعندما يأتى به الموالدا * من خلفه تلقاه حقا الابدا
ويدخل الجمع به يدروش * وباللسان بينهم يدردش
فيزعقوا ويضربوا الكفوفا * ثم يقوموا كلهم صفوفا
ثم يقولوا أخبر الشيخ الولى * عن أوليا جاءت من ارض الموصل
هذا يجى بين السما والارض * على السحايب ماعليه من فرض
ولا بقى عاوز الى عباده * هذا بقى فى نفسه الرشاده
هذا فقير بالقول والاشاره * هذ اولى قسبة الحماره

وان تسله حالة الطريق * يقول مانعرف سوى الابريق
وهز وسطى ثم طرق يدّى * وميلان لبدتى وشدى
ان قدّم الماجور احط كفى * واطلع بلقمه مثل دور الخف
وبالدراويش بجنب الشط * امشى وابريقى تحت ابطى
وانزل على من لى عليه سياده * واقول له البيته وهات العاده
وهات لى الفرخ مع العليقه * وليس يعرف غير ذى الطريقه
ومذهبى ياسعد يا حرام * ولا أقل بأنّ ذا حرام
اخذت عن شيخى بهذا الفعل * فهو حقيق مشبه بالعجل
ومنهموا طوائف خوامس * وكلهم بجمعهم ابالس
لا يعرفون الصوم والصلاة * ولا يرون الحج والزكاة
تراهموا جميعهم أنعاما * لا تعرف الحلال والحراما
الشخص منهم ينكح العمات * وينكح الاخوات والخالات
ويستبيح الفعل وهو كافر * وقتله قدحلّ هذا ظاهر
فكلهم بجمعهم اراذل * وليس فيهم رجل يماثل
لاهل فضل أولذى كمال * بل كلهم فى رتبة الجهال
ناظمهم ان قال يوما شعرا * فشعره يشبه طعم العذرا
اوقبح قول جا بلا روايه * اووصل قلقيل بلا درايه
ان لم تكن ذقت الخرا فى العمر * فذق كلام نظمهم والنثر
سماعه اذا بدا رزيه * لكن له ما بينهم مزيه
لكونهم أجلاف مع أوباش * مثل عير الجون والكباش
اسمائهم تخبرك عن اوصافهم * القابهم تنبيك عن اشرافهم
وهم حنجل وجليجل وقطا * والحاج عنطوز بن أبو فردة وطا
وعفر مع دعموم مع زعيط * كذا نمرا الدس وأبو معيط
ثم قليطه وشلاطه قدورد * كذا الهباطه وزعاطه فى العدد
شقليط مع مغليط مع خبيط * صغار مع بعوار مع صرميط
بزبوز مع عموز مع قروش * معوت مع برغوت مع غلوش
البقش ثم العفش عنهم ذكروا * كذا حنين بن بنين شهروا
كذا سمعنا أنهم يكنوا * ابو شوالى ومنادر يعنوا
كذا أبو عفر أبو دعموم * وأبو الدواهى مع أبو الميشوم
أبو شادوف أبو جاروف أبو نطاح * مشكاح أبو رماح أبو رياح
من جهلهم ميم محمد يكسروا * والحاء أيضا عندهم قد تكسر

محمدين قد سمعت منهموا * كذابهام وعقرب فيهموا
والقلط والضراط قد دوينا * ويبدلون الصاد أيضا سينا
فهذه اسماء مثل الوحل * أو أنها تشبه ضراط النمل
وان ترى الاسماء لاتعدل * فانها والله بئس العمل
وان ينادى الشخص منهم آخرا * يجيبه بقبح لفظ كالخرا
وان ينادى للمرا ياداهيه * تجيبه لما يشخ عليه
وعندهم من افصح اللغات * كقولهم فى الارث ذا ميراتى
وضب فى البوشه وهات جوادى * ماضال آتى مازال هذا الوادى
يعنون بالجواد مركوبا حضر * كذا الذهاب الى الكرا من السحر
جعبوبتى راحت من المرجونه * سيرى اسكنى جو احدا الطاحونه
قومى اخفقى لى فى الزريبه نقره * لاجل أقوم بالليل وفيها آخره
غدا ترى الجدعان نطوا فى المراح * يوم الهرويه فى الزريبه بانشراح
جعمار اجا جمص سخمط جله * اليوم الوعنزين وعنده عجله
والحج عنطوز قد حضر فى كرشه * اليوم وراح هربيط وجاب له كرشه
وحطها فى الدست يطبخها بفرحه * بفرتها اخدها ابن راس المسحه
اليوم بلدنا شيخها ابوعوكل * وابو فسوه وابو ضرطه وهيكل
والحج قلوط الكبير فى هودج * والحج جعماص بن حزق النورج
وانما اسماءهم مناسبه * ذواتهم وافعالهم مقاربه
نساءهم أيضا لهن اسما * نخذها بعدها ونحما
زعره وبعره ميكه خطيطه * بلوه وعلوه شايعه حويطه
شيخه زرار مع شباره سموا * كذا معيكه وركيله ضموا
سقاقه أيضا كذا شلبابه * وخريوه وفسيوه وعطايه
كذا شقيره ثم غاسوله ورد * جده ولبده وعطيه فى العدد
وطالبه وهاربه حطيبه * كذا فريجه بنت ابوعريبه
وقد سمعت رجلا ينادى * جحه خدبوه اغسلى الزبادى
واحلبى البقره وهاتى العجله * روحى حدا الجدعان وشوفى النخله
قومى وحطى العدس فى القصوله * انتى وايا بنت ابو بعبوله
ياداهيه ياداهيه تعالى * جتكى من الحبط بنت أبو شوالى
قومى تعالى تعشى بنا فى الموضع * ابنك بيخرى هى تقل كل واشبع
هاتى لنا قطعة وسخ من ابنكى * الطخ بها الجله وشوفى بتسكى
ياداهيه روحى وهاتى البقره * انتى وبنت الحس قفاكى خضره

ياداهيه روحى وشوفى النقره * فى وسطها جله طريه خضره
وحولها شوفى الحمار والعجله * ولى بعرتها اعمليها جله
فهذه اسما النساء نخرا * شبيهة بالوحل عند الخرا
ولقبهم ياابن الوطايا حدوه * ياخرا الحس وابن بنت الفسوه
ياعلق ماتجى عندى يابو كاره * يللى بتخرى كل يوم فى الحاره
وانت بتقعد للمسا فى التونه * وكم بيكولك فى الدره بالعونه

تم الجزء الاول من هذا الكتاب ويليه الجزء الثانى من تجزئة المؤلف

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله رب العالمين * والصلاة والسلام على سيدنا محمد أشرف النبيين * وعلى آله وصحبه اجمعين (وبعد) فيقول العبد الفقير الى الله تعالى يوسف بن محمد بن عبد الجواد بن خضر الشربينى كان الله له ورحم سلفه انه لما كانت الهمة البارده * والفكرة الكاسده * تحركت أياما قلائل * لتأليف كتاب صار فى الاوراق حاصل * فى احوال أهل الريف باتفاق * ومالهم من نظم ونثر وحب واشتياق * وصار بجزء الاول فى الكثافة له شبيه * ولا يكترث به ذو فضل فى العلوم نبيه * وكان كالمقدمة للقصيد * وقد حوى معانى تشبه تحوف الجريد * وختم بالارجوزة الحاوية لما فيه من النثر والاشعار * وغايته أنه اغتراف من بنات الافكار أردت اتصاله بهذا الجزء الثانى * وحل معانى القصيد التى عليه مدار تلك المبانى * فحركت فكرتى الخامله * وأطلقت عنان اليراع لبيان تلك الامور الحاصله * لحل معانى نظم القصيد * متكا عليه انسكاب الوابل على الصعيد * بالفاظ يفوح معناها كريح الفسوى * ومعانى تشبه فى الوضع خابط عشوى * فساعدتنى الفكرة لما اليه قصدت * وتحركت معى لما اليه أردت * وهذا أوان الشروع فى المقصود * بعون الملك المعبود * (فاقول) ذكر نسب الناظم وما حواه * وذكر الموضع الذى ضمه وآواه * وسبب سعادته وحصولها * وصفة لحيته هل كانت طويله اوقل طولها * وكيف مال عليه الدهر فى آخر الزمان * حتى أنشأ هذا القصيد واشتهر عنه وبان * فنقول أما نسبه فعلى اقوال فمنهم من صرح أنه ابوشادوف بن ابوجاروف بن شقادف بن لقالق بن بجلق بن عفلق بن عفر بن دعوم بن فلحس بن خرا الحس فاذا ذقت الكلام بمعقول عرفت انتهاء نسبه على هذا القول (وقيل) ابوشادوف بن أبوجاروف بن بردع بن زوبع بن بجلق بن عفلق بن بهدل بن عوكل بن عمره بن كل خرا فانتهى نسبه على القول الاول لابن خرا الحس وعلى الثانى لابن كل خرا وهو الاصح لان أكل الخرا ابلغ من لحسه (وأما قريته) ففيها خلاف قيل انه من تل فندرولك وقيل من كفر شمرطاطى وهو الصحيح لان الناظم صرح بذلك فى بعض اشعاره يخبر عن نسبه فقال شعر

أنا يا ناس فى قولى دلايـل * وقطمى حق ماهو شى هبايل
ابوشادوف أنا قال لى ابويه * عليـه وجـدتى ديك أم نايل
بانى قـد تربيت بـاجماعـه * بكفر يعرفوه ناس أوايل
يسمى كفر شمـرلى وطاطى * فكن صاحب فهامه يا افساقل
وذا قولى وابوشادوف اسمى * وشعرى حق من جانى يسايل

وسمعت شعرا لبعض أهل الريف يدل انه من تل فندروك وهو هذا

سمعـنا من قديم ومن جديد * كلاما ماكنا شـبه الحـديد
ابو شادوف عنـه خـبرونا * بقـول حـق جانا بالو كيـد
بتـل فنـدروك وفيـه تربى * وعاش ياقوم وانشا الوقصيد
وذا قولى وانا عنداف اسمى * وكم من نظـم اجيبو من بعيد

وقد يجمع بين الروايتين فيقال انه ولد فى كفر شمرطاطى وتربى فى تل فندروك (وأما صفة لحيته) فقال بعضهم كانت طويلة جدا وقال آخر كانت معتدله فى الطول والقصر وقد يجمع بين القولين فيقال انه لما كان فى ابتداء عمره فى سـعادة كاملة ونعـمة وافرة كما سـيأتى كانت طويلة لكثرة ما كان يتعهدها بدن الفراخ والزيت الحار والتمشـط واصلاح الشعر ونحو ذلك فلما كبر وتغير عليـه الزمان واعتراه الهـم والاحزان قل طولها من أكل الطبوع والصيبان ونحو ذلك أى أنها نشأت فى الاول طويلة ثم انها عرضت فعرضها ضر طوالها فلا تعارض بين الروايتين كما قال الشاعر

ذقن طالت فافسدت * عندما ضر طوالها
قصروها فاصـلحت * عنـد ما قل طوالها

(وقيل) من الدليل على قلة عقل الرجل صغر رأسه وطول لحيته وان كان اسمه يحيى فقد فقد العقل بالكلية (وفى المثل طويل الذقن قليل العقل) كما اتفق أن بعضهم كان له صاحب طويل اللحيـة واسمه يحيى يؤدب الاطفال ففقده اياما فسأل عنـه فقيل له هو منقطع فى بيته حزين فظن صـديقه انه مات له ولد أو أحد من اقاربه فذهب اليه فرآه فى حالة الحزن وهو يبـكى وينوح فقال له عظم الله أجرك واحسن عزاك ورحم الله ميتك كل نفس ذائقة الموت فقال له اتظن انه مات لى ميت قال فما الخبر فقال له الشيخ اعلم انى كنت جالسا ذات يوم فسمعت رجلا ينشد ويقول شعر

يا أم عمرو جزاك الله مكرمة * ردى عـلى فؤادى اينما كانا
لا تأخذين فؤادى تلعبين به * فكيف يلعب بالانسان انسانا

فقلت فى نفسى لولا أن أم عمرو هـذه من أحسـن النـاس واجلهـم ماقيل فيها هـذا الشـعر فشغفت بحبها أياما وانقطعت زمانا ثم انى جلست يوما من الايام فسمعت قائلا يقول

اذا ذهب الحمار بام عمرو * فلا رجعت ولا رجع الحمار

فقلت لولا أن أم عمرو هذه ماتت ماقيل فيها هذا البيت فدخلنى الحزن واعترانى الاسف قال فتحقق صاحبه قلة عقله وتركه ومضى (وقيل) مر بعضهم فى يوم شـديد البرد فرأى رجلا صغير الرأس طويل اللحية وعليه قميص واحد وهو يرتعد من شدة البرد ورأى تحت ابطه حراما أبيض من الصوف مطوى فقال له لأى شئ لا تضع هذا الحرام عليك يقيك ألم البرد فقال أخشى من نزول المطر عليه فيبتل فيذهب حسنه وتزول بهجته قال فتحقق الرجل قلة عقله وتركه ومضا * واجود اللحاء ما كانت معتدلة متساوية الشعر لا طويلة ولا قصيرة * فان قيل ان فرعون كانت لحيته تزيد عن طوله شبرا أو شبرين على ماقيل ومع هذا كان عارفا فطنا قلنا الجواب أن الله تعالى كان قد اعطاه ثلاث آيات منها طول لحيته وأنها كانت خضرة اللون ولم يكن لمثله ذلك وكان له جواد يضع قدمه عنـد منتهى بصره وترتفع رجلاه اذا صعد ويداه اذا هبط أو يقال انه وان كان على غاية من المعرفة فهو فى حكم مسلوب العقل لادعائه الالهيـه وارتكابه الامور الشنيعة ونحو ذلك فالكلام على حقيقته كما تقدم انتهى (وقيل) أحذر الناس وأشطنهم الاجاردة فينبغى لمن صاحبهم أن يكون منهم على حذر لشدة حذقهم وقوة معرفتهم وكثرة محاورتهم للامور * كما اتفق ان بعض الملوك قال لوزيره من أشطن الناس وأحذرهم قال الاجرود قال أريد أن تطلعنى على حقيقة ذلك قال تصنع طعاما وتصنع له ملاعق كل ملعقة ثلاثة أذرع وتأمر الناس يحضروا للاكل فاذا حضروا وجلسوا تأمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وأن الرجـل منهم لا يمسك الملعقة الا من طرفها ويأكل وتنظر ما يظهر لك قال ففعل الملك ما أمره به الوزير وحضر النـاس للطعـام فلما جلسوا أمرهم أن لا يأكلوا الا بالملاعق وان لا أحد يتجاوز بالمسك طرف الملعقة كما مر قال فأرادوا الاكل فلم يقدروا وارادوا القيام فمنعهم الملك وأمرهم بالجلوس فصار الرجل منهم يملأ الملعقة ويريد أن يدخل ما فيها فمه فتطول عن فمـه وتفوت قفاه فصبروا فى أمرهم فبينما هم على هذه الحالة اذ دخل عليهم رجـل أجرود فقال لهم ما بالـكم لا تأكلون من الطعام فأخبروه بالقضية فقال هذا أمر سهل أنا أدلكم على حيلة تأكلون بها ولا تخالفوا أمر الملك كل رجل منكم يطعم الذى قباله وجهه وكذلك الآخر يمد ملعقته يطعم من أطعمه حتى تكتفوا من الطعام والملاعق على حالها فصار هذا يلقم هذا بملعقته والآخر يفعل مع الآخر مثل ما فعل معه حتى اكتفوا جميعا قال فتعجب الملك من حيلة هذا الاجرود وقوة شيطنته وشدة فراسته وأمر له بصلة وأخلع على الوزير * ووقف رجل أجرود بين يدى بعض الملوك يشكو خصمه فقال له الملك انى متعجب من شكواك يعنى أنك اجرود ولا يغلبك أحد فقال العفو يا ملك ان كان فى وجهى بعض شعرات فان خصمى أجلس أملس لا شعر بوجهه قال فضحك الملك وأنصفه من خصمه وأمر له بصلة (وأما سبب سعادته فى ابتداء امره وكيف مال عليه الدهر) فعلى

اقوال أحدها انه لما نشأ وصار له من العمر عشر سنين كان فى قوة وشهامة ومعرفة فى رعى الغنم والنط فى الغيط والمشى فى الحر حافيا عريان وكان يشيل الجلة الخضرا على رأسه من الغيط الى داره فى أسرع زمن حتى أن الرطوبة المتحللة منها كانت تسيل على وجهه وربما عطش فشرب منها وربما تم مايسيل منها بقية جسده كما هو عادة اولاد الارياف وكان يمكث الشهر والشهرين لايغسل له وجها الا ان صادفه رشاش بول عجلة او بقرة وهو سارح الى الغيط او مروح فيمعكه بيده فيكون قائما مقام الماء لغسل وجهه وكان مع هذه النظافة المشهورة لايغفل عن ضرب الاولاد ولعب الكورة حول الحارات والنط على المزابل والاجران ولعب الدارة والطبلة والزمارة والعياط والغارة وضرب الكلاب بالسخام والهباب حتى أنه من دون رفاقته صار يومه بيومين وشهره بشهرين كما قال فيه شاعر القريتين شعر

ابو شادوف من يومو مجعمص * شبيه الجرو يتنطط بقوه
ويسرح غيط ابو بعره ويجمع * من الجله الطريه فى القروه
وهو عريان وشايل فوق راسو * ووجهو صار كيف وجه البعوه
وماقد سال من الجله الطريه * يسيل عليه وماعندو مروه
ويقعد شهر مايغسل لوشو * ولاشهرين وجسمو فيه قوه
ويسرح للضحى فى الجرن يكنس * ويطرد مثل كلبتنا ام جروه
ويازينو أبو شادوف لما * يجى الجاموس يقطع وسط ربوه
وينزل ينفرد فيها وراهم * ويرنطط كما عفريت خلوه
ابو شادوف من صغرو مدلل * تربا عندنا كلب بن جروه
ابو شادوف عطاه الله نعمه * لبس لبده وعندو اليوم فروه
وابوه اليوم شيخ الكفر قاعد * حدا الصراف وراسو جنب حدوه
يقول سيدى يقول له يامعرص * تحط المال أو انخليك دعوه
وهو من مثل ابو شادوف يقبض * وأبوه وعمو بنت ام فسوه
ونختم قولنا بمديح محمد * رسول الله كم زاح كل بلوه
عليه يا ربنا صلى وسلم * واصحابه الكرام أهل الفتوه

وكان الناس يحسدون والده عليه وعلى قوته وشطارته وشدة معرفته فى نقرة الطبلة وصوت الزمارة وكان ابوه قد ملك فى حال حياته حمارا أعرج وعنزتين وحصة فى نور الساقية ونصف بقرة وعشرة فرخات وديكهم وأربع كيلات نخال من شعير وملك نحو أربعمائة قرص جلة ومطمورة يخزن فيها الزبل أيام الشتاء وكان عنده قلة مكسورة وزير أقلم وجروانة يكنس بها الجرن وكلب يحرس الدار فلما تمت له هذه الحالة والسعادة توفى الى رحمة الله تعالى كما فى الغالب أن الفقير يوم يسعد يموت وما أحسن ما قال الشاعر

اذا تم شئ بدا نقصه * ترقب زوالا اذا قيل تم

فكفنه ابنه ابو شادوف فى رداء من محر الكتان ودفنه فى تربة تعرف بتربة ابن جاروف شط بكفر شمرطاطى وقيل بتل فندرولك وقد يجمع بين القولين فيقال مات فى كفر شمرطاطى ودفن فى تل فندرولك وقبره الآن يعرف بقبر ابو جاروف يزوره الفلاحون ويلعبون بجانبه الكورة وربما تبول عليه البهائم فى بعض الاوقات وقد رثاه بعض شعراء الارياف فقال شعر

الا كونوا اسعفونى ياجماعه * وابكوا ياامشاه فى كل ساعه
ابو جاروف ولى اليوم عنا * وخلا العنز والبقره بقاعه
وخلى بنت عمو أم فلحس * عليه اليوم تبكى وسط قاعه
وابو شادوف يعيط وسط راسو * أبو يامات وعدنا فى مشاعه
وراح من كان شيخ الكفر يحكم * على الجدعان ودوليك الرباعه
ولما كان يركب يوم غاره * على كلبه ويدلع دلاعه
ويلبس لبدتو من فوق راسو * ودقنو بارده فيها سقاعه
وحولو جروا بن خراى فلحس * وأهل الكفر مامنهم نجاعه
تقول ريس على جوق المغانى * او الخلبوص جاء يشفع شفاعه
وحو وراح ربى ارحم عضامو * ويبشبش طوبتو فى كل ساعه
وابو شادوف ياالله ابقى شبابو * ويصبح شيخنا صاحب فقاعه
ويبقى مثل ابوه راكب وحولو * جماعه فى جماعه فى جماعه
ويتعنطز ويسرح فى السهارى * ويتجعمص ويقعد فى السراعه
ونختم قولنا والدائم الله * ودا الكاس حق مافيه اندفاعه
وأنا شاطر وشاعر طول عمرى * والضم لضم يتلمع لماعه
جعلتو فيه يحزن من يشوفو * وودعتو بقولى اليوم وداعه
وصال على الزين اصلى طول عمرى * نبى الله واطلب لى الشفاعه
وأبو شادوف انا الاحد غيرى * وضربه دم تكتم دى الجماعه

قال ولما فرغ العزا وراق الزمان وأخذ واخاطر ابو شادوف المشايخ والجدعان وتصدق على والده بالفطير * المعمول بالنخالة والشعير * واطلع قبره بالوحل والجله * وعمل بجانبه مدود العجله * محب النبوت * ومشى كالنعوت * واتمشيخ على الكفر * وأطاعه زيد وعمرو * وجلس على ركبة ونصف مو ترط * وعيط * واتنطط * وغنا وقال * وافتخر بهذا المقال * وانشد وجعل يقول شعر

ابو شادوف عمرى ياسلامه * أقول القول وناصاحب فهامه
ولولا أن ابوه فى ترابو * أنا فى الكفر شيخ بلاملامه

وأحكم على المشاه واسرح واروح * واخوض البحر الى حدا الحزامه
واشد على الحمار واركب وحولى * جماعه شبه شمعه فى ضلامه
ابو عنطوز وابو ابن بوزو عقلق * ودم الحس قفالة وأبو عمامه
وانا ماعاد كيفى اليوم واحد * واضال انى مجعمص فى شهامه
وأطحن قرن من خالف كلامى * بنبوتى واكسر بوعضامه
ابويه كان قبلى شيخ عليكم * نخلونى وروحوا بالسلامه
ونختم قولنا بمديح محمد * واصحابو الملاح أهل الكرامة

قال فعند ذلك حسدوه المشايخ والجدعان على مشيخة الكفر التى حصلت له بعد وفاة ابيه على التركة فأغروا عليه الحكام فأرسلوا اليه وعارضوه فى جانب منها وقيل فيها كلها ولم ينفعه الامطمورة الزبل التى ادخرها وهى التى كانت سببا لسعادته بعد موت أبيه على ماقيل ثم صار يدارى الناس ويتملق لهم بالكلام الى أن تناست القضية ودخل فصل الشتاء ففتح المطموره ليلا وباع الزبل وكثر عليه الرزق على هذا القول (وقيل) انه اقترض عشرين نصف فضة فأخذ بهم بيضا وطلع مصر فصادف عيد النصارى فباع البيض بزيادة عن ثمنه فكان هذا سببا لسعادته وقد يجمع بين القولين فيقال انه باع الزبل وأخذ بثمنه بيضا فكانت سعادته من مجموع ثمن الزبل والبيض فلا تعارض فى ذلك وكان يعطى ويتكرم فقصدته الشعراء والادباء من أطراف الكفور حتى أنه أجاز شاعرا بخمسين بيضة وكيلة شعير وأعطى آخر مائة قرص جلة وجاءه آخر بغرارة فلا هاز بلا من اولها الى آخرها ودفعها له * وكان قد اقبل عليه الرزق زيادة عن والده فكان عنده وزتين وعشرين فرخة بديكهم وقفص للفراخ من جريد ونبوت أعوج ولبدة وخلقة زرقا ووقة ملاتة نخال وعشرة حزم عروق جزر تانشف وغير ذلك ولم يزل على هذه الحالة يبارك له المولى فى رزقه فانما الرزق من الله تعالى (كما اتفق) أن بعض الصالحين كان فقيرا جدا فبينما هو نائم اذ هتف به هاتف يقول له يافلان امض الى محل كذا خذ منه ألف دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى فأتاه مرة ثانية وقال له اذهب الى المحل الفلانى خذ منه خمسمائة دينار فقال أفيها بركة قال لا فقال اذهب عنى ولم يزل يأتيه مرة بعد اخرى حتى قال له اذهب الى محل كذا وخذ منه دينارا واحدا فقال أفيه بركة قال نعم فقال اذا آخذه فذهب وأخذ الدينار وبورك له فيه وصار فى نعمة وسعادة زائدة فالشخص اذا اقتنع شبع وبورك فى قليله قال الولى الصالح العارف بالله تعالى سيدى يحيى البهلول رضى الله تعالى عنه ونفعنا به والمسلمين آمين

استقنع بقليلك * يأتيك الله بكثيره

وقال

كم عارض بعد رشاش * ينهل من المزن

أنا مالى فباش * ايش على منى
أقلق من رزقى لاش * والخالق يرزقنى

وقال رضى الله عنه

ياابن آدم قل طمعك * ذا السعاده وعد سيدك
لاتقل دا بالشطاره * او تحصلها بايدك
لو تكن تبع زمانك * غير رزقك مايجى لك
ان رزقك مثل ظلك * ان مشيت يمشى قبالك
من له فى الغيب شئ * لايموت حتى يناله

وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه وارضاه وجعل الجنة متقلبه ومثواه

وجدت القناعة كنز الغنا * فصرت بأذيالها ممتسك
فلا ذا يرانى على بابه * ولا ذا يرانى عليه منهمك
وصرت غنيا بلا درهم * أمر على الناس كأنى ملك

حتى مال عليه الزمان * وجفته الاهل والخلان * ونفد جميع ما كان معه من المال * وصار فى اكبر الهم وأشد الاحوال * ولم يجد له خلا ولا مساعد * ولم يبق الا الذى خلف له الوالد * وأخذ مشيخة الكفر من كان خدامه ولم ير له مساعدا ولا صديق * ولا صاحبا ولا رفيق * كما هو عادة الدهر فى رفع الاسافل * وخفض السادة الاماثل * فهو كالميزان فى فعله * او المنخل فى حاله ونقله * كما قال الشاعر هذه الابيات

رأيت الدهر يرفع كل وغد * ويخفض كل ذى شيم شريفه
كمثل البحر يغرق كل حى * ولا ينفك يعلى كل جيفه
أو الميزان يخفض كل واف * ويرفع كل ذى زنة خفيفه

وقال آخر

الدهر كالمنخل فى فعله * فاعجب لما يصنعه المنخل
يحط لب اللب من تحته * وترفع القشرة والفشول

فحوادث الدهر تأتى على غرر * ويذهب الشخص على خطر * وقد قلت فى مطلع قصيدة من هذا المعنى هذه الابيات

حوادث الدهر قد تأتى على خطر * فاحذر عواقبها تنجو من الضرر
واعدد لها من دروع الصبر سابغة * تقيك شدتها اذ ترم بالشرر
كانت ليالى بها اللذات مثمرة * قطفت منها ثمار العز فى الصغر

الى آخر الابيات فليس لحوادث الدهر الا الصبر الجميل * والتسليم الى الرب الجليل * وممن دهمه حادث الزمان * وانصرفت عنه الاهل والخلان * (ماحكى) أن بعض الحسدة وشى بالوزير الكاتب ابن مقلة الذى انفرد فى زمانه بعلو الخط وحسنه وادعى انه دلس

على الملك فى بعض الامور فامر الملك بقطع يده فلما فعل به هذا الامر لزم بيته وانصرفت عنه الاصدقاء والمحبون ولم يأته أحد الى نصف النهار فتبين للملك أن الكلام عليه باطل فامر بقتل الذى وشى به وأعاد ابن مقلة الى ما كان عليه وندم الملك على مافعله معه من قطع يده فلما رأى اخوانه أن نعمته عادت اليه عادوا له يهنوه وأقبلوا اليه يتعذرون له فعند ذلك انشد يقول شعر

تحالف الناس والزمان ■ فحيث كان الزمان كانوا
عادانى الدهر نصف يوم ■ فانكشف الناس لى وبانوا
ياأيها المعرضون عنى ■ عودوا فقد عاد لى الزمان

قيل مكث يكتب بيده اليسرى بقية عمره ولم يتغير خطه حتى مات * ومن النوادر الدالة على فصاحة ابن مقلة ما اتفق أن رجلا كتب رقعة وألقاها اليه بحضرة الملك ليقرأها عليه وكل لفظ منها فيه حرف الراء وكان ابن مقلة لا يقدر أن ينطق بهذا الحرف (وصورتها) أمر أمير الامراء أن يحفر بئر على قارعة الطريق ليشرب منه الشارد والوارد قال فلما أن تأملها غير الالفاظ وأتى بالمعنى ■ وقال حكم حاكم الحكام أن يجعل جب على شاطئ الوادى ليستقى منه الغادى والبادى وكان هذا من قوة بلاغته رحمه الله تعالى ■ وقيل اربعة يضرب بهم المثل حسان بن ثابت فى الفصاحة * ولقمان فى الحكمة * وابن ادهم فى الزهد ■ وابن مقلة فى حسن الكتابة والخط * قال الشاعر يصف هذه الاربعة بهذه الابيات

فصاحة حسان وخط ابن مقلة ■ وحكمة لقمان وزهد ابن ادهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء مفلس ■ ونودى عليه لا يباع بدرهم

وأما ضد هذه الاربعة فلله در من قال فيها

سماجة أطروش وثقل ابن قبينة * وغفلة قرنان وعكس ابن ايهم
اذا اجتمعوا فى المرء والمرء موسر * لكان فصيح القوم عند التكلم

وبما دهمه حادث الدهر * وعلاه الهم والفقر * فاصبح بعد العز حقيرا * وبعد الغنا فقيرا * ما اتفق ان رجلا ركبته الديون فترك عياله وخرج هائما على وجهه الى أن أقبل على مدينة عالية الاسوار عظيمة البنيان فدخلها وهو فى حالة الذل والانكسار وقد اشتد به الجوع وآلمه السفر فمر فى بعض شوارعها فرأى جماعة من الاكابر متوجهين فذهب معهم ودخلوا محلا فدخل معهم الى أن انتهوا الى محل يشبه محل الملوك فدخلوا ذلك المكان وهو تابعهم الى أن انتهوا الى رجل جالس فى هيبة عظيمة وحوله الغلمان والخدم كأنه من ابناء الوزر فلما رآهم قام اليهم وأكرمهم فاخذ الرجل المذكور الوهم واندهش مما رأى من البنيان والخدم والحشم فتأخر الى ورائه وهو فى حيرة وكربة وخائف على نفسه حتى جلس فى محل بعيد منفرد عن الناس بحيث لا يراه أحد

فبينما

فبينما هو جالس اذ أقبل عليه رجل ومعه أربعة كلاب من كلاب الصيد وعليها انواع الخز والديباج وفى اعناقها أطواق الذهب بسلاسل من الفضة فربط كل كلب منها فى محل معدله ثم غاب وأتى باربعة أصحن من الذهب ملآنين من الطعام المفتخر ووضع لكل واحد من الكلاب صحنا على انفراده ثم مضى وتركها قال فصار الرجل ينظر الى الطعام من شدة الجوع ويريد أن يتقدم الى كلب ليأكل معه فيمنعه الخوف فنظر اليه كلب فعرف حاله فامتنع عن الاكل واشار اليه فدنا منه فاشار اليه ثانيا أن كل من هذا الصحن وتأخر الكلب فأكل الرجل حتى اكتفى واراد أن يذهب فاشار اليه الكلب أن خذ الصحن ببقية ما فيه من الطعام والقاه له وستره بكمه ووقف ساعة فلم يأت أحد يسأل عن الصحن فمضى به الى حال سبيله ثم سافر الى مدينة اخرى فباع الصحن وأخذ بثمنه بضائع وتوجه الى بلده فباع ما معه وقضى ما عليه من الدين وكثر عليه الرزق وصار فى نعمة كثيرة زائدة وبركة عميمة مدة من الزمان فقال لنفسه لا بد أن تسافر الى مدينة صاحب الصحن وتأخذ له هدية سنية تكافؤه بها وتدفع له ثمنه وان كان أنعم به علىّ كلب من كلابه فأخذ هدية تليق بمقام الرجل وأخذ معه ثمن الصحن وسافر أياما وليالى حتى أقبل على تلك المدينة وطلع اليها يريد الاجتماع به فأقبل على محله فلم ير الا طلالا باليا * وغرابا ناعيا ■ ودارا قد أقفرت ■ واحوالا قد تغيرت ■ وحالا للقلوب قد ارجف * ومحلا تركه الدهر قاعا صفصف ■ كما قال بعضهم هذه الابيات

سرى طيف سعدا طارقا يستفزنى ■ سحيرا وصحبى بالديار قعود
لما انتبهنا للخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

فلما شاهد تلك الاطلال الباليه ■ ورأى ما صنع الدهر بها علانيه * اعترته الحيرة عن يقين * والتفت فرأى رجلا مسكين * فى حالة تقشعر منه الجلود * ورؤيته تحن اليها الجلمود * فقال له يا هذا ما صنع الدهر والزمان * بصاحب هذا المكان * وأين بدوره السافره * ونجومه الزاهره * وما هذا الحادث الذى حدث على بنيانه * وما الامر الذى لم يبق منه غير جدرانه ■ فقال له هذا المسكين * وهو يتأوه من قلب حزين * أما فى كلام الرسول عبرة لمن اقتدى به وسمعه ■ حق على الله أن لا يرفع شيأ فى هذه الدار الا وضعه * وان كان سؤالك عن امر وسبب * فليس مع انقلاب الدهر عجب * أنا صاحب هذا المكان ومنشيه ■ وساكنه وبانيه * وصاحب بدوره السافره * وأمواله الفاخره * وتحفه الزاهيه ■ وجواره الباهيه * ولكن الزمان قد مال * فأذهب الخدم والمال * وصيرنى فى هذه الحالة الراهنه * ودهمنى بحوادث كانت عنده كامنه ■ وسؤالك هذا عن امر وسبب * فاخبرنى عنه واترك العجب * قال فاخبره بالقصه * وهو فى تألم وغصه ■ وقال له قد جئتك بهدية فيها النفوس ترغب * وثمن صحنك الذى أخذته من الذهب * فانه كان سببا لغناءى بعد الفقر * ولزوال ما كان عندى من الهم والحصر *

قال فهز الرجل رأسه وبكى * وأنّ وشكى * وقال يا هذا أظنك والله مجنون * فان هذا امر لا يكون * كلب من كلابنا تستكرم عليك بصحن من الذهب * أفأرجع فيه ولو كنت فى أشد الهمّ والوصب * والله لم يأتى منك شئ يساوى قلامه * فامض من حيث جئت بالسلامه * قال فقبل الرجل أقدامه ويديه * وانصرف راجعا يثنى بالمديح عليه * ثم انه عند فراقه ووداعه * انشد هذا البيت الذى يلتذ بسماعه * فقال

ذهب الناس والكلاب جميعا * فعلى الناس والكلاب السلام

وقد ناب مؤلف هذا الكتاب من كيد الدهر نائب * ورمته الليالى بسهام الهموم من قسى المصائب * فاصبح بعد الجمع وحيدا * وبعد الانس فريدا * يسامر النجوم * ويساور الهموم * يسكب على فراق الاحبة الدموع * ويرجو عود الدهر وهيهات الرجوع * شعر

فليت شعرى والدنيا مفرقة * بين الرفاق وأيام الورى دول
هل ترجع الدار بعد البعد آنسة * وهل تعود لنا أيامنا الاول

لكن الصبر على غدرات الايام * من شيم السادة الكرام * شعر

اصبر ففى الصبر خير لو علمت به * لكنت بادرت شكرا صاحب النعم
واعلم بأنك ان لم تصطبر كرما * صبرت قهرا على ماخط بالقلم

وكل هذا توطئة لما نال الناظم من الهموم * وما اعتراه من منطوق حوادث دهره والمفهوم * وهو الذى كان سببا لانشاء هذا القصيد * وشكواه هذا الامر الوافر المديد * فقال

ص يقول ابو شادوف من عظم ما شكى * من القل جسمه ما يضال نحيف

ش هذا الكلام له بحر وقد * وتقاطيع ومدّ * فبحره الطويل المديد * الناقص المزيد * ومن جعله من بحر الكامل * قال فيه متهابل متهابل * ومن قاسه بحر الوافر * قال هو من البحر الزاخر * ومن نسبه لبحر البسيط * قال هو من معنى الهلط والتخبيط * ومن قارنه بحر السلسله * قال هو من معنى هلهله هلهله * ومن شابهه ببقية البحور * قال فى تمثيله أنت حمار أو ثور * وأما قده المعهود * فعلى وزن بروه تحلى للماضغين جلود * واما تقاطيعه المذكوره * فهى هذه الكلمات المشهوره *

يقول	ابوشا	دوف من	عظم ما	شكى
نبول	عليها	فى الضحى	مع غرو	بها

ومجموع هذا الكلام * من هذا النظام *

(نبول عليها فى الضحى مع غروبها)

فاذا عرفت البحر والقد والتقاطيع * فلنشرع لك الآن فى شرح الكلام على حسب التواقيع * أو على نمط الفراقيع * فنقول (قوله يقول) أى يريد أن ينشى قولا فى الخارج

فيه شرح حاله ودليل على ما نابه من حوادث الزمان * وما اصابه من دواعى الهم والاحزان * والقول له مصادر واشتقاقات فصدره قال يقول قولا ومقالة وربما زاد فيه قلة وقيلولة واشتقاقه من القيلولة أو من القلل أو من الاقوال أو من قالوا أو قلنا وانما زدت هذه المصادر القشوريه * وهذه الاشتقاقات الهباليه * الا لنبنى عليها ما سأذكره لك مما اتفق لى مع بعض من يدعى العلم وهو جاهل وماذاك الا أنى لما توجهت للحج الى بيت الله الحرام سنة اربعة وسبعين وألف وبلغت بندر القصير أنتظر السفن للسفر فجلست اياما بزاوية على البحر المالح أعظ الناس فبينما أنا ذات يوم فى هذا المكان أقرأ فيه * وابين للناس الكلام ومعانيه * وأنا فى هيئة تشين النظر * وفى أهبة ذهاب وسفر * وبهللة وهبال * وهافطة ومقال * اذ أقبل علىّ بلا محاله * رجل يشبه دائرة الهاله * طويل هبيل * فظ ثقيل * له عمة كالهيولى فى العظم * وطيلسان نسج من صوف الغنم * ثم جلس يريد الضرر * ونظر الىّ شذر * فظهر لى منه الشر والجدال * ومنتظر منى متى قلت قال * وكان الامر كما ذكرت * واليه بهذا المعنى اشرت * فابتدأت فى الكلام * وقلت قال النبى عليه السلام * فعند ذلك قال لى بلفظ كثيف * ما معنى قال فى التصريف * فلما سمعت سؤاله * تحققت جهله وهباله * وعلمت أنه خالى من العلوم * وجاهل بالمنطوق والمفهوم * فقلت له ان قال يتصرف منه اسماء وافعال * وهى قال يقول قولا وقلة وقيلولة ومقالة على الكمال * وان اردت جعلت لك بيقين * تصريف هذه الستة ستا وثلاثين * فقال لى وهذا التصريف فى أى متن من المتون * فقلت له فى ديوان ابن سودون * فركن الى قولى على جهل منه وعمى * فعرفت انه لا يدرى الاسم ولا المسمى * ثم انقاد الىّ بعد الدعوى والهيس * انقياد الغنم للتيس * وامتثل الامر فى رواحه ومقيله * حتى مضى الى حال سبيله * فان قيل لاى شئ خلبطت على هذا السائل فى هذه المصادر والاشتقاقات * ووسعت عليه فى هذه الامور الهباليات * كنت تقتصر على ما قالوه فى كتب الصرف * ولا تحرف الكلام بحرف * قلنا الجواب نعم كان ينبغى هذا الكلام * ولكن مع من يدرى العلم بالتمام * وأما الجاهل البليد * والفظ العنيد * فليس له الا ما يناسب جهله من دش الكلام * والمجرفة فيما يليق بذلك المقام * فكان ما سبق من الجواب وحاله * مناسب لسؤاله وهباله * فاتضح الاشكال * عن وجه هذا الهبال (مسألة هبالية) ما الحكمة فى أن الناظم ابتدأ كلامه بصيغة المضارع ولم يأت بصيغة الماضى كما قال صاحب ألفية النحو رحمه الله * قال محمد هو ابن مالك * الخ الجواب القشروى ان هذا الفعل الماضى الذى هو قال يتولد منه المضارع وهو يقول ويقول يأتى منه قولا كما سبق فى تأصيل الافعال والاسماء فاكتفى بالفرع عن الاصل أو أنه اراد تعداد الامور التى حصلت له من تغير الزمان وانقلابه

ولم يكن أخبر عنها سابقا بلفظ الماضى فأراد الاخبار عنها بلفظ المضارع الذى هو يقول وان كان فى معنى الماضى صورة وفى معنى المضارع حقيقة قال الشاعر

فقال هو الماضى يقول مضارع * وان كان ذا الماضى له فى الحقيقه

وقال أبو الطيب المتنبى عفا الله عنه شعر

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا ▪ مضى قبل أن تلقى عليه الجوازم

أى اذا نوى شيأ مستقبلا أمضى فعله قبل أن يدخل عليه ما يجزمه أى يمنعه عنه و يسكنه عن الحركة عن فعله انتهى وأيضا لو أتى بالماضى لاختل الوزن وان كان المعنى باقيا على حاله فاتجه الجواب وبان الصواب وقوله (ابو شادوف) هذه كنيته وغلبت عليه فصارت علما كما قالوا فى معدى كرب وبعلبك وبرق نحره ونحو ذلك وأما اسمه الحقيقى عجيل تصغير عجل على ما قيل وسببه أن امه لما ولدته القته فى مدود البقرة فجاء العجل ولحسه فسمى بذلك أيا ما حتى اشتهر بهذه الكنية * وسبب اشتهاره بها أقوال احدها انه لما مال عليه الدهر كما تقدم أجر نفسه لسقى الزرع بالآلة التى يعملوها أهل الريف تسمى أبو شادوف وصورة فعلها أنهم يجعلوا ناطورين من طين على جانب البحر ويحفروا بينهما نقرة مثل الحوض الصغير ويضعوا فوق الناطورين خشبة صغيرة ويعلقوا فيها خشبة أيضا بالعرض حكم قصبة الميزان ويضعوا فى طرفها الذى من جهة البر شيأ ثقيلا والذى من جهة البحر الدلو أو القطوة التى ينضحوا بها الماء ثم ان الرجل يقف الى جهة البحر ويتكئ على طرف تلك القصبة فيقع الدلو أو القطوة فى البحر ويغرف الماء ثم يتركه فيثقل طرفها الثانى ويصعد الدلو او القطوة ويفرغ فى النقرة مع مساعدة الرجل له ويجرى الماء الى الزرع وهكذا حكم ما شاهدناه مرارا عديدة ويسموا المجموع الآله والناطورين أبو شادوف وهو مشتق من الشدف وهو الغرف قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شدف يشدف شدفا بمعنى غرف يغرف غرفا قال الشاعر

اذا ما رأيت الماء فاشدف براحة * فذلك للظمآن أهنا وأطيب

فالناظم لما لازم هذه الآلة وصار لا يفارقها غالب الاوقات سمى باسمها من باب تسمية الحال باسم المحل وقيل ان امه ولدته عند أبو شادوف فسمى باسمه لكن يرده ما تقدم من أن اسمه الاصلى عجيل وقد يجمع بين الاقوال فيقال ان امه لما ولدته عند ابو شادوف أخذته ووضعته فى المدود ولحسه العجل على ما تقدم فسمى عجيل ثم اشتهر بما ذكر فلا تعارض بين الاقوال وقيل سمى بذلك لكثرة غرفه للماء بهذه الآلة فصار كل من سأل عنه يقال له عند الشدف أى الغرف ثم زادوا هذه الكلمة الالف والواو وقالوا شادوف ولكثرة تكرارها جعلوها حكم الولد والنواطير مثل الاب له وقالوا أبو شادوف ووضعوها على ذات الناظم لكثرة محاورته لتلك الآلة وعرفوه بها فصارت علما له يخاطب بها كما سبق بيانه (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى أن الدلو أو القطوة

لا يفارق الخشبة التى هى فى حكم قصبة الميزان وهل هى حكم الاب له كما سبق من أن النواطير فى حكم مقام الاب للشادوف وان الدلو والقطوة انما لازم هذه الخشبة بالضرورة لها ومتى انفك عنها بطل عمله فهو مجاور لها فى وقت الحاجة لا غير الجواب أن الخشبة لا تستغنى عن الدلو او القطوة وهما لا يستغنيان عنها فكان كلاهما فى حكم الولد للخشبة وكانت الخشبة فى حكم الاب لما ذكر لان كلا من الدلو او القطوة مرتبط بالخشبة فاتجه المقال عن وجه هذا الهبال (فايدة) الاب مشتق من آب اذا رجع قال ابن زريق رحمه الله فى قصيدة له

ما آب من سفر الا وأزعجه * رأى الى سفر بالعزم يمنعه

أى ما رجع من سفر الا وأزعجه رأيه الى سفر ثان وكذلك الاب لانه فى كل ساعة يرجع الى ولده ويفتقده وينظر اليه وقيل مشتق من الابوة كما أن الاخ مشتق من الاخوة قال الشاعر

أبو المرء من آب اشتقاقا لاسمه * واخو المرء أيضا قد أتى من أخوة

ومصدره آب يأوب أوبا فهو آب وقال ابن سدون ان أبو هذا فعل ماض ناقص وأصله ابوس ويدل على ذلك قول الشاعر

قالوا حبيبك وارى ثغره صلفا * ماذا تحاول ان أبداه قلت أبو

أى أبوس وانما حذفت السين لوجهين الاول لقصد حصول اللبس على السامع اذ هو اللائق بهذا عند الادباء والاقرب الى السلامة من الواشين والرقباء والثانى حذفت السين لانها فى الجمل بستين والستين فى البوس اسراف عند البعض هذا كلامه المصرح به فى ديوانه انتهى قلت وكلام هذا البعض الذى نقله ابن سودون مردود لان المحب اذا ظفر بمحبوبه فلا يشتفى فؤاده بستين قبلة ولا بمائة خصوصا اذا كان ذلك المحبوب لطيف الذات ▪ حسن الصفات ▪ مطيعا للعاشق * مصافيا مصادق * وانطبع بقده المأنوس * وانضم لعاشقه انضمام العروس * وتملا المحب بالحبيب ▪ وخلا المجلس من الواشى والرقيب ▪ هنالك لا ينحصر البوس بعد ▪ ولا يكون له غاية ولا حد * قال الشاعر شعر

سألت بدر التم فى قبلة ▪ أجاب أن يوفى ومنشى السحاب

لما اختلينا واجتمعنا به ▪ غلطت فى العد وضاع الحساب

وقلت فى المعنى شعر

رأيت له شرطا على الخد قد حوى * جمالا وقد زان الملاحة بالقرط

فقلت مرادى اللثم قال بخلوة * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

اللهم الا أن يكون المحل غير قابل للمحب والحبيب ▪ بأن يكون ثم خوف من واش أو رقيب * فيكون الضم فى تلك الحالة والتقبيل * بحسب أمن العاشق فى الكثرة

والتقليل * ومنهم من لا يعتريه فى ذلك وهم ولا الباس * ويقبل محبوبه ولو بحضرة الناس * ولو نفر منه وفر * وربما مال نحوه ومر * قال الشاعر شعر

لو ترانى وحبيبى عندما * فر مثل الظبى من بين يدى
وغدا يغدو وأغدو اخلفه * وترانا قد طوينا الارض طى
قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فنأى عنى وولا تجلا * وانثنى بالتيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن ألثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومن اللطائف ان أبا نواس مر يوما فى شوارع بغداد فرأى غلاما جميلا فقبله عيانا فترافع الغلام واياه على يد القاضى يحيى بن اكثم وادعى عليه بما وقع قال فاطرق القاضى ساعة وانشد يقول

اذا كنت للتخميش والبوس مانعا * فلا تدخل الاسواق الا منقبا
ولا ترخى الاهداب من فوق طرة * ولا تظهرن من فوق صدغك عقربا
فتقتل مسكينا وتهجر عاشقا * وتترك قاضى المسلمين معذبا

قال فأطرق الغلام ساعة وانشد يقول

وكنا اذا رجونا للعدل بيننا * فاعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها * اذا كان قاضى المسلمين بلوط

وقوله (من عظم ما شكى) أى من عظم أمر بل من أمور يشكو منها وصرح بشكواه راجيا بأن الله تعالى يفرج عنه ويعيد له ما سلف من ايام النعيم التى كان فيها فان الامر اذا اشتد هان واذا ضاق اتسع قال الشاعر

ولرب ليل فى الهموم كدمل * عالجته حتى ظفرت بفجره
ولقد تمر النائبات على الفتى * وتزول حتى لا تجول بفكره

والشكوى على أقسام شكوى لله وهى محموده وشكوى للمخلوق وهى مذمومة اللهم الا أن يكون فى حال شكواه معتمدا على الله تعالى متكلا عليه مستعينا به فى دفع ما نابه من الشدائد فلا بأس بذلك واذا صبر واحتسب كان أولى وفرج الله عنه قال تعالى وبشر الصابرين وقال تعالى ان مع العسر يسرا ومن كلام الاستاذ يحيى البهلول نفعنا الله تعالى به

اذا ضاقت بك الاحوا * ل فكر فى ألم نشرح
فعسر بين يسرين * اذا أملته تفرح

ثم ان الناظم اراد تعداد الامور التى ترادفت عليه مبتدأ باعظمها واهمها فقال (من القل) بكسر القاف وسكون اللام أى ان أهم شكواى واعظمها اولا من القل وهى قلة المأكل والمشرب حذفت ياء المتكلم لضرورة النظم وأيضا عدم الميسرة

فى الملبس وشدة التعب والنصب فى كد المعيشة وفى الحديث كاد الفقر أن يكون كفرا أى قارب أن يوقع فى الكفر لانه يحمل على عدم الرضاء بالقضاء وسخط الرزق وذلك يجر الى الكفر وفى الفقر قال ابن دقيق العيد رحمه الله

لعمرى لقد قاسيت فى الفقر شدة * وقعت بها فى حيرة وشتات
فان بحت بالشكوى هتكت مروءتى * وان لم أبح بالفقر خفت مماتى

(وقيل) وجد مكتوب على تاج كسرى انوشروان اربع كلمات وهى * العدل ان دام عمر * والظلم ان دام دمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * والفقر هو الموت الاحمر * وهذه الكلمة يعاير بها أهل الريف الرجل الفقير فيقولون فلان فى قل وربما زادوا عليها اخرى فقالوا هو فى قل وعتره أى فى حالة كد وتعب وارتكاب امور شنيعة واحوال منكربة وهى من الفاظ أهل الريف قال بعض شعرائهم

أبو جاموس صبح حالو * يبكى الناس وهو شهره
بجرى ما يلقاشى * وفى قله وفى عتره

(والقل) على وزن الغل او الطل مشتق من القلقلة أو من القلة بضم القاف أو القولق وعتره بفتح العين المهملة وجزم الهاء فى آخرها على وزن زبره نحو زبره وزنها على عتره لا تختلف أبدا ومعناها ارتكاب المفاسد وقلة الدين ونحو ذلك ومن هذا المعنى قالوا فلان عتر أى مرتكب هذه الامور وأما بالثاء المثلثة فهى واحدة العثرات وهى اللغة الفصحى بمعنى ان المتلبس بهذه الحالة عثراته كثيرة فالمعنى واحد وقد ورد لفظ القل فى كلام العرب (وهو ما حكى) أن رجلا حضريا أضافه رجل بدوى فأخرج له صحنا من الطعام وشيأ يسيرا من الخبز فصار البدوى كلما أخذ لقمة يقول له الحضرى قل بسم الله الرحمن الرحيم يا بدوى ولم يزل يكرر عليه التسمية فاستحى البدوى وقام ولم يشبع من الطعام ومضى ثم بعد ايام خرج البدوى من منزله فرأى صاحبه الحضرى فأخذه واجلسه فى داره واخرج له قصعة كبيرة ملآنة من الثريد واللحم وقال له كل يا حضرى وسف ما فى القلة بركة أى ما فى قلة الطعام مع الشح بركة ودعك تسمى الله أو تترك التسمية وان كان محل ذلك البركة فالمدار على سماحة النفس وان كان صاحبها فقيرا فالكرم فيه راحة القلوب وستر العيوب قال الشاعر

اذا كثرت عيوبك فى البرايا * وسرك أن يكون لها غطاء
تستر بالسخاء فكل عيب * يغطيه كما قيل السخاء

وفى الاثر كل عيب يغطيه الكرم (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى اشتقاق القل من القولق أو من القلة أو من القلقلة وما المناسبة لذلك وما معنى هذه الالفاظ (الجواب القشروى) ان القولق اسم لشئ من الجلد يصنع لحفظ الدراهم ويربط فى الحزام على الفخذ الايمن يفعله بعض سقاة القهوة وغيرهم فاشتقاقه منه لضيقه وعدم اتساعه كما ان القل

هو ضيق المعيشة وعدم اليسرة فناسب المعنى فى ذلك وأما اشتقاقه من القلة بضم القاف فلاحد امور اما لحصر الماء فيها فكذلك حكم القل وعدم البركة حكم وجود الماء وعدمه أو أن المناسبة فى ذلك لضيقها فى حد ذاتها وان الماء لا ينزل منها الا من خروم ضيقة وانها اذا وضعت فى الماء بقبقت وصارت حكم الذى يشكو الى الماء قال الشاعر

ما بقبق الكوز الا من تألمه ＊ يشكو الى الماء ما قاسى من النار

فكان فى ذلك مشقة وشدة تعب فناسب اشتقاق القل من هذا المعنى والقول الثالث انه من القلقلة فهو كذلك من قلقلة الامور أى سرعة حركاتها وشدتها وارتكاب المشقات ونحو ذلك قال الشاعر

قلقل ركابك فى الفلا ＊ ودع الغوانى فى القصور

القاطنين بارضهم ＊ عندى كسكان القبور

أى حرك ركابك فى الفلا وهو الفضاء المتسع والمعنى سر شرقا وغربا واكتسب ما يغنيك عن سؤال الناس ولا تكن عيلة عليهم ولا تذل نفسك لهم ودع الغوانى جمع غانية وهى ذات الجمال أى اتركها ولا تشتغل بها عن طلب رزقك فربما اشتغالك بها يتولد منه البطالة والكسل فلا تجد ما تنفقه عليها فتميل نفسها الى غيرك ويترتب على هذا مفاسد كثيرة فاذا سعيت وتركتها واتيت لها بما يسد جوعتها ويستر عورتها مما تحتاج اليه دامت معك على أتم مراد وأحسن حال وان كان لا يفيد لك من السعى والسفر الا اليسير فهو أولى من عدمه بالكلية قال الشاعر

على المرء أن يسعى لما فيه نفعه ＊ وليس عليه أن يساعده الدهر

(وفى بعض الكتب المنزلة) يقول الله تعالى يا عبدى خلقتك من حركة تحرك أرزقك وفى المثل الحركة فيها بركة وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه شعر

تغرب عن الاوطان فى طلب العلا ＊ وسافر ففى الاسفار خمس فوائد

تفريج هم واكتساب معيشة ＊ وعلم واداب وصحبة ماجد

فان قيل فى الاسفار ذل وغربة ＊ وتشتيت شمل واجتماع شدائد

فموت الفتى خير له من حياته ＊ بدار هوان بين واش وحاسد

فاتضح الجواب باتضاح عن وجه هذا الاشتقاق وقوله (جسمه) الضمير راجع للناظم أى جسمه وهو ذاته مشتق من التجسيم او من المجسمة وهم طائفة يقولون بالحلول والتجسيم قبحهم الله تعالى أو من جسم العاشق اذا أنحله بعد الحبيب ولم يجد له دواء ولا طبيبا وقوله (ما يضال) كلمة ريفية ومعناها ما زال كما تقدم فى الجزء الاول أى لم يزل جسمه من القل والتعب وعدم اليسرة (نحيف) على وزن رغيف وأصله نحيفا بالالف المقصورة وحذفت لضرورة النظم والمعنى أن جسمه ضعف ورق من كثرة تواردا الهموم عليه وتحمل الاذى والكد فى تعب المعيشة ونحو ذلك فان الهم يضعف الجسد ويمرضه

بخلاف

بخلاف الراحة وكثرة النعم ومن هذا يظهر أن اصحاب المال والرفاهية فى الغالب ان اجسامهم فى نضارة وملاحة وطلاوة من حسن المآكل والمشارب ولطافة الملابس ورقتها افلا يرون بذلك للهم تأثيرا وقال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه من نظف ثوبه قل همه وفى الحديث الثوب يسبح الله فاذا اتسخ انقطع تسبيحه فالجسد مثل الزرع ما دام صاحبه يتعهده بالسقى والاصلاح وتنظيف الغلت عنه دام فى نضارة زائدة وملاحة زاهية ومتى تركه اعترته الآفات وتغيرت عليه الاحوال وأما رقة الجسد ورشاقته من غير مرض فهو ممدوح فى النساء والرجال ويقال لصاحبه اهيف قال الشاعر

وأهيفان لعبا ＊ بالنرد أنثى وذكر

قالت أنا قمرية ＊ قلت اسكتى انتى قمر

(وابلغ) من هذا قول بعضهم

هيفاء لو خطرت فى جفن ذى رمد ＊ لما أحس له من وطئها ألما

خفيفة الروح لو رامت تخطيها ＊ رقصا على الماء ما بلت لها قدما

(مسئلة هبالية) لاى شئ قال الناظم نحيف ولم يقل سقيم لكونه انسب فى المعنى وافصح فى العبارة وقد ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى فنظر نظرة فى النجوم فقال انى سقيم أى من عبادتكم الاصنام (قلنا الجواب الفشروى) ان الناظم عدل عن هذه اللفظة لتضمنها معنى اللفظة التى على وزنها وهى قطيم والقطيم بلغة الزيافة هو صاحب الابنة وبلغة اخرى هو الخالى من الزواج فلو فرض انه أتى بها فى النظم لربما نسبوه انه كان به ابنة فيحصل من ذلك الضرر أو يقال انه راعى ذلك قوافى الشعر فلا اشكال فاتضح المقال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم اراد الاخبار عن بلية ابتلى بها أيضا نشأت من القل والعتره وعدم ما فى اليد كما تقدم فقال

ص أنا القمل والصيبان فى طوق جبتى ＊ شبه النخاله يجرفوه جريف

ش قوله (أنا) يعنى أبو شادوف اخبركم أيضا معاشر الاصحاب وأشكو اليكم وهو أن القمل المعروف المتداول بين الناس بخلاف الوارد فى القرآن العظيم فانه نوع من السوس او القراد كما ذكره بعض المفسرين (فائدة) ذكر الدميرى فى حياة الحيوان عن بعضهم ان القراد يعيش سبعمائة سنة وهذا من العجب انتهى والقمل يتولد من العرق ومن اوساخ الجسد واشتقاقه من التقمل أو من تقميل الغزل اذا صبغ وبوش ووضع فى شدة حرارة الشمس فييبس ويصير فيه نقط بيض تشبه القمل فلهذا يقال غزل مقمل ومصدره قمل يقمل قملا وهو اسم جنس الانثى منه قملة وأما الذكر فلعله يسمى قامل قال الشاعر شعر

وما قامل فى الثوب الا رأيته ＊ يذبذب العقربان اذا مشا

(والعقربان) على لغة الثعلبان اسم للثعلب قال الشاعر

أربّ يبول الثعلبان برأسه * لقد ذل من بالت عليه الثعالب

وخوطب بلفظ المثنى كما ورد فى القرآن العظيم فى قوله تعالى خطابا لمالك خازن النار ألقيا فى جهنم وقول الحجاج ياغلام اضربا عنقه وأما قوله فى البيت الاول يدب دبيب العقربان أى لانهم شبهوا القملة بالعقرب والبرغوث بالفيل ولهذا أنها تلدغ والبرغوث يعض (فان قيل) اذا كانت القملة تشبه العقرب والبرغوث يشبه الفيل فلاى شئ لم تكن كبيرة مثلها ولدغتها كلدغة العقرب وكذلك البرغوث لم يكن قدر الفيل وفعله كفعله (الجواب عن ذلك) ان القمل لما كان منشأه من جسد الانسان وانه لا يفارقه لمنافع اقتضتها الحكمة الالهية وهى مص الدم الفاسد وان كان يحصل منه الاذى كان المناسب لحكمة الله تعالى أن يكون صغيرا ولدغته قليلة الالم اذ لو كانت القملة قدر العقرب للزم أن يكون الآدمى قدر الجمل ويكون دائما فى خوف من رؤيتها وتعذيب من لدغتها والله تعالى كرم بنى آدم وكذلك البرغوث لما جعله الله تعالى يسكن مخارس الثياب والمحلات الضيقة كان صغيرا مثل القمل اذ لو كان قدر الفيل للزم أن يكون الآدمى مثل الجبل والبرغوث واحد البراغيث والانثى منه برغوثة وهو مشتق من البر والغوث قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى

لا تكره البرغوث ان اسمه * برّ وغوث لابه تدرى
فبره مص دم فاسد * والغوث ايقاظك للفجر

واستغنى الناظم عن ذكره بذكر القمل لانه تابع له (سؤال) ما الحكمة فى ان البرغوث ينط والقملة لاتقدر على ذلك (الجواب) ان القملة لما نشأت من العرق وروائح الجسد كانت ضعيفة بهذا المقدار ولكونها انثى والانثى عاجزة عن الذكر وأما البرغوث لما كان منشأه من التراب كانت طينته قوية ولهذا تشبه بالفيل وهو اعظم الحيوانات ذاتا فكانت القوة ناشئة فيه فصار ينط فاتضح الحال عن هذا الاشكال وقال بعضهم ان أذى البرغوث أقوى من أذى القمل قال الشاعر

اشكو اليك براغيثا بليت بها * قد جرعوا القلب كاسات من الغصص
اصيدهم ذا يجى هذا يؤلمنى * فتنقضى ليلتى فى الصيد والقنص

وما احسن ما قال بعضهم

بعوض وبرغوث وبق لزمننى * حسبن دمى خمرا فطاب لها الخمر
فيرقص برغوث لزمر بعوضة * وبقهم يسكت ليسمعه الزمر

وافادنى بعض اخواننا الحشاشين ادام الله بأكل الحشيش انسهم وأخمد بدخول الارطال عند النوم حسهم ان الشخص اذا اسقط ما تيسر من الحشيش قبل النوم ودخلت عليه الارطال ونام فلا يحس بأذى البراغيث ولا غيرها خصوصا اذا استعمل الحلوى بعد أكله فانه يفعل افعالا غريبة ويظهر مظاهر عجيبة ولا يضره الا أكل

الحامض كما قال بعضهم مضمنا كلام سيدى عمر بن الفارض رضى الله عنه

امنسطل بالزيه من فقد قهوة * شمول على نيرانها يجمع الشمل
نصحتك ان أصبحت فى سطلة فلا * تذق حامضا واختر لنفسك ما يحلو

(وسمعت) من أمى عفا الله عنها لغزا فى البرغوث ولم أفهمه الا بعد زمان طويل لما فهمت العلم ومارست الفصحاء وهو هذا * ياشى من شى أحمر حمير ورق الجمير جرواوراه خمسه مسكوه اتنين * وتفسيره ياشى يا حرف ندا أى يا رجل فسر لنا اسما يخرج من شئ مبهم وهو أحمر حمير بتشديد الميم وكسر الحاء المهملة وسكون المثناة من تحت تصغير أحمر بمعنى شديد الحمرة وورق الجمير أى كورق الجمير فى لونه تصغير جمار وهو قلب النخل وورقه الليف الملتف عليه جروا وراه خمسة وهى الاصابع مسكه اثنان منها وهما الشاهد والابهام وبين حمير وجمير الجناس المصحف انتهى (ومما يمنع اذى البراغيث) البخور بقشر الرارنج الناشف عند النوم (ومما يقتل القمل) الحنا والزئبق اذا لت فيهما خيط صوف وعلق فى العنق فعل ذلك (وأما منافع القمل) فقد ذكر صاحب كتاب الفقراء أن صاحب الشقيقة اذا أخذ قملة من رأس سالم من الوجع ووضعها فى باقلا يه مشوية وسد عليها بشمع وعلقها على موضع الشقيقة برئت باذن الله تعالى وقوله (والصيبان) معطوف على القمل وهو بزره المتولد منه فعطف الفرع على الاصل لانه من لازمه وغالب كثرته فى رؤس الاطفال لرقة اجسادهم فيعالج بالادهان والحنا المعتادة وتسريح الشعر ونحو ذلك وله اكلان فى الجسد بسهولة فهو أخف ضررا من القمل لكونه أضعف منه وألطف جسما وأصله صبيان بتقديم الموحدة على الياء المثناة من تحت جمع صبى ثم انهم أرادوا العدول عن هذا الجمع لئلا يشتبه باولاد الآدميين فقدموا الياء المثناة من تحت على الموحدة وقالوا صيبان وهو مشتق من الصابون لبياضه أو من المصيبة أو من قناطر الصابونى ومصدره صبين يصبين صيبانا وسكت الناظم عن نوع آخر من أولاد القمل وهو النمنم بكسر النونين وسكون الميمين لكونه من لوازمه أيضا لان الفرع تابع للاصل كما تقدم ونمنم على وزن سمسم وهو مشتق من النميمة أو النمام نوع من المشموم وأما اذا فتحنا النونين فيكون مركبا من فعل أمر فكأنه يأمره بالنوم مرتين ومن معناه قول الحريرى عفا الله عنه

سم سمة تحمد آثارها * فاشكر لمن أعطا ولو سمسمه

وهذا يقرب من فن الاحاجى كقولهم طاجن وطاقيه والياسمين وقول بعضهم

انى رأيت عجيبا فى دياركم * شيخا وجارية فى بطن عصفور

وقول الآخر

وأحمر اللون قانى * يغرى اليه الخضاب
بغير عين وناب * وفيه عين وناب

(ويطلق) لفظ نمّ على كلام الطفل الصغير اذا اشتهى الاكل فيقول نم أو نف بضم

الموحدة وسكون الفاء لانه ينطق بالفاظ تخالف ألفاظ الكبير كما هو مشاهد (وأما لغته قبل نطقه) فقيل انها بالسريانية واذا اشتهى الماء يقول أنبوه بضم الهمزة وسكون النون ورفع الموحدة وجزم الهاء واذا مد يده لنجاسة يتناولها يزجر بلفظ كخ بالكاف والخاء المعجمة واذا دنا الاخذ شئ يؤذيه يزجر أيضا بلفظ اح بالالف والحاء المهملة واذا أخذ شيأ أعجبه ولعب به يقال له أو يقول هو عليه دح بالدال والحاء المهملتين و يقال له أو يقول هو على الأكول اذا فرغ منه بح بالموحدة والحاء المهملة واذا أرادت امه أن تخوفه وتسكته عن الصياح تقول له اسكت لايا كلك البعبع بكسر الموحدتين أو رفعهما وجزم العينين المهملتين (والبعبع) مشتق من البعبعة وهى صوت الجمل وبين أح ودح وبح الجناس المتغير الاول ويخاطب امه بلفظ ماما وأباه بابا واخاه الصغير واوا ونحو ذلك وتغزل بعضهم فى صغير ببيت من المواليا جمع فيه هذه الالفاظ فقال

يا من سلب للحشا والروح واوا آح * غيرى تواصل وأنا الى من وصالك بح
أنا أطعم البف والنمنم وقولة بح * بعبع أنا كخ يا نبا وغيرى دح

(وقال) ابن سودون رحمه الله فى معنى ذلك

لموت امى أرى الاحزان تخنقنى * فطالما حسنتى لحس تحنينى
وطالما دلعتنى حال تربيتى * حتى طلعت كما كانت تربينى
أقول نمنم تجى بالاكل تطعمنى * أقول أنبوه تجى بالماء تسقينى

وقوله تحنينى وتخنقنى فيه الجناس التام الاول من الانحناء والثانى من التحنن والشفقة كما لا يخفى ويقال عذار نمنم أى يشبه نبته دبيب النمنم او نبات النمام وقد قلت فى تشبيهه بدبيب النمنم

دب العذار على خديه خيل لى * بانه نمنم يمشى على مهل

(وبعضهم زاد نوعا رابعا) وسماه لحيس بكسر اللام وتشديد الحاء المهملة على وزن بعبيصا ولقيس مأخوذ من البعبصة وهى ادخال الاصبع فى دبر الغير ولقيس من اللقاسة يقال لقس الكلب الاناء أى لحسه بلسانه فيكون فيه نوع شبه باللعس أو يكون على قياس فطيس واللحاسة والنجاسة على وزن واحد يقال فلان لحس أى مرتكب شيأ يشبه النجاسة أو كثير الكلام بلا فائدة فتكون اللحاسة والنجاسة بمعنى واحد (قال) فى القاموس الازرق والناموس الابلق لا فرق بين لحاسة ونجاسة فيها بلا شك فهذا أصوب ويقال أنت تعيس لحيس أى أنت تشبه لحس الكلب للاناء أو أنك تلحس الخرا بلسانك أو تتلحس بالكلام ولا تدرى منطوقه من مفهومه والتعيس من معنى ذلك أيضا فكلها ألفاظ قريبة الشبه من بعضها البعض ولهذا اللحيس مزيد ضرر * قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق

ولى من أذى اللحيس فى الرأس كربة * وغلى وآكل فى الثياب وفى الجسد

ومصدره لحس يلحس تلحيسا (فان قيل) ان هذا اللحيس الذى زاده هذا البعض شئ تافه جدا فكان وجوده كالعدم ولهذا تركه الناظم كغيره فما الجواب (قلنا) نعم وان سلمنا أنه لا وجود له الابعسر لدقته ففى الجملة له محض أذيه وضرر فصار من أتباع القمل بل من أولاده كالصيبان والنمنم كما تقدم * أو يكون هذا قياسا على من زاد فى أقسام الكلمة نوعا رابعا وسماه خالفة وعنى به اسم الفعل وهو صه بمعنى اسكت فاتضح الحال عن وجه هذا الهبال وقوله (فى طوق جبتى) أى كائن أو مستقر فى طوقها والطوق على وزن الجوق كما يقال جوق الطبالة وجوق المغانى ونحو ذلك وهو اسم لما طوق به العنق من ثوب او غيره كالحديد والفضة والذهب والنحاس ونحو ذلك قال الله تعالى سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة أى المال الذى كنزوه فى الدنيا ولم يؤدوا زكاته ولم يصرفوه فى وجوه الخير يجعل فى عنقهم كالطوق ويعذبون به فى النار والطوق مشتق من الطاقة أو من الطواقى لتدويرها او من خان أبو طاقية بمصر (ومصدره) طوق يطوق تطويقا ونساء الارياف يجعلونه من فضة ويسمى عندهم ضامن أيضا وهو أحسن الحلى عندهم * وأما ما يوضع فى اعناق الرجال فى السجن فانه يسمى عندهم ضامنة يقال فلان فى الضامنة أى بمعنى ان هذه الالة الحديد التى فى عنقه ضامنة له لا يقدر أن ينفك عنها مثل الرجل الضامن للانسان متى طلب منه أحضره وقوله (جبتى) على وزن شحتى ولحيتى هذا اذا نسبتها لنفسك وأما اذا كانت لغيرك فتقول جبتك على وزن شحتك ولحيتك مثلا * واذا وصفتها وقلت جبتك حمره * فتكون بالتصحيف خنتك حمزه أى نا كك رجل يسمى حمزه والجبة واحدة الجبب مشتقة من الجب وهو القطع لان الخياط يجبها أى يقطعها و يفصلها يقال جب الفيافى بمعنى قطعها وقد قلت فى المعنى

اجوب الفيافى طامعا فى وصالها * وأقطع أرضا لست منها بخابر

(ومصدرها) جب يجب جبا وجبة * وهى على قسمين ريفية وحضرية فالريفية من صوف ثخين غليظ مسدود محكم الثوب ويجعلون أكمامها متسعة خصوصا شعراؤهم فانهم يعرفون بزيادة وسع الاكمام لان كم الرجل منهم مختصر يد كبتيه وتراهم على شكل الشعراء فى وسع الاكمام وزيادة فان كم المرأة منهن يسع الرجل يدخل منه ويخرج من الكم الثانى وربما جامع الرجل زوجته من كمها ولا يحتاج لرفع بقية الثوب (كما وقع لى فى ذلك) فانى تزوجت منهن وكنت أجامع زوجتى فى بعض الاحايين من كمها فسبحان من خصهم بقلة الهندام * حتى فى الثياب والاكمام * فهى امور بينهم محبوبه * والمناسبة مطلوبه * (وفى المثل) رأوا قرد يسكر على خراره فقالوا اما للمدام الرايق الا لهذا الشب العايق ورأوا جاموسه منقبه بكيب فقالوا لما للصبية القصيفه الا النقاب الرفيع قال الشاعر

رأيت مجزما فى قاع بئر * وآخر أبرصا يخرا عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(وأما الحضرية) وهى التى يستعملها أهل المدن خصوصا العلماء والظرفاء وهى من الصوف الرفيع اللطيف يجعلونها محصورة الآباط مفتوحة ويقال انها اجبة مفرجة بتشديد الراء لكونها انفرجت من مقدم الشخص وبان ما تحتها ويصنعون لها السجاف الحرير وغيره حتى تصير أعجوبة للناظرين * وبهجة للابسين * فسبحان من حلاهم بطلاوة الملبوس * وزينهم بكل قدما أنوس * وجعل نساءهم زينة للنفوس * (كما فى المثل الاساس بحسب بانيه * وكل شئ يشبه قانيه * فالانسان ينشأ على الطبع الذى جبل عليه * وشبه الشئ منجذب اليه * قلت فى المعنى

رأيت بخده ماء ونارا * وذاك الورد منتثر عليه
فقلت تعجبوا من صنع ربى * شبيه الشئ منجذب اليه

(ثم ان الناظم) لما علم أن القمل والصيبان وغيرهما الكائن فى طوق جبته لا يمكن حصره لكثرته أراد أن يشبهه بشئ يناسبه فى الكثرة واللون فقال (شبه النخاله) وهى قشر البر والشعير الذى يعلو المنخل عند النخل وسيأتى تعريفها واشتقاقها وهذا الشبه يعطى حكم المشبه به من وجهين الاول أن القمل ابيض والنخالة كذلك الثانى أنه اذا تراكم على بعضه البعض يرى فى العين كثيرا كما ترى النخالة فكان تشبيهه بها هو المناسب وهى مشتقة من النخل او المنخل او المنخال * قال فى القاموس الازرق والناموس الابلق شعر

اسم النخالة مشتق كما ذكروا * من منخل ونخيل ثم منخال

ونخالة الشعير أقوى نفعا لانها اذا انقعت فى الماء وسخنت بالنار وشربها من يشتكى وجع الصدر وأبرأته باذن الله تعالى وقوله (يجرفوه) أى القمل والصيبان وتوابعهما المتقدمة (جريف) أصله جرفا لانه مصدر حذفت ألفه وزيد فيه الياء لاجل الضرورة أو أنها لغة ريفية فلا اعتراض وهو مشتق من الجرف او من المجرفة او الجرافة (فان قيل) كان حق الناظم أن يرجع الضمير لاقرب مذكور وهى النخالة وكان هذا هو الانسب (قلنا) لعله عدل من تأنيث الضمير لضرورة النظم اذ لو فعل ذلك لاختل الوزن أو يكون من باب الترخيم كقوله

أفاطم مهلا بعد هذا التدلل * وان أنت قد أصرمت حبلى فاجملى

أو أنه رجعه الى قشر البر والشعير المسميان بالنخالة فيكون على تقدير حذف المضاف فلا اعتراض عليه (فان قيل أيضا) ان كلام الناظم يفهم منه ان القمل والصيبان قد انحصرا فى طوق جبته فقط ولم يكن على بدنه منهما شئ واذا كان كذلك فما فائدة الشكوى منهما (قلنا) يمكن الجواب بأن يقال ان قوله فى طوق جبتى أى غالب القمل يتراكم ويصعد الى طوق جبته حتى يصير من كثرته يشبه النخالة فى الجرف ولا يلزم من هذه العبارة أن بقية جسده سالم منه بل اذا كان فى طوق جبته بهذا المقدار فيكون شئ منه

فى الجسد من باب أولى لان الجسد محل معاشه وغذائه من مص دمه وشرب اوساخه وانما القمل من شأنه أن يسرح اولا فى الثياب ثم ينتشر على البدن يمتص الدم الفاسد وكل من شبع منه صعد الى أعلا الثوب أو الجسد فيمكث فيه ليستنشق الهواء ويرتاح كما أن الآدمى اذا شبع يرتاح بسكونه ونومه مثلا فهذا دأبه كما جرت به العادة فاتضح الجواب (فان قيل) لاى شئ لم يتعرض الناظم للشكوى من البق والنمل والبعوض ولم يذكر شيأ منهما مع ان لكل منهما أذية وضرر شديد (الجواب) عن هذا السؤال من وجوه شتى الاول ان البق وان كان كثيرا كما فى المثل * ان البقه تولد ميه واتقول ياقلة الدريه * فانه فى الغالب لا يهوى الا بلاد المدن لعلو اماكنها وكثرة أخشابها وطليها بالجص والجير لانه يعيش بها ويتولد فيها وبلاد الارياف ليس فيها شئ من البناء العالى المكلف وان وجد فى القرية فيكون دار الشاد بها أو دار الملتزم مثلا والناظم لا يتوصل اليها ولا ينام بها وانما يبيتون غالبها من الكرس والوحل وربما كان فيها الجلة أيضا فلهذا لا يعرفون البق ولا يرونه ولا يهوى أماكنهم (وأما النمل) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه لا يهوى الا المحل الذى فيه بعض الادهان كالسمن والزيت ويهوى الشئ الحلو كالعسل والسكر فيأتى اليه ويشمه ويكون قوته الشم كما ذكره صاحب حيات الحيوان ومثله الكمون فان الوعد يغنيه عن سقى الماء قال الشاعر

لا تجعلونى ككمون بمزرعة * ان فاته السقى أغنته المواعيد

(والناظم) لم يرى للنمل اثرا فى بيته لقلة ما فيه من الحلوى والادهان بل لعدمه بالكلية فلهذا لم يكن للنمل عليه سبيل لا فى ثوب ولا موضع فكان منعه عنه بهذا السبب (وأما البعوض) فانه وان كان موجودا فى بلاد الارياف لكنه يأتى اياما ويذهب بخلاف القمل والصيبان فان أذاهما دائم مستمر فى الثياب وغيرها كما تقدم والشئ اذا كان يؤذى قليلا ويغيب كثيرا يكون وجود ضرره كالعدم فكان هذا سببا لترك الشكوى من الجميع فاتضح الجواب (فائدة) اذا نقع الحنظل فى مقة الغزل بعد استوائه ورش بها فى المحل وهى حارة قتلت البق ولم يبق منه شئ واذا ظهر النمل فى محل فيه البق أكله قال الشاعر

أكل البق آلمنى * جسمى ما حمل بقه
جبت النمل ساعدنى * فما خلا ولا بقه

(وأما النمل) فيمنعه رائحة القطران ويمنع البعوض دخان النخالة (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى أن الشخص اذا أكلته قملة أو قرصه برغوث أو شئ مما يؤذى يسرى ذلك الاذى فى سائر جسده ظاهرا وباطنا حتى يشمل الكبد والرئة والقلب ونحو ذلك مع ان القمل أو البرغوث ونحوهما لا يتوصل الى باطن الجسد الا ان دخل من منفذ من المنافذ واذا دخله نادرا يموت فى الحال قبل وصوله الى باطن الانسان وكثيرا ما يدخل

البرغوث فى اذنه فيمكث قليلا فى حركة وأذية ويخرج بسرعة أو يموت فما وجه ذلك (الجواب القشروى) أن يقال ان الجسم باطنه وظاهره فى التألم على حد سوا لان الروح سارية فيه كسريان الماء فى العود الاخضر فاذا حصل الاذى فى ظاهره تألمت الروح وسرى الالم فى جميع الجسد ظاهرا وباطنا وأمثل لك مثالا قشرويا * وهو ان الشخص اذا حبس فى خزانة صغيرة مثلا وكانت لا تسع غيره وليس لها منفذ وطال سجنه فيها فان جسمه يضعف ويتغير وتعتريه الامراض ويتألم ظاهرا وباطنا خصوصا اذا حصره البول وبال فيها حتى ملأها أو ضرط فيها أيضا فتصعد تلك الروائح الى العلو فلا تجد لها مصرفا فتعود على لحيته وشواربه فتضره ضررا بليغا خصوصا صاحب اللحية الطويلة العريضة مالم يكن عرضها ضر طولها فيخفف الضرر أو قل طولها فكذلك على كل من الحالتين فانكشف الحال عن وجه هذا الهبال ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة أخرى ابتلى بها وهى فى الجملة أشد ضررا من القمل والصيبان لكونها من جهة الاقارب فقال ص

ولا ضرنى الا ابن عمى محيلبه * يوم تجى الوجبه على يحيف

ش قوله (ولا ضرنى) أى ضررا زائدا على ما تقدم (الا ابن عمى) اخو والدى وهو مشتق من العموم لان نفعه يعم اولاده واولاد أخيه لانه فى حكم الاب لهم اذا فقدوا الدهم ولهذا تسميه العرب أبا (قال) بعض المفسرين فى قوله تعالى واذ قال ابراهيم لابيه آزران المراد به عمه أو من العمامة لعلوها ووضعها فوق الرأس حكم التاج كما فى الحديث العمائم تيجان العرب فكذلك العم له الرفعة على اولاد أخيه لكفالته اياهم وولايته عليهم وقوله (محيلبه) تصغير محلبة وهى اناء يعمل من فخار أحمر مجوف البطن محصور الرقبة لها أذن واحدة وتعمل بأذنين أيضا اذا كانت كبيرة سميت بذلك لحلب اللبن فيها من باب تسمية الظرف باسم المظروف (والحاصل) ان الاوانى المعدة للحلب على اقسام محلبة ومحلاب وهو على ثلاثة اقسام صغير وكبير ومتوسط والمحلاب أطول من المحلبة وأوسع منها فما وأضيق بطنا قعره يشبه قعر القادوس صغير جدا وربع وهو اناء صغير يأخذ فى الكيل قدر ربع المحلبة وقروفه بفتح القاف وتشديد الراء المهملة وكسر الفاء وسكون الهاء فى آخرها وهى تشبه المحلاب فى صغر القعر الا أنها محصورة الرقبة واسعة البطن جدا مثل المحلبة ولها أذنان أو أذن واحدة وأكبر أوانى اللبن القسط وهو جرة كبيرة وهناك اناء آخر يقال له الكوز يباع به اللبن فى بلاد المدن كما شاهدنا ذلك وهو ثقيل فى الجرم قليل فى البركة ومحلبة على وزن دولبة ومحلاب على وزن دولاب وقسط على وزن قبط سمى بذلك لكونه مقسطا بالوزن أو الكيل وربع على وزن سرع وكوز على وزن بوز لانه يشبه بوز البقرة أو العجلة فى وسع فمه وهو مشتق من الكز وهو العض يقال كزت الارض على الحراث اذا عضت

عليه وكز الطفل على اصبعه اذا عضه هكذا رأيته فى القاموس الازرق والناموس الابلق فالكوز اذا وضع فيه اللبن أو الماء يقبق وتألم يشكو ما ناله من ألم النار وما قاساه من العناء حتى صار فخارا قال الشاعر

مايقبق الكوز الا من تألمه ■ يشكو الى الماء ما قاسا من النار

فكان القياس الغطيسى من هذا القبيل فهذه الاوانى معروفة عند أهل الريف هى وغيرها ومنها الزير والتمنة وغير ذلك (فان قيل) ان المحلبة والمحلاب ونحوهما كالقسط والربع والكوز تقدم تعريف اسمائها واشتقاق بعضها فما معنى القروفه وما أصل وضع هذا اللفظ الغريب على هذا الاناء وما مناسبة ذلك (قلنا) يمكن الجواب من وجوه (الاول) ان هذا الاناء عمل فى زمن القر بكسر القاف وجزم الراء وهو شدة البرد ثم انهم وفوا حرقه فى زمن الصيف فصار يقال قروفه أى هذا الاناء وفى حرقه وتم أمره ثم انهم حركوا الراء من قر مع ضمها مشددة وجعلوا مجموع هذه الحروف علما عليه وقالوا قروفه فصار مركبا من اسم وفعل (الثانى) أنه لما أتى به وهو جديد ووضعه الحلاب بين رجليه وحلب فيه اللبن فصار يفور وتحلل منه رغوة كثيرة فخاف الحلاب من سيلان اللبن خارج الاناء فصار ينادى اللبن قر فيه قر فيه أى اسكن فيه واستقر ثم زادوا فى هذا اللفظ واوا بين فعل الامر والجار والمجرور وحذفوا الياء المثناة من تحت لثقلها فى اللفظ وحركوا الواو وقالوا قروفه فسمى بذلك (الثالث) ان طينته فى الاصل أخذت من محل قريب من قرافة مصر فصاروا يقولون اناء قرافى ثم انهم اشتقوا له هذا الاسم من هذا المعنى وقالوا قروفه (الرابع) انه مشتق من القرفة بكسر القاف وهو نوع من البهار زكى الطعم والرائحة يدخل فى الاطعمة الفاخرة والمآكل النفيسة وكذلك اللبن عند حلبه يكون فيه طيب الرائحة وحلو الطعم قال الله تعالى لبنا خالصا سائغا للشاربين ثم زادوا فيه واوا وجعلوه علما عليه (الخامس) ان الاسماء لا تعلل فلا يحتاج الى هذه الابحاث القشروية وهذه الخرافات الهبالية فاتضح الجواب وبأن الصواب (وأما) سبب تسمية ابن عم الناظم بهذا الاسم فعلى اقوال (أحدها) ان امه لما وضعته سمعت انسانا يقول لآخر هات المحلبة فسمته بذلك تفاءلا بهذا اللفظ وصغرته لكون الولد صغيرا (الثانى) ان أمه أتت بولد قبله وسمته محلاب فمات ثم ولدته وكرهت أن تسميه باسم اخيه فأنثت اللفظ وصغرته وقالت محيلبه واشتهر بذلك (الثالث) ان أمه لما ولدته زارها انسان بمحلبة جديدة ساعة ولادته فتفاءلت بذلك وقالت محيلبه فهذا ما ظهر لى من هذه المباحث القشروية والخرافات الهبالية وقوله (يوم) بالتنوين وخفض الميم لضرورة النظم واليوم اسم لبياض النهار المضئ المشرق بسبب اضاءة الشمس الذى يصام شرعا كما لا يخفى وقوله (تجى) من المجئ وهو الحضور (الوجبه) ووقت مجيئها وحضورها بمجرد طلوع المشد أو الملتزم أو النصرانى الى الكفر أو البلد فتوزع على الفلاحين

بحسب ما يخصهم فى الارض من القراريط والفدن ونحو ذلك فنهم من يكون عليه فى الشهر يوم ومنهم من يفعلها فى كل جمعة مرة ومنهم من يجعلها فى كل ثلاثة ايام وهكذا بحسب كثرة الفلاحين وقلتهم وحسب زيادة الارض ونقصها فلا بد منها فى كل يوم مدة الاقامة فيقوم الرجل بكلفة المشد والنصرانى ان كان حاضرا وجميع من يكون من طائفة الملتزم ويلتزم بأكلهم وشربهم وجميع ما يحتاجون اليه من عليق دوابهم وما يتمنونه عليه من المآكل من اللحم والدجاج ولو كان فقيرا ألزموه بذلك قهرا عليه والاحبسه المشد وضربه ضربا موجعا وربما هرب من قلة شئ يصنعه فيرسل المشد الى اولاده وزوجته ويهددهم ويطلب منهم ذلك فربما رهنت المرأة شيأ من مصاغها أو ملبوسها على دراهم وأخذت بها الدجاج أو اللحم وأطعمتهم وأحرمت أولادها من الاكل منه خوفا على نفسها من انه لا يكفيهم مثلا وقد ربى الفلاح الدجاج فلا يأكل منه شيأ ويحرم نفسه وعياله من خوفه من الضرب والحبس ومثل الدجاج السمن والدقيق فيبقيه لاجل هذه البليه ويطبخ بالشيرج ويأكل الخبز الشعير ويصنع لهم المقمح الزريع ويأكل الجبن القريش المالح ويتكلف شراء الجبن الطرى الحلو ويرسله فى الوجبة كل ذلك خوفا على نفسه من هذه الامور وسميت وجبة لكونها صارت على الفلاحين حكم الامر الواجب عليهم للملتزمين فلابد من فعلها للمشد بالقرية أو النصرانى أو الملتزم اذا حضر كما تقدم بيانه واذا أسقطها بعض الملتزمين جعل فى مقابلتها شيأ معلوما من الدراهم واضافه الى المال ويلزمهم بدفعه الى المشد بالقرية تؤخذ منهم كل عام فهى من انواع الظلم والاكل منها حرام مالم تكن من الفلاحين عن طيب نفس وانشراح صدر بحيث ان الملتزم يرضيهم بشئ من الارض او غيرها فى مقابلة ذلك وبعض الملتزمين يتعفف عنها بالكلية ولا يجعل عليهم شيأ لا للمشد ولا لغيره الا اذا تبرعوا بشئ من عند أنفسهم فعلى هذا لا تكون حراما ويحل الاكل منها ومثل الوجبة غرامة البطالين واستخدامهم بغير أجرة مالم يكن عن رضاء منهم فى مقابل السكنى وترك الزرع ونحوه فكل ما كان فيه اضرار للناس فهو حرام قال الشاعر

كن كيف شئت فان الله ذو كرم ■ وما عليك اذا أذنبت من باس
الا اثنتان فلا تقربهما أبدا ■ الشرك بالله والاضرار بالناس

(فان قيل) ان الامير أو غيره اذا التزم بقرية ووجد فى دفاتر من التزم بها قبله الوجبة وغرامة البطالين وغير ذلك مما هو من أنواع الظلم فيجعل ذلك على أهلها حكم الحوادث السابقة كما جرت به العادة فهل يكون الاثم عليه أو على من أحدث هذا قبله أو عليهما معا (الجواب) ورد فى الحديث عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من أحدث فى امرنا هذا ما ليس منه فهو رد أى من أتى بشئ لم يكن موجودا فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بالبدعة فهو رد أي مردود ومعناه باطل لا يقتدى به وفيه بيان على انه لا فرق

بين أن يكون أحدثه بنفسه أو سبقه به غيره فالاثم على كل من فعله أو أمر بفعله اذ كل فعل لم يكن على أمر الشارع ففاعله آثم لقوله صلى الله عليه وسلم من احدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنة الله وفيما تناوله الحديث رد على ذوى العقول الفاسدة والحكم مع الجهل والجور ونحو ذلك مما لا يوافق الشرع فاتضح الجواب وبان الصواب وفى قوله (تجى الوجبه) نوع من انواع البديع يسمى التوزيع وهو أن يوزع الشاعر حرفا من حروف الهجاء فى كل كلمة من الفاظ البيت أو غالبه كقول الصفى الحلى رحمه الله فى بديعيته

محمد المصطفى المختار من ختمت ■ بمجده مرسل الرحمن للامم

فانه كرر حرف الميم فى جميع كلمات البيت والناظم حكم له حرف الجيم فى كلمتين فقط (ويقرب من هذا المعنى) ما اتفق ان رجلا قلا سمك كان يهوى امرأة جميلة وكان له غلام صغير فى غاية من الحذق والفصاحة فارسله يوما اليها لتأتى الى محله فذهب الغلام حتى أتى محلها واخبرها أن معلمه يريدها فامتثلت الامر وأرادت الذهاب معه فحضر زوجها فى ذلك الوقت فتنكر الغلام ومضى ولم يشعر به أحد حتى أتى الى معلمه فرآه يقلى السمك على جارى عادته والناس حوله يطلبون منه السمك المقلى فابتدره بكلام مقفى موزون يفهمه فيه القضية ويعمى فيه على الحاضرين فقال له يا معلى فق لى من ذا السمك فاقلى جات تجى فجا ولم يجى بلجت ولكن ترتجى لما يروح تجى (وتفسير) هذه الكلمات ان قوله يا معلى فق لى أى تنبه لقولى واستمع له وافهمه من ذا السمك فاقلى أى بهذا الكلام لتوهم الحاضرين انه يريد شيأ من السمك أو أنه يطلب منه سرعة قليه وبين قوله فق لى وفاقلى الجناس المحرف المزيد وقوله جات تجى أى أرادت المجيء وامتثلت الامر فجاء أى زوجها فى وقت ان أراد الذهاب ثم قال ولم يجى أى زوجها لجت أصله لجاءت سهله للضرورة أى لحضرت اليك ولم تخالف أمرك ثم استدرك الكلام بقوله ولكن ترتجى أى حضورها من الرجاء وهو حصول الشئ على وفق ارادة الطالب لما يروح زوجها ويخلو مكانها تجيء اليك ويحصل المطلوب والشاهد فى قوله جات تجى فجاء الى آخره فانه كرر حرف الجيم فى كل كلمة كما لا يخفى (فان قيل) ان النصرانى اذا نزل قرية لقبض مالها يحضر اليه الفلاحون ويكرمونه ويرسلون له الوجبة ويتذللون بين يديه ويطيعون أمره ونهيه بل يكون غالبهم فى خدمته هل هذا حرام عليهم لتعظيمهم له وهل يكونون آثمين بذلك أم كيف الحال (قلنا) الجواب ان خدمة المسلم للكافر حرام وكذلك تعظيمه والخضوع له والتذلل بين يديه ويكون الفاعل آثما بذلك مالم يخف منه ضررا أو أذية بان يكون حاكما عليه ومتوليا أمره واضطر اليه فى أمر كقباض المال من النصارى فى بلاد الارياف وغيرهم فانهم مالكون هذا الامر بل ان بعض الملتزمين يولى النصرانى أمر القرية فيحكم فيها بالضرب والحبس وغير ذلك فلا يأتيه الفلاح

الاوهو يرتعد من شدة الخوف (كما اتفق) فى زمن الاستاذ العارف بالله تعالى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد نفعنا الله به أن السلطان ولى شخصا من النصارى على اقليم مصر كله يقبض ماله فكان ينزل الى الاقليم فى موكب عظيم من الخدم والحشم ويمر على البلاد يقبض أموالها وهو راكب على فرسه ولا ينزل الا لضرورة الاكل أو المبيت من شدة أذيته وقوة ضرره وكان لفرسه ركاب من الفولاد مطلى بالذهب وقد جعل فيه سفوتين من الحديد خارجتين الى الخلا قدرا يسيرا ثم يرسل خلف الرجل فلا يأتيه الا وهو يرتعد من شدة الخوف فيقف بجانب فرسه وهو راكب فيغلظ عليه بالكلام القبيح ويقول له ادفع ما عليك من المال فى هذه الساعة فان أجاب وأحضر المال فى وقته كان والا ضربه بتلك السفوتين فيجرحه أو يخرق اجنابه فيموت وكان هذا دأبه مع المسلمين لعنة الله عليه فاتفق انه طلع الى قرية الشيخ ابن دقيق العيد رحمه الله وارسل خلف رجل من اتباعه كان عليه بقية مال من خراج ارض يزرعها فلما حضر اليه قال له ادفع ما عليك فقال له الرجل أمهلنى بقية هذا اليوم فاغلظ عليه وأراد أن يحرك الركاب ويضربه بتلك السفافيت بقتله فولى هاربا والنصرانى يتبعه على الاثر الى أن ألقى بنفسه بين يدى الشيخ وهو يحرق فى قين جير لانها كانت صنعة الشيخ فى ابتداء أمره فقال له ما الخبر فقص عليه الامر فلم يشعر الا والنصرانى واقف على رأسه فقال له الشيخ أمهله بقية النهار فاغلظ على الشيخ بالكلام فاخذ الشيخ الغضب والغيرة على المسلمين وقام اليه وجذبه من أطواقه فبقى فى يده كالعصفور وقال له يا ملعون الابعد طال عمرك وساء عملك وقد اشتد على المسلمين ضررك والآن قد زال اسمك وانمحى رسمك ثم اتكأ عليه حتى قصف ظهره وألقاه فى تنور القمين فاحترق ثم نظر الى جماعته نظرة الغضب فالقى الله الرعب فى قلوبهم فولوا الادبار حتى وصلوا الى السلطان واخبروه بالقضية فاشتد به الغضب وارسل خلف الشيخ فسار اليه حتى طلع الديوان فلما مثل بين يديه قال له ما حملك على حرق النصرانى فقال له الشيخ وأنت ما حملك على توليته على المسلمين وتأمره باذيتهم فزاد به الغيظ واراد أن يبطش بالشيخ فاشار الشيخ الى الكرسى الذى هو جالس عليه فتحرك من تحته فانكب الى الارض مغشيا عليه وصار للكرسى دوران وطنين فى القلعة ودوى كالرعد القاصف وهاجت العسكر فى بعضها البعض وارتجت القلعة بمن فيها من الجند والاعوان فصاحوا الامان الامان فاشار الشيخ بيده فرجع كل شئ الى حاله ثم اشار الى الملك فصحى من غشوته فلما أفاق قبل يديه وقال له العفو يا سيدى تمن على ما تريد فقال له أنا لا أريد منك شيأ غير انك لا تول أحدا من النصارى على المسلمين ولا على أمورهم والا هلكت فقال له السمع والطاعة ثم ان الشيخ نزل من عنده على غاية من الكرامة والتبجيل وصار الى قريته ويزل هذا الامر منقطعا زمانا لا يتولى أحد من النصارى أمر المسلمين فى قبض مال ولا غيره الى أن احتاج اليهم الحكام لحذقهم وصحة عقولهم فى الحساب فولوهم هذا الامر

الى زماننا هذا وكذلك اليهود تعاطوا علم الطب حتى تصرف الفريقان فى الاموال والارواح ولله در القائل

لعن النصارى واليهود جميعهم ■ نالوا بمكرهم الامال الا
جعلوا اطباء وحسابا لكى ■ يتقاسموا الارواح والاموالا

فعلى هذا يجوز للشخص معاشرتهم والخضوع لهم اذا خشى على نفسه أو عياله ضررا منهم فى امر دينى أو دنيوى يتوقف على ذلك وقد اضطر اليه فلا بأس باستصحابهم من هذا القبيل وقد عوتب سيدى عبد العزيز الديرينى نفعنا الله به فى تردده على نصرانى بلدته فقال

يلوموننى فى عشرة القبط خالق ■ فوالله طول الدهر ما حبهم قلبى
ولكننى صياد رزق بارضهم ■ ولا بد للصياد من عشرة الكلب

وأما اذا خالطهم الانسان بالمحبة والصحبة لا لغرض دنيوى قد اضطر اليه ولا لخوف ضرر منهم فربما دخل فى ضمن قوله تعالى ومن يتولهم منكم فانه منهم وفى ضمن قوله صلى الله عليه وسلم من أحب قوما حشر معهم وقوله (على) بتشديد الياء يريد نفسه لا غيره (يحيف) أى يميل على ويظلمنى ويكلفنى ما لا أطيق فكان عليه هذا الضرر أشد من غيره الذى هو أذية القمل والصيبان ونحوهما كما تقدم لكونه ناشئا من الاقارب قال الشاعر

اقاربك العقارب فاجتنبهم ■ ولا تركن الى عم وخال
فكم عم أتاك الغم منه * وكم خال من الخيرات خال

(فانظر) الى هذا الشاعر اللبيب كيف أتى بالعم والخال وصحف الاول بالغم واستخدم لفظ الثانى فى كونه خاليا من الخيرات وحكم فيه الجناس وتورية اللفظ وقال بعضهم

عداوة الاهل ذوى القرابه * كالنار يوم الريح وسط غابه

(وقال) على كرم الله وجهه العداوة فى الاهل والحسد فى الجيران والمودة فى الاخوان وأصل عداوة الاهل من قصة قابيل لما قتل أخاه هابيل فصارت العداوة بين الاخوة والاقارب الى زماننا هذا ومنشأ هذا كله الحسد فالحسود لا يسود (وفى الحديث) لا حسد الا فى اثنتين رجلا آتاه الله مالا فسلطه على هلكته فى الخير ورجل آتاه الله علما فهو يعلمه الناس وقال الامام الشافعى رضى الله عنه

ان يحسدونى فانى غير لائمهم ■ قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا
فدام لى ولهم ما بى وما بهم ■ ومات اكثرنا غيظا بما يجد

وقال آخر

لا مات اعداؤك بل خلدوا * حتى يروا منك الذى يكمد
ولا خلاك الدهر من حاسد ■ فان خير الناس من يحسد

ثم ان الناظم انتقل من شكوى ابن عمه محيلبه الى شكواه من ابن اخيه خنافر لكونه أشأم منه وأضر عليه من ابن عمه فقال

وأيشم منه ابن أخوه خنافر * يقرّط على بيضي بحلبة ليف

قوله (وأيشم) من الشؤم أو من التيشمة وأصله أشأم على وزن أبلم أو أقطم (وفى المثل) أشأم من طويس ويقال فلان مشؤم وذو تيشمة أى عنده قوة وتجبر وشدة ضرر على الناس وسمى الخشب شوما لقوته وصلابته والعرب تهجو بالشؤم واللوم (قيل) بنا جعفر البرمكى قصرا بديعا وزخرفه بأنواع الحرير وغير ذلك وجلس فيه اياما فبينما هو ينظر يوما من شباك له اذ نظر الى أعرابى يكتب على جداره بيتين من الشعر وهما

ياقصر جعفر علاك الشوم واللوم * حتى يعشش فى اركانك البوم

اذا يعشش ذاك البوم من فرحى * أكون اول من ينعاك مرغوم

فقال علىّ بهذا الاعرابى فلما حضر بين يديه قال له ما حملك على ما فعلت وما سبب دعائك على قصرنا بالخراب فقال له حملنى على ذلك الفقر والفاقة وصبية خلفتها كأفراخ القطا يتعاوون من ألم الجوع وجئت لاستمطر احسانك وارجو نوالك فمكثت شهرا على باب هذا القصر لا أتمكن من الدخول اليك فلما أيست دعوت عليه بالخراب وقلت ما دام عامرا لا يفدنى منه شئ فاذا خرب ربما أمر به فآخذ منه خشبة أو شيأ من زخارفه فأنتفع به قال فتبسم جعفر وقال عدم علمنا بك قد أطال وقوفك واضر بعيالك اعطوه ألف دينار لقصده ايانا وألف دينار لطول مكثه على باب دارنا وألف دينار لصبية خلفها كأفراخ القطا وألف دينار لدعائه على قصرنا بالخراب وألف دينار لحلمنا عليه فأخذ الاعرابى الخمسة آلاف دينار وعاد شاكرا وقوله (منه) بتشديد النون لضرورة النظم أى أشد وأقوى منه فى الضرر على والظلم لى (ابن اخوه) أى اخو محجلبه شقيقه وكان الاولى جره على الاضافة ولكن لم يساعده لسانه على هذا الوضع لكونه من أهل الريف وأيضا يختل الوزن ثم بين اسمه بقوله (خنافر) مشتق من الخنفرة على وزن الخرخرة أو البربرة يقال رقد فلان وخنفر بمعنى انه ردد النفس فى حلقه وأخرجه من خياشيمه حتى صار نفسا عاليا بخنفرة وبربرة قال الشاعر

وخنفر عند النوم من خيشومه * فصار بهذا الاسم يدعى خنافرا

وسمى بذلك لكثرة خنفرته عند النوم ومصدره خنفر يخنفر خنفرة فهو خنفور على وزن خنشور وخنافر على وزن عبابر واحدتها عبورة وأما اخوه فاسمه قادوس على وزن بعبوص وقادوس هذا خلف ولدين محجلبه وفساقل وخنافر هذا ابنه فكان ضرر الناظم من ابن عمه وابن أخى ابن عمه ثم بين الضرر الحاصل منه بقوله (يقرط) بضم المثناة من تحت على وزن يضرط ويضرط فيها لغتان قال الشاعر

ففيها ضرّط الواشون جمعا * فصار ضراطهم فيها يفوح

وهو هنا بمعنى التقريط بالحبل بشدة وقوة وأما القرط بفتح القاف وجزم الراء فهو قرط الزرع وهو أخذ سنبله وابقاء اصله فى أرضه يقال فلان قرط زرع فلان وبضم القاف

اسم لحلقة صغيرة من لجين أو فضة تعمل فى أذن الصبى وهى ممدوحة خصوصا للولد الجميل فانها تزيده حسنا وتكسوه حلاوة قال أبو نواس فى مطلع قصيدة له

ومقرطق يسعى الى الندماء * بعقيقة فى درّة بيضاء

أى أن هذا الجمال اللطيف والشكل الظريف الذى زانه هذا القرط واتصف به صار يسعى على الندما وبيده خمرة تشبه العقيقة فى لونها وهى فى كأس يشبه الدرّة البيضاء من صفاء جوهره ولطف ذاته ويسقيهم مما فى يده ويدير عليهم المدام ويلاطفهم برشاقة القد وحسن الكلام الى آخر ما قال وقوله (على بيضى) أى بيض الناظم لا بيض المتكلم ولا بيض غيره من الدجاج والطيور ونحو ذلك وسمى بيضا لشبهه بالبيض اذا انسلخ عنه الجلد وهو مشتق من البياض أو من أبو بيض حيوان يشبه العنكبوت أو من بيضة القبان (مسئلة هبالية) ما الحكمة فى تسمية البيض بالخصيتين وما مشابهة الخصى لهما فى الاسم وما اشتقاقهما وما معنى ذلك (الجواب القشروى) وهو ان الخصيتين واحدتهما خصية بكسر الخاء المعجمة وكذلك مثنى الخصا خصوان واحدهما خصا فاذا أخذت الخصا مثلا واضفت اليه آخر صرت آخذا خصوين بلا خلاف فافهم ذلك وقد يقال له حصو بالواو بدل الالف المقصورة وهو اسم للزب فاذا اقعدت عليه فهمت لذة الكلام وهو فى حكم الاب للخصيتين لانه لا يفارقهما وهما فى حكم البنتين له فاشتق من اسم الاصل اسم الفرع لعدم انفكاكه عنه ولهذا ان الخصيتين دائما فى مقام الخضوع للذكر وهو فى مقام الرفعة عليهما وهما فى مقام التدلى وهو فى مقام الترقى وهما أيضا فى مقام الاضافة وهو فى مقام الرفع والنصب وأيضا له قوة فى فتح الابواب المغلقة وهدم الحصون وقرع القبب المسطحة وهما واقفان له على الباب تأدبا معه وهذا من علامة البر بالوالد (كما اتفق) ان بعض الشعراء قصد ملكا يستمطر احسانه فرآه فى البستان فوقف على الباب وأراد الدخول فمنعه الحارس فنظر خلف حائط البستان فرأى جدول ماء يجرى وينتهى الى محل تحت الحائط ينصب فى فسقية كبيرة ورأى الملك جالسا عليها فاخذ ورقة وكتب فيها هذا البيت

الناس كلهم كالاير قد دخلوا * والعبد مثل الخصا واقف على الباب

ثم طواها ووضعها فى قصبة فارسية وسد عليها بشمع والقاها فى الجدول فأخذها الماء حتى ألقاها بين يدى الملك فتناولها وفك ختامها واخرج الورقة فلما قرأ البيت تبسم وناداه ادخل يا خصا فقال الشاعر ادام الله الملك ما هذا الا عن وسع عظيم فاعجبه كلامه وانعم عليه وارتد شاكرا (قلت) وبذكر مصادفة هذه الالفاظ ذكرت ما اتفق ان السلطان قانصوه الغورى رحمه الله غضب على انسان وأراد قتله فشفع فيه بعض الحاضرين وعمل عليه ثلاثة آلاف دينار ونزل من عند الملك ليأتى بها فلاقيه رجل من أصدقائه وهو على سلم الديوان فقال له بلغنى أن الملك عمل عليك ألف دينار فقال لا على

الطلاق ثلاثة قال فلما سمع الملك وقوع هذه الكلمة منه واستخدامها في معنى الطلاق والدراهم عفا عنه وسامحه من الثلاثة آلاف دينار وانعم عليه ومضى الى حال سبيله (وقد يطلق) انفظ الخصا على الذكر أيضا ويسمى الدلدول والذنب والزب والاير والعزمول وغير ذلك لكن اشهر اسمائه خمسة وقد ذكرتها في رسالتي رياض الانس فيما جرى بين الزب والكس وهي

لي عندهم اسماء حقا تذكر * اير وزب دلدل وذكر

وخامس الاسماء أدعى بالخصا ■ اذا غضبت خلتني كما العصا

ويلقب بالاعور والاقطس والسداد والمداد وهادم الحصون وفاتح البروج ويكنى أبو الحملات وأبو الصدمات وأبو الهيازع وأبو الزلازل ونحو ذلك واذا أطلق الانسان عنانه واطاع هواه ألقاه في اشد المصائب قال بن عروس رحمه الله تعالى

الناس في الله تاهوا ■ والاجواد شاعت تناها

ماضرني غير بطني * والى مدلي حداها

وقد تشبه الخصيتين بالدجاجتين قال بعضهم يهجو شيخه بهذين البيتين

يارب زوّل غمنا يا ربا * يارب أهلك شيخنا الادبا

كانما خصيتاه اذ كبا ■ دجاجتان يلقطان حبا

فالخصا بالضم والكسر اسم مشترك بين الذكر والخصيتين وكذلك بابدال الالف واوا كما تقدم ويكون من باب تسمية الشيء بما جاوره وخصيتين على وزن ضرطتين أو شحتين فيكون فيها الضرطة والشحة يبقين واشتقاقهما من الخص بضم الخاء المعجمة أو من قرية تسمى الخصوص أو من قولهم للكاب اخس مثلا ومصدرها خصا يخصو خصاء قال الشاعر

خصا يخصو مصادر خصيتين * خصاء صح في نظم الطنيني

انتهى الجواب عن هذه المباحث القشروية والاشكالات الهبالية وقوله (بخلبة ليف) أي ربطة قوية دائرة على بيضه مرتين بحبل مفتول من ليف النخل سمي بذلك لكونه ملتفا على أصول الجريد وسميت هذه الربطة بالخلبة لكونها تخلب على الشيء فلا ينفك منها الا بعسر وفي اصطلاح الرعيان أنهم اذا أرادوا ربط شيء بمكنة يقولون اخلب عليه خلبة الوتد أي لف عليه الحبل مرتين واربطه ربطة قوية حتى لا ينفك منه وهي مشتقة من خلب الزرع أو من مخلاب الطير أو من البرق الخلب بضم الخاء المعجمة وتشديد اللام وهو الذي لا مطر فيه قال ابن العربي نفعنا الله به

كل الذي يرجو نوالك أمطروا * ما كان برقك خلبا الامعي

ثم ان الناظم ذكر السبب الحامل لحدوث شيبه قبل أوانه فقال

ص ومن نزلة الكشاف شابت عوارضي * وصار قلبي لوعة ورجيف

قوله (ومن نزلة) النزلة واحدة النزول وتطلق على الجماعة الكثيرة اذا نزلوا في محل واستمروا فيه زمنا كما يقال نزلة بني فلان ونزلة العرب ونزلة الغوازي ومن هذا القرية المعروفة بالنزلة وأما النزول فمعناه نزل الشيء من الاعلى الى الاسفل وضده من الصعود وهو الترقي من الادنى الى الاعلى يقال صعد الى أعلى الجبل ونزل الى ادنى الارض قال امرء القيس يصف فرسا شجاعا

مكر مفر مقبل مدبر معا ■ كجلمود صخر حطه السيل من على

وقوله (الكشاف) جمع كاشف واتصف بهذه الصفة لانه يكشف عن الاقليم المتولى عليه ويزيل ما فيه من المفاسد والظلم ويسد النهور ويمكن الجسور ويزيل اللصوص وكان هذا عادة كل كاشف تولى في قديم الزمان يسير سيرة حسنة ويمر على البلاد واذا أقبل على قرية بقرع الطبل فيخاف منه أهل البدع وأرباب المفاسد ويرتحلوا هاربين خوفا منه وربما وقعوا في يده فيعاقبهم بما يستحقونه من قتل أو حبس أو ضرب أو أخذ دراهم ثم ينزل على القرية اذا كان له عليها عادة بالنزول وتأتي اليه مشايخها ويقفون بين يديه في اشد ما يكون من الرعب والخوف ويستخبرهم عن أحوالهم ويسألهم عن أرباب المفاسد واصحاب البدع ويلزمهم بالقبض عليهم اذا لم يكونوا في القرية ثم بعد ذلك يسرعون له في الاكل والشرب والتقاديم على ما جرت به العادة واذا وقع في قرية فتنة فيما بينهم أو قتل أو خروج عن طاعة استاذهم أو قائم مقام القرية هجم عليهم بامر الوزير واخرب القرية وقتل منهم من يستحق القتل وأزال العصاة والجبابرة فعلى كل حال وجوده على الاقليم رحمة وسيره كشف غمة ما لم يحصل منه ومن عسكره واتباعه الضرر على الناس من نهب متاعهم وأذيتهم وتكلفهم في المأكل والمشرب فوق طاقتهم والا فيكون هذا من باب الظلم وهو حرام ويجب رده لاربابه الان سمحت نفوسهم بذلك فلا بأس وقوله الكشاف لم يكونوا غير واحد فهو على حذف مضاف تقديره أي ومن تواتر نزول كاشف بعد كاشف مع ما يحصل لي منه من الرعب والخوف من قرع الطبول ودكدكة الخيول وهيبته عند السير والنزول ورجفان القلب من رؤية العسكر والمقدمين والبلاصة وخوفي من هذا الامر ان ينالني منه ضرر (شابت عوارضي) لضعفي عن مقابلة الكشاف وعجزي عن شيء يأخذونه من داري من جلة للمطبخ أو غير ذلك فمن هنا تنزعج الاعضاء وترجف الجوانح وينبت الشيب في غير أوانه (والشيب) كرامة من الله تعالى لعبده اكرمه به واول من شاب ابراهيم الخليل عليه السلام شاب نصف لحيته فقال يارب ما هذا فقال هذا وقارك في الدنيا ونورك في الآخرة فقال يارب زدني من هذا الوقار فاصبح وقد ابيضت لحيته كلها وفي الحديث ان الله يستحي أن يعذب شيبة شابت في الاسلام وللشيب فضائل كثيرة منها انه وقار للشخص كما تقدم وهيبة له ويذكره قرب حمامه لانه نذير الموت قال بعضهم

اذا اسودّ جلد المرء وابيض شعره * وطال عليه ثوبه من أمامه
وقارب عند المشى فى خطواته * هنالك بشره بقرب حمامه

وقال آخر وجاد

تبسم الشيب بوجه الفتى * اوجب سح الدمع من جفنه
وكيف لايبكى على نفسه * من ضحك الشيب على دقنه

وفى هذين البيتين الطباق * اللفظى كما لايخفى (والشيب) مذموم عند النساء قال هارون الرشيد لزوجته ماتحببن من الرجال فقالت من خده كخدى وايره كزندى قال فاذا التحا قالت يطرق الحدقة ويجل بالنفقة قال فاذا شاب فقالت يصبر على الخناق أو يبادر بالطلاق فهو عندهن مذموم وصاحبه من أنس الفانيات محروم خصوصا اذا قل ماله وساءحاله قال بعضهم

سلونى عن حال النساء فاننى * خبير باحوال النساء طبيب
اذا ابيض شعر المرء أو قل ماله * فليس له فى ودهن نصيب

فكيف بمن فيه النوعان الشيب والفقر فهو عندهن وجوده كالعدم وقال القاضى الفاضل رحمه الله

تعجبت حين راح سعدى * من بعد نضو الخضاب حالى
قالت أهذا الذى أراه * غبار طاحونة بدا لى
فقلت لاتعجبى فهذا * غبار طاحونة الليالى

أى انها تكدرت لما رأت هذا الشيب المشبه لغبار الطاحونة قد لاح على وجهه وعلى لحيته وتعجبت من حدوثه بسرعة وتعجبها منه يقتضى تكدر صدرها وطى بساط أنسها فاجابها بقوله لاتعجبى من اسراع ظهوره فان عجائب الليالى واستناحها المصائب المشبهة عند دورانها بالطاحونة اظهرت هذا الغبار الذى ترينه فلا تلومى واصبرى على مايليق به (وبعضهم) شبه حدوث الشيب فى لحيته بالطائر المعروف بالنسر لبياضه وشبه بقيتها فى السواد بابن دايه وهو الغراب الاسود فقال

ولما رأيت النسر حد ابن داية * وعشش فى وكرضاق له صدرى

(ومنهم) من شبه حدوثه بظهور الصبح واشتعاله فى السواد كاشتعال النار فى الحطب الغليظ اليابس قال ابن دريد رحمه الله فى اول قصيدته

ياظبية اشبه شئ بالمها * راتعة بين العقيق واللوا
أماترى رأسى حاكى لونه * طرة صبح تحت أذيال الدجا
واشتعل المبيض فى مسوده * مثل اشتعال النار فى جزل الغضا
فكان كالليل البهيم حل فى * ارجائه ضوء صباح فانجلا

والتشبيه

والتشبيه للشيب من هذا المعنى كثير وهو مشتق من الشيبة التى تباع عند العطار لبياضها ورقة عروقها واشتباكها كاشتباك الشعر بعضه ببعض ولهذا يقال رأوا فى الشيبة نجاسة مثلا ومصدره شاب يشيب شيبا وذكره الشيب فى العارضين اولا يدل على انه كان من الاماثل والكرماء لان اول مايشيب من الكرام العارضان ومن اللئام العنفقة قال الشاعر

فشيب الكرام من العارضيـ * ـن وشيب اللئام من العنفقه
وشيب الرؤس بما فى النفو * س وشيب الصدور من الزندقه

وقصره المشيب فى عارضيه ليس على بابه وانما كان ابتداؤه فى عارضيه ثم جرى فى بقية لحيته بيقين فذكر الاصل والفرع تابع له * وأما الحاقه تاء التأنيث فى الفعل فهو جرى على لغة الريافة والناظم منهم وأيضا لو قال شابا عارضى أو شابوا عوارضى لاختل الوزن فراعا لغته ووزن الكلام (مسئلة هبالية) لاى شئ قال ومن نزلت الكشاف ولم يقل ومن نزواهم لئلا يتوهم سامع بليد الطبع انها النزلة التى تعترى الانسان من حصول برد يحصل به فينزل فى رأسه ويتولد منها العطاس والاذى وغير ذلك ودواءها ان تدهن الجبهة ببياض البيض ممزوجا بالمصطكى فانه يخفف ذلك وما الحكمة فى انه أتى بعد العارضين بالقلب وهو بعيد عنهما وليس بينه وبينهما مناسبة وكان حقه أن يأتى بالشاربين والعنفقة كقول الشاعر

شواربك والعنفقه * فى طيز كلبة مطلقه
والحس خراها بافهمـ * ـم ومزمزه بالملعقه

(قلنا الجواب القشروى) أن النزلة على وزن العجلة والنزول على وزن العجول والعجول جماعة فاكتفى بالاقل عن الاكثر وأيضا الانثى ألطف من الذكر فى الذات والصفات وان كان الذكر اشرف وأيضا الفلاح عنده العجلة أو البقرة أكثر نفعا من العجل والثور فيعلم من هذا أن الناظم كان يهوى الاناث دون الذكور بخلاف مذهبنا نحن معاشر الفساق فاننا على حد قول أبى نواس رحمه الله

عجبت لمن يزنى وفى الناس أمرد * أليس ركوب الفحل فى الحرب اجود

وأما ذكره القلب مع العارضين فانما هو تغاير فى اللفظ والمعنى واحد من حيثية أن الروح سارية فى الجسد كله فاذا اهتم القلب وتعب سرى ذلك فى الجسد ونشأ الشيب منه فيكون على معنى ماقارب الشئ يعطى حكمه أو على حد قولهم شاب القلب فيكون شيبا معنويا فلا اعتراض فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال * والعارض مشتق من العرضية التى تلف على الرأس أو من عارضة الباب أو من العروض الذى يعترى الانسان من لمس الجن او من العارض الذى يأتى بالمطر أو من عارض الجبل قال بعضهم

قف بالقرافة تحت ذيل العارض * وقل السلام عليك يا ابن الفارض

أوانه سمى بذلك لتعرضه فى الوجه ومصدره عرض يعرض عرضا فهو عارض وقوله (وصار) على وزن فار من الصيرورة أو من صارى المركب أو من الصرة التى تنقل فى كل عام الى الحرمين (لقلبى) المراد به قلب الناظم لا قلب غيره كما لا يخفى على صاحب العقل الفشروى وقوله (لوعة) وهى شدة حرارة القلب وتلهفه من ألم العشق أو الخوف او بعد المحبوب ونحوه كما قلت فى معنى ذلك

أواه واحربا من لوعتى وكنى * أنى أكابد زفرات بأشجانى

وقوله (ورجيف) على وزن رغيف أى رجفان لا يسكن ألمه ولا يهدئ تحركه من شدة ما نالنى من رعب نزول الكشاف وخوفى منهم كما تقدم ومصدره رجف يرجف رجفا مثل غرف يغرف غرفا ثم ان الناظم شرع فى ذكر مصيبة اخرى ابتلى بها هو واخوانه الفلاحون وهى أشد عليهم من الامور المهمة فقال

ص ويوم يجى الديوان تبطل مفاصلى * واهز على روحى من التخويف

ش قوله (ويوم) بالتنوين (يجى) وقت قبض مال (الديوان) وهذا من باب واسأل القرية أى أهلها وهو ان النصرانى اذا حضر الى القرية أو الكفر وفرد المال على الفلاحين حكم الحوالى والقوانين التى جرت بها العادة وشرع فى أخذها فيكثر الخوف والحبس والضرب لمن لا يقدر على غلاق المال فن الفلاحين من يقترض الدراهم بزيادة أو يأخذ على زرعه الى أوان طلوعه بناقص عن بيعه فى ذلك الزمن أو يبيع بهيمته التى تحلب على عياله أو يأخذ مصاغ زوجته يرهنه أو يتصرف فيه بالبيع ولو قهرا عليها ويدفع الثمن للنصرانى أو لمن هو متولى قبض المال وان لم يجد شيأ ولا يرى من يعطيه وخشى الملتزم أو المشد من خرابه من البلد أخذ ولده رهينة عنه حتى يغلق المال أو يأخذ اخاه ان لم يكن له ولد أو أحدا من اقاربه أو يوضع فى الحبس للضرب والعقوبة حتى تنفذ فيه أحكام الله تعالى ومنهم من ينجو بنفسه فيهرب تحت ليله فلا يعود الى بلده قط ويترك أهله ووطنه من هم المال وضيق المعيشة كما قال بعضهم

قالت تسافر يافتى * وتفارق الوجه الحسن

فأجبتها بتذلل * والقلب يعلوه الشجن

هم المعيشة فرقت * بين الاحبة والوطن

فلا بد على كل حال من تغليق المال * ولو حصل من ذلك الهم والنكال * كما فى المثل الذى اشتهر وعم * مال السلطان يخرج من بين الظفر واللحم * ومادام على الفلاح شئ من المال فهو فى هم شديد * ويوم السداد عند الفلاح عيد * والحاصل ان الفلاح على قسمين قسم ناجى ناجب وقسم خائن خائب (فاما الاول) فهو صاحب عقل وسياسه * وحسن تصرف ورياسه * عقله رزين * ملازم للصلاة والدين * والزرع والغيط * تارك للسندة جنب الحيط * له على جماعته الحماسه * متجنب الرزالة والخساسه * يباشر الزرع *

ويقف

ويقف عند الحصيدة والقلع * لا يتكل على خولى ولا مرابع * ولا يركن لتوار ولا مزارع * بل يباشر الامور كلها * ويعرف مرضها وعللها * ويلازم المشد والاستاد * ولا يسعى فى خراب ولا فساد * فان أخذ من معامل فلوس * لا يصرفها فى أمر معكوس * بل على مصالح الزرع والبهائم * والامر الذى عليه لازم * وينوى السداد لصاحب الدين * ويشفق على الفقير والمسكين * ويفيق لاتواره * ويحفظ غيط جاره * وينوى سداد المال * ويتكل على العلى المتعال * ويترك نفش الشوارب * والجلوس على المصاطب * ويبارك له الديان * ويسد مال السلطان * وان جاءه المعامل أوفاه * وان طلب منه ثانى مرة اعطاه * وترتاح اولاده * ويرضا عنه استاده * ويعيش فى راحة ودين * ويرضا عليه رب العالمين * (وأما القسم الثانى) لا عقل ولا معروف * عريان منتوف * لا صلاة ولا دين * ولا طاعة لرب العالمين * ولا ذوق ولا معرفه * فائق للشر والمقرفه * بالنهار فى لعب المنقله * وبالليل ساحب العتله * لا يلازم الغيط * يحب اللطعة جنب الحيط * نافش الشوارب * قليل المكاسب * عويل مهدار * سفلاق فشار * ان دخل فى يده فلوس * فرقها على العتورة والتيوس * لا يلازم مشد ولا استاد * دائر فى العكس والفساد * تيرانه جائعه * وخيره ضائعه * لا يصرف الاشياط وعيلط * وزرعته ما فيها الاضراط * يصرف من غير قانون * مشحوت منحوت مديون * ممقوت مع استاده * دائر فى غيه وفساده * لو ضربه مقارع أو كسارات * لا يخلى النط فى الدور والحارات * ان قال له استاده على الصواب * ينوى على الرحيل والخراب * دائما فى مقت وكرب * ولا يفيد فيه الحبس والضرب * قنف معكوس * محرك شر حرب البسوس * لا يقدر على وفاء دين * مكسور عليه الالف والالفين * فتنة فى البلد * عمره فى هم ونكد * لا يوفى المعامل * ولا له رأى كامل * المقت منسكب عليه * وشبيه الشئ منجذب اليه * فلا خير فى حياته * ولا يبكى عليه بعد مماته * لانه طويل الكم فشار * قليل الفرح فى الدار * عترا كال خره * لا دنيا ولا آخره * كما قيل

فهذا الذى ان عاش لا نفع به * وان مات لا تندم عليه أقاربه

(واول) من وضع الدواوين سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه واول ديوان عمر بمصر على يد سيدنا عمرو بن العاص لما فتح مصر ولم يضبط على وتيرة واحدة وكان الخراج فى زمانه يسيرا ولهذا لما فتحها صلحا أو عنوة على ما قيل جمع منها اموالا كثيرة تفوق عن الحصر من كنوز وغيرها قال هشام بن رقيه اللخمى ان عمرو بن العاص لما فتح مصر قال لقبط مصر من كتم عنى كنزا عنده فقدرت عليه قتلته وان قبطيا من أهل الصعيد يقال له بطرس ذكر لعمرو ان عنده كنزا فطلبه وسأله فانكر فحبسه فى السجن وجعل عمرو يسأل عنه هل تسمعونه يسأل عن أحد فقالوا الا انما سمعناه يسأل عن راهب من

الطور فارسل عمرو الى بطرس وأخذ خاتمه وكتب بالقبطية الى الراهب على لسان بطرس يحرضه على حفظ المال وعلى مكانه وذكر له ماشاء أن يذكره وجهز الكتاب مع قبطى وثق به فجاءه الرسول بقلة شامية مختومة بالرصاص ففتحها عمرو فوجد فيها صحيفة مكتوب فيها مالكم تحت الفسقية الكبيرة فحبس عنها الماء ثم قلع البلاطة الذى تحتها فوجد فيها اثنين وخمسين اردبا من الذهب الاحمر المضروب بسكة مصر فأخذ المال وضرب رأس بطرس عند باب المسجد انتهى ▪ (وحكى) ان المرحوم السلطان سليم لما أخذ مصر من المرحوم السلطان الغورى فى رجب سنة ٩٢٠ عشرين وتسعمائة جعل له قانونا ودونه بمصر (منه) انه لا يكتب شئ من مال الديوان على أحد من الجند وافق ذلك رأى مولانا امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لما أرسل الى نائبه عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه يأمره بذلك (ومنه) ان الجند لا يسكنون فى بيت الملك (ومنه) انه لا يتزوج بمصرية (ومنه) أنه لا يقيم فى مصر أكثر من سنة وبعدها يجهز الى مكان آخر (ومنه) ان الجندى لا يجمع بين الجمكية وجهات الاوقاف والمراد بالجندى المثبت فى الديوان اصحاب الجوامك والعلوفات (واول من جبى) خراج مصر فى الاسلام سيدنا عمرو بن العاص رضى الله تعالى عنه وكانت جبايته اثنى عشر ألف ألف دينار بفريضة دينارين دينارين من كل رجل ثم جبى عبد الله بن سعيد بن أبى سرح خراج مصر أربعة عشر ألف ألف دينار فقال ابن عفان لعمرو بن العاص رضى الله تعالى عنهما يا أبا عبد الله درت اللقحة بأكثر من درها الاول فقال له سيدنا عمرو أضررتم بولدها (وهذا الذى) جباه عمرو وعبد الله انما هو من الجماجم خاصة دون الخراج (وكان) خراج مصر فى زمن المأمون والمعتصم اذا بلغ النيل سبعة عشر ذراعا وعشرة اصابع أربعة آلاف ألف ومائتى ألف وسبعمائة وخمسين ألف دينار والمقبوض على الفدان ديناران ودينار ذلك الزمن عشرة انصاف (واعلم) ان مصر كانت قبل الاسلام مائة وثلاثة وخمسين كورة فى كل كورة مدينة وثلاثمائة وخمسة وستين قرية خرب منها ثمانية وستون كورة ثم تناقصت بمجىء الاسلام وفيها أربعون كورة عامرة بجميع قراها لا ينقص منها شئ (ونقل الاستاذ السيوطى) ان سيدنا عمر بن الخطاب كتب الى سيدنا عمرو بن العاص يقول له اياك ان تكتب شيأ من مال الديوان على أحد من الجند الحذر الحذر كل الحذر والسلام انتهى * واطلاق الناظم لفظ المال المقبوض على الديوان لكونه آيلا اليه من باب تسمية الشئ بما يصير اليه وسمى ديوانا لاقامة الدين فيه باظهار الحق وانصاف الظالم من المظلوم أو لحضور مادون الملك فيه أو لجمعه على اجناس مختلفة كما يقال للكتاب الجامع للقصائد والتواشيح ومقاطيع الاشعار اذا انشأه شخص ديوان فنزول الديوان فى البلد على كل حال أمر مهول على الفلاحين ▪ ومصيبة على المقلين * والناظم رحمه الله كان من المفلسين المقلين ▪ المنكسرين فى مال

السلطان كما سيأتى فى قوله * ويأدوب عمرى فى الخراج وهمو * وان الدهر والزمان مال عليه وصيره فى هذه الحالة كما تقدم فلهذا قال عن نفسه انى اذا حضر الديوان أو قرب حضوره داخلنى الخوف واعترانى الفزع ودهمتنى الداهية الكبرى ولحقتنى طربة عظيمة لعدم شئ من الدراهم أورده فى مال السلطان أو لخوفى من العقوبة والحبس فبسبب ذلك (تبطل) أى ترتخى وتسكن ويقل نفعها (مفاصلى) جمع مفصل وهو فرجة يسيرة بين العظمين مستمسكة بالعروق فاذا سكنت تلك العروق وارتخت بطل عملها وقل نفع ذلك العضو وقد ذكر لفظ المفصل فى قول أبى نواس لما احتضر

لم يبق الا نفس هافت ▪ ومقلة انسانها باهت

ومغرم تضرم أحشاؤه * بالنار الا أنه ساكت

ما فيه من عضو ولا مفصل * الا وفيه ألم ثابت

رثاله الشامت مما به ▪ ياويح من يرثى له الشامت

فمن هذا نبه الناظم على هذا الامر الذى حصل له لعجزه عن دفع ما عليه من خراج الارض ولكونه لم يمهله النصرانى ولا يرثى لحاله ولما كان يلزم من حدوث بطلان مفاصله من شدة الخوف والطربة انطلاق البطن كما يقع غالبا لبعض الناس قال (واهر على روحى) أى على ذاتى لا الروح السارية فى الجسم من شدة الطربة وهم (التخويف) أى تخويف جماعة النصرانى أو المشد أو الخوف الذى يصيبنى بمعنى ان الطبيعة تلين من اجل هذا الهم وشدة تلك الطربة الحاصلة فينزل الغائط لينا يشبه هرار الطين بعد أن كان اذا ضربته فى الحائط ردفى وجهك من يبسه فيسيل على ذاتى وثيابى فلا أتمالك دفعه لانه يتدفق بسرعة من شدة الخوف والهم واخذ الهرار والهرار على وزن الجرار واحده الهرة من قولهم هر عليك الحمار أو هرت على لحيتك الكلبة أو هر على ذقنك الكلب مثلا ويقال هر التراب وهر الرمل اذا تراكم على بعضه وسال لنفسه من الاعلى للادنى فانك اذا نظرت الى أكوام الرمل نظرت فيها الهرار بيقين أو هو مشتق من الهرة التى تصيد الفار وتسمى بلغة أهل الحجاز البسة بضم الموحدة وبلغة أهل مصر القطة ومصدره هر يهر هرارا ثم ان الناظم نبه على انه لم يسعه من هذا الامر بعد بطلان مفاصله وانطلاق بطنه من شدة خوفه الا الهروب مما دهمه والاختفاء منه فقال

ص واهرب حدى النسوان والتف بالعبا * ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف

ش قوله و(واهرب) أى أنا لا أحد غيرى (حدى) أصله بالمد والذال المعجمة واستعملت بالدال المهملة جريا على لغة الارياف وقصرها للضرورة وحذاء الشئ أى جانبه أو مقابله وقوله (النسوان) أى عندهن أو محاذى لهن ويجمع على نساء ونسوة مشتق من التانس أو الانس أو المؤانسة لان آدم صلوات الله وسلامه عليه لما رأى حواء أنس بها وسعى لها فمن هذا تجد الرجال تسعى الى النساء وتميل اليهن لانهن غاية المطلوب ورياحين القلوب

قيل مرّ بعضهم بامرأة جميلة فانشد يقول

ان النساء شياطين خلقن لنا * نعوذ بالله من شر الشياطين

فاجابته بقولها

ان النساء رياحين خلقن لكم * وكلكم يشتهي شم الرياحين

(والنسوان) على وزن الجروان والنسوة على وزن القهوة أو العجوة والنساء على وزن الكساء وقد يأتي فيها النساء أيضا والمعنى أني اخشى على نفسي وأخاف مما ذهاني فامضي بسرعة وأنا في هذه الحالة واهرب أي انطلق بسرعة الى النسوان وأختفي بينهن أو اجلس بجانبهن أو مقابل لهن كما في المثل *الهروب نصف الشطارة* وقد هرب عنترة مع قوته وشجاعته وقال أعاير بهذا ولا أقتل فالشخص اذا خاف من ظالم أو أحد يؤذيه وتمكن من الخلاص من بين يديه بالهروب يجوز له ذلك قال الله تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة (ومما نقل من الامثال) جدع قصير انفه وقصير اسم رجل وهو قصير بن سعد اللخمي صاحب جذيمة الابرش الذي اول من اتخذ الشموع وأوقدت بين يديه وكان له أخت جميلة زوجها لعدي أحد ندمائه حال سكره فلما أفاق عدي وهرب أتت منه بولد اسمه عمرو فتربى عند خاله جذيمة الابرش وأحبه حبا شديدا ثم ان جذيمة أغار على أبي الزباء فقتله واستولى على بلاده وهربت الزباء الى القسطنطينية فجيشت جيوشا وعادت له حتى استخلصت منه بلاد أبيها ثم انه أرسل لها يخطبها فأجابته فاستشار خواصه فمنعه قصير وقال هذه مكيدة فلم يقبل وذهب اليها بالاموال والجهاز فأمرت عسكرها بأن يلاقوه ويحيطوا به حتى يفردوه من عسكره ففعلوا فلما رأى قصير ذلك ركب فرس جذيمة الابرش وكانت تسبق الريح فهرب بها فقبضوا جذيمة وادخلوه عليها فكشفت له عانتها وكانت تركتها سنة وقالت له أجهاز عروس ترى فقال بل جهاز أمة بظرا فأمرت الجواري أن يفرشن له نطعا وأجلسوه عليه وفصدوه في جميع عروقه حتى فرغ دمه فمات ثم ان قصيرا سعى في أخذ ثاره بحيلة جدع أنفه واذنيه وذهب اليها مستجيرا من عمرو ابن اخت جذيمة الابرش لانه تولى المملكة بعد خاله فقبلته واحبته وملكته ثم انها أرادت غزو عمرو فقال لها ان عندي من السلاح والاموال شئ كثير فجهزته ليأتيها بذلك فجاء لعمرو وقال له قد أصبت الفرصة وأعطاه ألفي رجل بسيوفهم في صناديق مملوءة ذهبا وسبق قصير فأخبرها بذلك فجلست في محل عال تنظر للجمال باحمالها فلما دخلت الجمال فتح الصناديق وخرجت تلك الابطال بسيوفهم وكان في يدها خاتم مسموم فلحسته وقالت بيدي لا بيد ابن عمرو فصارت مثلا وكان ذلك قبل مبعث عيسى عليه السلام (فان قيل) لاي شئ اختار الناظم الهروب عند النساء دون الرجال مع أن النساء لا يقدرن على دفع الاذى والضرر ولا منع من يؤخذ من بينهن لضعفهن وعدم مقاتلتهن فما حكم ذلك (قلنا الجواب من

وجهين) الاول لما دهمه هذا الامر وأتاه الديوان على حين غفلة وارتخت مفاصله وحصلت له حالة الهزهز على روحه كما تقدم ولم يستطع النهوض ولا المسير الى أحد من الرجال يختفي عنده أو الى محل بعيد عن القرية يتوارى فيه لشدة خوفه وكثرة هزاره على نفسه وضراطه عليها أيضا اذ هو من لوازمه كما سيأتي ورأى هؤلاء النسوة قريبا منه أو من محله فتوارى بينهن * الثاني يفهم منه انه كان ضعيف القلب جبانا لا يقدر على المخاصمة ولا المضاربة ولا على شئ من أمور الرجال وخشي أن يمضي الى أحد من الناس أو من أقاربه فيدل عليه النصراني فيأخذه ويشوش عليه وينتقم منه لان الفلاحين ليس لهم أمان ولا عشرة حسنة مع بعضهم خصوصا الاقارب كما تقدم فكل شئ له من جنسه آفة كما قيل

ولكل شئ آفة من جنسه * حتى الحديد سطى عليه المبرد

وأيضا النساء غير متهمين بهذا الامر فاذا رآهن أحد قد اجتمعن في محل لا يشك ان بينهن رجل الا ان ظهرت له قرائن تدل عليه وربما منعه الحياء منهن عن التفتيش وقد توارى سيدنا حسان رضي الله عنه بالنساء في بعض الغزوات لجبنه وقلة شجاعته كما هو مذكور في السير فاتضح الجواب ثم انه لما كان هروبه عند النساء يحتاج لشئ يواريه من الاعداء ويستر عنه الاعين قال (والتف بالعبا) أي وقت جلوسي بين النساء أو بجانبهن أو قبالهن ألتف في العباء أو أرقد بعد لتي فيها لا طرد عني الوهم بالتفافي بها فان الخائف أي شئ رآه توارى فيه سواء كان عباء أو ثوبا أو شيأ يواريه عن الاعين بل ربما تزى بزي النساء واختفى عن عدوه ونجاه الله تعالى منه (كما اتفق) ان بعض الملوك كان كثير الطلب لرجل من العصاة ليقتله فقيل له هو في القرية الفلانية فأرسل له بعض الامراء بطائفة من العسكر فدخلوا القرية وأحاطوا بها فلما عرف الرجل أنهم يريدوا أخذه للملك تزى بزي النساء وخرج في جمع منهن ينوح ويبكي ويصيح وهن يصحن معه فقال الامير ما بال هؤلاء النسوة سلوهن عن حالهن فأقبل جماعة وسألوهن فقلن مات لنا ميت في القرية الفلانية ونريد التوجه اليه فخلا سبيلهن فذهبن والرجل المطلوب بينهن ولم يعرف الامير حاله الى أن جاوز العسكر ومضا الى حال سبيله ونجاه الله تعالى من ذلك الملك (ومثل هذه الواقعة) ما اتفق لي أني كنت في سفينة مسافرا من بلدي شربين لمصر فلما جاوزنا قرية تسمى مسجد الخضر واذا بغلام جميل الصورة عليه ملبوس حسن في زي خدمة الامراء وهو يصيح على رئيس السفينة خذني ويتذلل له ويتداخل عليه أنه يأخذه وهو في كرب عظيم فامتنع رئيس السفينة من أخذه وخشي أن يكون خلفه احد يفتش عليه أو يأتي في اثره وكان في السفينة ثلاث من النساء وفيهن امرأة كبيرة فقالت يا رئيس غلام مكروب يسألك في أخذه فلم تجب دعوته ولا ترحمه ادخل البر وخذه وأنا أصنع له حيلة تواريه عمن يطلبه واخفيه بين ثيابي ولا يعرفه أحد فسمع الرئيس كلامها وأخذ

الغلام فلما صار فى السفينة أخبر انه كان فى خدمة بعض الامراء وانه استغفله وهرب ولا بد من مجيئه خلفه فقالت له هذه المرأة اقلع ثيابك فقلعها فأخذتها واخفتها فى حوائجها وألبسته لبس النساء وأجلسته بجانبها فبينما نحن فى هذه الحالة واذا بأمير راكب على فرس وهو يركض بها ركضا شديدا وخلفه رجال ومماليك حتى صار قبالة السفينة وقال للريس ادخل البر حتى أفتشك فانه هرب لى غلام فى هذه الساعة ومعه الف دينار سرقها فقالت له المرأة ادخل ولا تخف فدخل البر وصار كل من فى السفينة فى خوف من هذا الحال فطلع الامير وأعوانه وفتش السفينة والمرأة تقول هذا شئ ما رأيناه قط وانما رأينا غلاما يجرى من بعيد الى الجهة الفلانية فمنعه الحياء وعدم الشك فطلع من المركب ولم يظفر بشئ وأما الغلام فانه مكث معنا فى المركب الى أن طلع مصر وذهب الى أهله سالما والناظم لما رأى هذه العباءة اندرج فيها والتف بها واللف هو الاندراج فى الشئ واللف به مرارا ويطلق على الاكل بلغة أهل الريف يقال فلان لف ستردعدس أو متردبيسار يعنى انه أكله ويقال داهية تلفك مثلا فالناظم اندرج فى العباءة المذكورة ليوهم من رآه ان هذه عباءة ملتفة ولا يشك أن داخلها أحدا والعباءة كساء عريض طويل يعمل من الصوف له خطوط مختلفة الالوان يجعلها أهل الريف فراشا فى الصيف وغطاء فى الشتاء فهى مناسبة للفصلين وهى أفخر ما عندهم من الفراش والغطاء وقد ورد لفظ العباء فى قول سيدنا الحسين رضى الله تعالى عنه

نحن أصحاب العبا خمستنا ■ قد ملكنا شرقها والمغربين

والعباءة مشتقة من عب الماء لانها تعبه اذا ألقيت فيه أو من عبوب البحر أيام النيل أو من أبو عبية كنية لبعض الفراريج الصغار يكنيه نساء الارياف بها ومصدرها عب يعب عبا وقوله (ويبق) أى عند هذه الحالة التى أنا فيها وهى انسهال الطبيعة وسيلان الهرار على نفسى من عدم الامن وشدة الخوف وأنا ملفوف فى هذه العباءة ومندرج فيها (ضراطى) أى صوت الريح المتلائم فى بطنى من أكل العدس والبيسار عند خروجه من ضربات الاعضاء ورجفان القلب (شبه) أى يشبه صوت قرع (طبل) وهو جلدة مركبة على خشب أو نحاس تقرع عند المواكب والتحام الحرب له دوى شديد ورعب زائد وكله حلال الا الكوبة وهى طبلة صغيرة محصورة الرقبة وتسمى أيضا بالدرابكة وطبل الرق يستعمله ارباب الملاهى وكذلك الزمر كله حرام الا النفير وقوله (عنيف) أى شديد الضرب يقال فلان عنف فلانا بمعنى انه ضربه أو أدبه والمعنى أن صوت هذا الريح الخارج من بطنه المسمى بالضراط يشبه صوت طبل يضرب به رجل بقوة وشدة فالصفة راجعة للضارب لا لنفس المضروب أو ان مراده بالطبل العنيف الكبير مثل النقارة ونحوها لكونه لا يعرف غيرها والحاصل من هذه العبارة أن الضراط فيها على اربعة اقسام (الاول) ضراط يخرج رقيقا ضعيف الصوت

ممتدا بصوت ضعيف (الثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة ثم يخرج ريحا من غير صوت (الثالث) ضراط يخرج ممتزجا بالغائط وصوته يشبه صوت قلة الماء عند امتلائها (الرابع) ضراط يخرج بعنف وله صوت عال يفزع القلوب وهو الذى نبه عليه الناظم وصرح به ولكل قسم من هذه الاقسام الاربعة سبب يتولد منه فالاول سببه ارياح لطيفة تتولد فى بطن الانسان فتخرج على حسب حالها وضعفها من بين الاليين بصوت رقيق بحسب لطفها ورقتها للطف المآكل قال الشاعر

خرج الضراط من الحبيب برقة ■ ولطافة لوجود لطف المأكل

وهذا ينشأ من أصحاب الاجسام اللطيفة وارباب المآكل الخفيفة (والثانى) ضراط يجول فى البطن بقرقرة وربما وقف فى وسطها فلا يتحرك حتى يكاد يهلك صاحبه ثم ينتقل الى اركان البطن بقوة انتفاخ وعلو قرقرة فيتولد منه الضرر وهذا يسمى عند الاطباء ضراطا لا ينضج وسببه من المآكل الغليظة واذا انضج اسرع فى الخروج وقبل نضاجه اذا خرج منه شئ يكون فساء وفى هذه الحالة يكون خروج الضراط نادرا قال الشاعر

يخلط فى المأكول طول نهاره * وفى الليل تلقى بطنه يتقرقر

(كما اتفق) ان رجلا أتى الى طبيب فقال له أحس فى بطنى معمعة وقرقرة فقال له أما المعمعة فلا اعرفها وأما القرقرة فضراط لا ينضج فاذا كان الريح يجول فى البطن من غير قرقرة مع شدة وجع يقال له مغص يعالج بأكل شئ من الشيح أو الصعتر المغلى بالسكر فطورا وربما مكث يوما كاملا أو ليلة كاملة (كما اتفق) لابن الراوندى عفا الله عنه انه اصابه هذا المغص ليلة كاملة فبات يسأل الله تعالى أن يفرج عنه بفسوة تخرج منه فلم يتيسر له ذلك فخرج من الصباح يتوكأ على عصاة له فسمع رجلا يقول اللهم ارزقنى ألف دينار فقال له يا سقيع الذقن أنا طول ليلى أطلب منه فسوة فلم يعطها الى أيعطيك ألف دينار وتركه ومضى ولهذا يقال مغصة قليلة الفسا (قال المسعودى فى مروج الذهب) فى ذكر جمل من الاخبار عن البحار وما فيها وما حولها من العجائب والامم ونعود الى مراتب الملوك ونسوق ما بقى من الممالك على البحر الحبشى الذى شرعنا فى وصف من عليه الى أن قال فى آخر ذلك وقد ذكر عن جماعة من ملوكهم أنهم لا يرون حبس الريح فى أجوافهم لانه داء يؤذى ولا يحتشمون من اظهاره فى سائر احوالهم وكذلك قال حكماؤهم ان حبسه داء يؤذى وان ارساله شفاء ينجى وان فى ذلك العلاج الاكبر وان فيه راحة لصاحب القولنج والمحصور وان فيه داء للسقيم المطحول ولا يحتشمون الضرطة ولا يحصرون الفسوة ولا يرون ذلك عيبا (وذكر هذا الخبر) عن الهند أن السعال عندهم اقبح من الضراط وأن الجشا على وزن الفسا أقبح منه (واستشهد هذا الخبر) على صحة ما حكاه عن الهند باشتهار القول فى ذلك بين كثير من الناس حتى ذكر ذلك

منهم في السير والاخبار والنوادر والاشعار فمن ذلك قوله

قد قال ذو العلم الفصيح الهندى ■ مقـــالة ينتج منها قصدى
لا تحبس الضرطة مهما حضرت ■ وخلها وافتح لها ما استفتحت
فان أدء الداء فى امسـاكها ■ والروح والراحة فى اخراجها
والقبح فى السـعال والمخاط * والسوء فى الفساء لا الضراط
أما الجشاء ففساء صاعد * وتنه عن الفسـاء زائد

(وان الريح) واحدة في الجوف وانما تختلف اسماؤها باختلاف مخارجها فما يذهب الصعداء يسمى جشاء وما يذهب الى أسفل يسمى فساء ولا فرق بين الريحين الا باختلاف المخرجين كما يقال الصفعة فى مؤخر الرأس والقفا واحدة وانما اختلفت اسماؤها لاختلاف الموضعين وتباين المكانين وان الحيوان الناطق انما كثرت علله وتعددت امراضه كالقولنج وأوجاع المعدة وغير هذه العوارض بحبس الريح فى جوفه وتركه اظهاره فى حال هيجانه وتفرق الطبيعة لدفعه واخراجه وان سائر الحيوان غير الناطق انما سلم مما ذكرنا من الامراض والمعترضات من العاهات لسرعة خروج ما يعرض من الادواء فى اجوافها وعدم احتباسها وان الفلاسفة والمتقدمين والحكماء اليونانيين كدمقراطيس وفيثاغورث وبقراط وجاليانوس وغيرهم من حكماء الامم لم يكونوا يروا حبس شئ من ذلك لعلمهم بما يتولد من آفاته وان ذلك يعلم بالطبيعة ويدرك بضرورة العقل وانما استقبح ذلك أناس من اصحاب الشرائع ومنعت منه الملوك ولم يجز ذلك فى عاداتهم (وقال المسعودى) فى مروج الذهب كان المعتصم يأنس بعلى بن الجنيد الاسكافى وكان عجيب الصورة لطيف الحديث فيه سلاسة أهل السواد فقال المعتصم لمحمد بن حماد اذهب بالغداة الى على بن الجنيد فقل له يتهيأ حتى يزاملنى فأتاه فقال ان أمير المؤمنين يامرك أن تزامله فتهيأ لشرط مزاملة الخلفاء فقال على بن الجنيد وكيف أتهيأ أهيئ رأسا غير رأسى أم أشترى لحية غير لحيتى أم أزيد فى قامتى أما متهيئ قال لست تدرى بعد ما شرطوا لمزاملة الخلفاء ومعادلتهم فقال على بن الجنيد وما هى هات ما عندك يا من تدرى قال له ابن حماد وكان اديبا ظريفا شرط المزاملة المؤانسة بالحديث والمذاكرة والمناقلة وأن لا تبصق ولا تمخط ولا تسعل ولا تتنحنح وان لا تتقدم الرئيس فى الركوب اشفاقا عليه من الميل وان تتقدمه فى النزول فمتى لم يفعل المزامل هذا كان كالمثقلة الرصاص التى تعدل بها القبة وأن لا ينام وان نام الرئيس بل يأخذ نفسه بالتيقظ ومراعاة حال من هو معه وما هو راكبه لانهما اذا ناما جميعا فما حال من لا يشعر بمثله فلما اكثر عليه من هذه الشروط قطع عليه كلامه وقال كما يقول أهل السواد آه واحرّاه اذهب له فقل له ما زاملك الا من أمه زانية فرجع ابن حماد وقال للمعتصم ما قال فضحك المعتصم وقال جئنى به فجاءه فقال

يا على

يا على أبعث اليك تزاملنى ولا تفعل فقال ان رسولك هذا الازعر جاءنى بشروط حساب الشاشى فقال لا تبصق ولا تفعل كذا وكذا وجعل يمطط فى كلامه ويفرقع فى حكاياته ويشير بيديه ولا تسعل ولا تعطس ولا ولا وهذا لا يتم لى ولا أقدر عليه فان رضيت أن ازاملك فاذا جاءنى الفسا فسوت عليك وضرطت أيضا واذا اباءك أنت فافس أو ضرط علىّ والا ليس بينى وبينك عمل فضحك المعتصم وذهب به الضحك كل مذهب وقال نعم زاملنى على هذه الشروط قال نعم حبا وكرامة فزامله على على بغل فسارا ساعة وتوسطوا البر فقال على يا أمير المؤمنين حضر ذلك المشروط فما ترى قال ذلك اليك اذا شئت قال فحضر ابن حماد فأمر المعتصم باحضاره فلما حضر قال له على اقبل حتى أسارك فلما قرب منه فسا وناوله فم كمه فقال ادخل رأسك فى كمى فانظر ما هو فادخل رأسه فشم رائحة الكنيف فقال لم أر شيأ ولكنى لو أعلم ان جوف ثيابك كنيف ما قربت منك والمعتصم قد غطى فمه بكمه وقد ذهب به الضحك كل مذهب ثم جعل يفسو فساء متصلا وقال لابن حماد قلت لى لا تسعل ولا تبصق ولا تمخط فلم أفعل ولكنى اخراء عليك قال فاتصل فساؤه بالمعتصم فصار يخرج رأسه من العمارية ثم قال للمعتصم قد صحبت قدرا فيه خراء فقال المعتصم وقد رفع صوته حين كثر عليه الضحك ويلك يا غلام الساعة أموت من الضحك ثم انه اجازه بجائزة سنية (والثالث) ضراط يخرج ممتزجا مع الغائط وسببه أن الارياح عند خروج الخارج تمتزج به وتتلايم معه وتخرج هى واياه عند قضاء الحاجة خصوصا مع لين الطبيعة فيظهر منها أصوات متقطعة غير ممتدة كقعقعة قلة الماء عند امتلائها وهذا يحصل مع نفخ البطن ولين الطبيعة من تناول المآكل المهضمة وكثرة نزولها بسرعة قال الشاعر

اذا ما خلا الانسان فى بيت غائط * فلاحت بلا شك تسار يح نفحته
فمن كان ذا عقل فيسترضا رضا ■ ومن كان ذا جهل ففى وسط لحيته

وقد يخرج الضراط له صوت رقيق يشبه صوت دندنة المردن ورنته وقت غزل النساء به وقد خرج من بعض الشعراء فلاموه فقال

ذى بنت بطنى خرجت تعيط ■ تدندن كالمردن فى برمنه
ومن يقل لى اكتم ضراطك * أجعل خراى على لحيته

فجعل البطن مثل الام وجعل الضرطة فيها مثل البنت التى فارقت امها وصارت تعيط وتدندن كالمردن لمفارقتها اياها فمن هذا يعلم انه معذور ومن لم يعذره يكون جاهلا بحاله ويكون خراه فى لحيته (ويحكى) انه دخل أبو الاسود على معاوية فضرط بين يديه فضحك معاوية فقال يا أمير المؤمنين لا تخبر بها أحدا فلما خرج من عنده دخل عمرو بن العاص فاخبره معاوية بما كان من أبى الاسود فلما رآه عمرو قال له يا أبا الاسود ضرطت بين يدى أمير المؤمنين فلما دخل على معاوية قال له ألم أسألك أن لا تخبر بها أحدا فقال

معاوية ماعلم بها أحد غير عمرو فقال اياه الذى كنت أحذر ولكن أنت لا تصلح للخلافة قال كيف فقال اذا لم تكن لك أمانة على ضرطة فكيف تؤمن على دماء المسلمين وأموالهم فضحك معاوية ووصله وقد يأتى الضراط على حين غفلة عند حمل شئ ثقيل أو وثبة فاحشة أو تحرك للقيام بشدة ولكن لا يمتد له صوت مثل غيره وهذا أخف ضررا مما سبق (كما اتفق) ان اعرابيا ضرط على حين غفلة فلاموه فانشد يقول

ضرطت فما أحدثت فى الناس بدعة * ولم يأت استى منكرا فأتوب
اذا كانت الاستات تضرط كلها * فليس على فى الضراط رقيب

(وأتى) رجلان الى قاض فتقدم أحدهما فتظلم من صاحبه وشكى قصته فبينما هو يتكلم اذ ضرط فالتفت الى استه وقال لها اما أن أتكلم انا أو أنت (وحكى نفطويه) عن حكيم بن عياش الكلبى أنه اجتمع عند عبد الملك وفود الناس من قريش والعرب فبينما هو فى المجلس اذ دخل عليهم اعرابى وكان عبد الملك يعجب به فسر عبد الملك وقال هذا يوم مسرور وأجلسه الى جانبه ودعى بقوس رماعنها واعطاها من على يمينه فرماعنها حتى اذا صارت الى الاعرابى فلما نزع فيها بقوة ضرط الاعرابى فرمابها مستحيا فقال عبد الملك دهينا فى الاعرابى وكنا نطمع فى أنسه وانى لأعلم انه لا يسكن ما به الا الطعام فدعا بالمائدة وقال تقدم يا أعرابى لتضرط وانما اراد لتأكل فقال له الاعرابى قد فعلت انا لله وانا اليه راجعون لقد امتحنا هذا اليوم والله لأجعلنها مذكرة يا غلام ائتنى بعشرة آلاف درهم فجاء بها فاعطاها للاعرابى فلما صارت له تسلا وانبسط ونسى ما صدر منه فانشد حكيم بن عياش الكلبى يقول

ويضرط ضارط من عبد قيس * فيحبوه الامير بها بدورا
فيالك ضرطة جرت كثيرا * ويالك ضرطة اغنت فقيرا
يود القوم لو ضرطوا جميعا * وكان حباؤهم منها عشيرا
أيقبل ضارط ألفا بألف * فأضرط اصلح الله الاميرا

قال فتبسم عبد الله واجاز حكيم بن عياش عنها (وقيل) أقبل الصغيرى على مجلس بعض الامراء واراد أن يتكلم فضرط فولى خجلا فانشد بعض من سمعه يقول

قل للصغيرى اذ ولى على عجل * من ضرطة أشبهت نايا على عود
فانما هى ريح لست تملكها * اذ أنت لست سليمان بن داود

(وهذا) كله من باب الحلم والتستر وابداء العذر عن الجالس فى الحضرة اذا ضرط فيها قهرا عليه لما يعتريه من الخجل والضحك عليه ممن لا يعذره ولهذا يلغز فى الضرطة ويقال

ومولودة لم تعرف الطمث أمها * وليس لهـــــا روح ولا تتحرك
تقهقه منها القوم من غير نظرة * وصاحبها من عارها ليس يضحك

وأما اذا كان الضراط باختيار الشخص لا لعلة ولا لمرض فانه يكون من القباحة

وسوء الادب والازدراء بالجالس فى الحضرة فلا يليق بالضارط فيها أن يفعل ذلك ولو أراد به المزح مثلا (وذكر) فى كتاب نزهة الابصار فى اخبار ملوك الامصار أنه خرج الرشيد الى الصيد وانفرد من عسكره والفضل بن الربيع معه راكب خلفه فاذا هو بشيخ راكب على حمار فنظر اليه فاذا هو رطب العينين فغمز الفضل عليه فقال له الفضل أين تريد أيها الشيخ قال حائطا لى فقال هل لك أن أدلك على شئ تداوى به عينيك فتذهب هذه الرطوبة فقال ما أحوجنى الى ذلك فقال له الفضل خذ عيدان الهوى وغبار الماء وورق الكمأة فصره فى قشر جوزة واكتحل به فانه يذهب رطوبة عينيك فاتكأ الشيخ على قربوس سرجه وضرط ضرطة طويلة مزعجة ثم قال هذه اجرة وصفك وان نفعنا الكحل زدناك فضحك الرشيد حتى كاد أن يسقط عن دابته (ويحكى) أن مر هارون الرشيد وجعفر مرة ببغداد فوجدا رمالا بعينيه احمرار فقال الرشيد لجعفر ما هذا يا جعفر قال هذا رمال فقال لابد من اختباره فتوجه اليه جعفر فقال ما صنعتك فقال ما ترى من الاصطلابات والادوية فقال لم لا تداوى عينيك قال داويتها فلم يفد فقال أصف لك دواء ينفعك فقال قل قال خذ ثلاثة أواق من عروق الهواء وثلاثة أواق من منزوع الماء ودقهما فى هون من الثلج واكتحل بها فقال ذلك الرمال مامر آنفا ثم أتى اليه الخليفة وقال له ماذا تصنع فقال ما ترى فقال بى أمراض اخبرك بها فقال له قل قال بشعر ذقنى مغص وما آكله من الطيبات ينزله من أسفل خبيثا وبباطنى ظلمة فقال اما ما بلحيتك من المغص فعليك بالموسى واما ما تاكله من الطيبات فينزل خبيثا فكله خبيثا ينزل خبيثا وأما ما تراه من الظلمة بباطنك فعلق على باب صرمك قنديلا لاجل ما ينور على استك وبطنك (وقد شاهدنا فى بلاد الارياف) أن الشخص اذا ضرط فى مجلس على حين غفلة يحصل له منهم غاية الاذية والضرر ويلزمونه بطعام يفعله لهم وربما جعلوا له علامة فى الحائط التى يجلس بجانبها من جص او جير حتى يراها كل احد ويعرف انه ضرط بهذا المكان وربما خرج من القرية بهذا السبب من كثرة ما يلومونه على ما فعل وكل هذا من كثافة طباعهم وسوء أخلاقهم وقلة معذرتهم للضارط وعدم تسترهم عليه فعلى كل حال ان الضارط من غير اختيار معذور وخصوصا اذا كان كتم الريح يشوش عليه وكان فى مجلس فلا بأس بضراطه فيه وينبغى مسامحته لهذه الغلة (ورأيت فى بعض الكتب) ان سبب ما لقب حاتم نفعنا الله به بالاصم أن امرأة جاءت اليه تسأله عن حاجة فلما تكلمت خرج منها ريح بصوت فخجلت وسكتت فقال لها حاتم اعلى صوتك بالكلام فانى رجل أصم وكان كلامه لها من باب التستر عليها ففرحت المرأة وظنت انه لم يسمع منها الضراط فاشتهر بذلك رضى الله عنه (واتفق لى) انى كنت اهوى غلاما جميل الذات * لطيف الصفات * فصيح اللسان * رطب البنان * بديع الجمال * رخيم الدلال *

وانا مشغوف بجماله * وراغب فى وصاله * وكنت اترقب ان اخلو به ساعة من الزمان * وان يجمعنى السعد واياه فى مكان * الى ان صدفته فى روضة بالمشموم عابقه * ونخيلها باسقه * وطيورها بالتغريد ناطقه * يرفل فى ثياب العز والامداد * وكل صدفة خير من ميعاد * فبادرته بالسلام * وابديت له الغرام * وسألته الجلوس فأجاب * وما احلا اجتماع الاحباب * فلما استقر بنا الجلوس * وأردت أن أتملا بقده المأنوس * بين هاتيك الرياض الزاهره * والروايح العاطره * واحظى بحديثه العذب الرائق * ونطقه الشهى الفائق * اذ أقبل علينا جماعة من ارباب الذوات الكثيفه * والطباع العنيفه * وجلسوا من غير طلب * وخاضوا فى الحديث من غير ادب * فخجل الغلام منهم وأطرق * واعتراه الوهم والحنق * واراد ان يتحرك للنفار * فخرج منه صوت من غير اختيار * فضحكوا عليه وقاموا منصرفين * وعليه بالقول لاعنين * فنظر الى بطرف كحيل * ووجه جميل * وقال ماتقول فى لوم هؤلاء الارذال * فانشدت أقول بارتجال

لاموا الحبيب وما دروا * قصد الحبيب بما فعل
لما ازدرا جلاسه * ورأى بهم ذاك الثقل
ورأى التفوه معهمو * بلطيف لفظ كالعسل
فيه الخسارة اذ همو * اهل الكثافة والملل
ناداهم من استه * بلطيف صوت قد حصل
كما يناسب حالهم * ومقامهم ذاك الاقل
فتفرقوا عن مجلس * حاوى الغزال مع الغزل
ياحبذا من ضرطة * فيها ذهاب للعلل
رقت وراق محلها * من العواذل والعزل
والحمد لله على * ذهابهم قد رحل
فاضرط وغنى وانبسط * واشطح وطب ياذا البطل
فى روضة يا حسنها * بها السرور قد وصل
فكلما ترضا به * فالعبد عنه ماعدل
لكن بحق المصطفى * غيرى فلا تأخذ بدل

فتبسم عن ثغر كأنه عقود الجمان * ومال على بقد كأنه غصن البان * وقال لا وحق من فلق الحبه * وغرس فى فؤادك شجر المحبه * لا أكون فى عينى خائن * ولم يدخل بيننا مدا الدهر ثالث * ولم أزل أنا واياه على هذا الحال * حتى لحق بذى الجلال * (ومن اللطائف) أن السلطان قانصوه الغورى مر يوما فى شوارع مصر مختفيا هو والوزير فسمع رجلا من ارباب الدخول يقول لآخر مثله تفتخر على يافلان وأنا اقدر اصور النغمات من طيزى فقال الملك لوزيره على بهذا الرجل فأحضره بين يديه فاخبره

الملك

الملك بما سمع منه وقال له ليس الخبر كالعيان لابد من فعل ما التزمت به فقال له تعفونى ياملك فان الرجل فى المخاصمة يقول ماشاء قال لابد من صدق مقالتك والا قتلتك فقال تعطينى الامان قال لك ذلك فقال يكون فى محل خال قال نعم فتحول الملك الى قاعة الجلوس واحضره وطاب معه فى الكلام وقال له افعل مابدا لك وكان السلطان الغورى له دراية بهذا الفن وألف فيه بعض رسائل فقال له أى نغمة تريد فقال الحجاز مثلا فحرك أليته وصنعها ولم يزل يفعل نغمة بعد اخرى حتى أتى على جميع النغمات وشهزاتها ولم يترك شيأ يلام عليه فتعجب منه الملك وقال له مثلك لا يكون الا رئيس مصر فى هذا الفن ثم انه أجازه بألف دينار وجعله رئيسا على أرباب الدخول كلهم ويقال انه جد أولاد العتر المشهورين الآن (ومما حكى) انه حضر بعض الخياطين عند بعض الامراء ليفصل له قباء فأخذ يفصل والامير ينظر فلم يتهيأ له أن يسرق شيأ فضرط الخياط فضحك الامير حتى استلقى على قفاه فسرق الخياط من الثوب ما أراد فجلس الامير وقال ياخياط ضرطة اخرى فقال الخياط لا لئلا يضيق القباء (وقد) اجتمعت برجل يقال له ماضى الضراط كان على غاية من الدين والورع واللطافة والدخول وكان يحفظ القرآن حفظا جيدا وكان ضراطه مصنوعا يفعله بابطه وكان يفعل به أى نغمة كانت ويعمل منه أشغالا ونحو ذلك فكان بهذه المثابة أعجوبة لكل من رآه وسمعه يضحك الجماد وكان مشهورا عند الامراء مقبولا عند العظماء عفا الله عنه (فائدة فشروية) سمعتها من بعض أهل الخلاعة وهو ان ابليس لعنه الله يضرط فى كل يوم خمس ضرطات يفرقها على خمسة انفار أولهم من يركب زوجته ويزورها أضرحة الاولياء والمقابر * والثانى من رآى اثنين يتساترا وأدخل نفسه بينهما وهذا يسمى عويل المصاحبة * والثالث من رآى اثنين يتضاربا وأدخل نفسه بينهما فيقع غالب الضرب عليه كما فى المثل * ماينوب المخلص الا تقطيع الثياب * والرابع من يمشى فى الطريق ويلتفت من غير حاجة * والخامس محبوس الزوجة وقس على امثالهم (ويحكى) أنه كان لفتى من قريش جارية فى أيام ثروته فعلمها كل الفنون حتى صارت بارعة أهل زمانها فقعد به الدهر فباعها الى الحجاج بالكوفة فوقعت منه بمنزلة عظيمة فقدم عليه فتى من اولاد عمه من ثقيف فانزله بمنزله فدخل عليه ذات يوم والجارية تكبسه وكان الفتى جميلا فجعلت الجارية تسارقه النظر ففطن الحجاج لها فعلم أنها شغفت به فوهبها له فأخذها وودعاه وانصرف فباتت معه ليلتها وهربت وصار لايدرى الى أين ذهبت وبلغ الخبر الحجاج فنادى برئت الذمة ممن رأى وصيفة صفتها كذا وكذا فلم يلبث قليلا حتى أوتى بها فقال لها الحجاج ياعدوة الله كنت عندى من احب الناس فاخترت ابن عمى شابا حسن الوجه بعد مارأيتك تسارقيه النظر فعلمت أنك شغفت به حبا فوهبتك له فهربت من ليلتك فقالت ياسيدى اسمع قصتى ثم اصنع ما أنت صانع فقال تكلم

فقالت كنت للفتى القرشى فقعد به الدهر فأتى بى الى الكوفة قاصدا اليك لتشترينى حتى اذا قربنا منها دنى منى فواقعنى فسمع هدير الاسد فوثب قائما وأتى الاسد وقتله ثم أتى الىّ ومابرد ماعنده من الانعاظ وقضى حاجته وان ابن عمك هذا لما قام الىّ واوقعنى سقطت فأرة من السقف فضرط وغشى عليه فرشيت عليه الماء وهو لا يفيق تخفت موته فتتهمنى فهربت خوفا منك فما ملك الحجاج نفسه من الضحك وقال ويحك اكتمى هذا ولا تعلمى به أحدا فقالت على أن لا تهبنى اليه ثانيا (فان قيل) ان الضراط صوت وقد عرّفوا الصوت بأنه هوى منضغط بين قالع ومقلوع أو قارع ومقروع وليس هنا قارع ولا مقروع انما هو يخرج من الاست عند انفتاح الاليين وتحرّكهما فما الحكم (قلنا الجواب) أيقال ان هذا لا يأتى الا على التعريف الثانى وهو ان الصوت هواء يتموج بتصادم جسمين فاتضح الجواب (فان قيل) ان فى قول الناظم ويبقى ضراطى شبه طبل عنيف اشكال من حيث انه اذا كان ضراطه يشبه صوت الطبل الشديد يكون كل من سمعه أقبل عليه وعرفه وظهر حاله واستدل بهذه الحالة عليه النصرانى وغيره فلا فائدة فى اختفائه بين النساء ولا فى اندراجه فى العباءة فما الحكم (قلنا الجواب) أن الناظم ماذكر حصول الضراط له بهذه الصفة الابعد لفه فى العباءة فهو وان كان قويا وله صوت عال فلعوة اندراجه فى العباءة لا يسمع منه شئ والمعنى أنه لو كان خاليا عن اندراجه ولفه فى العباءة لسمع منه الضراط كصوت الطبل وهذا مثل رجل محبوس فى جب عميق مثلا ومعه طبل يقرعه فلا يسمع منه الا القليل وان كان ضربه شديدا فيكون سماعه قاصرا على نفسه أو على من يكون واقفا على باب الجب أو قريبا منه فالعباءة حكم الجب وهى أضيق لاندراجها ولفها عليه ولو كان الضراط فيها قويا لا يظهر حسه من الخارج الا ضعيفا أو أنه من باب الغلو فى الشئ كما قال الصفى الحلى فى بديعيته

عزيز جار لو الليل استجار به ■ من الصباح لعاش الناس فى الظلم

أو يقال ان هذا الضراط وان سمع منه بالصفة التى ذكرها لا يتوهم انه رجل مختف بل ربما يظن انه رجل أو امرأة يقضى حاجة فلا يكون فيه مظنة للتهمة فعلى كل حال لا اشكال فى كلامه فاتضح الجواب (قلت) ولم أر من صرّح بهذه العبارة وجعل الضراط فيها على هذه الاقسام وعرّفه بهذه التعاريف غيرى * ثم ان الناظم نبه على ان عمره قد انقضى وزمانه قد مضى فيما لا طائل تحته ولا فائدة فيه لشدة فقره وقلة كسبه فقال

ص ويادوب عمرى فى الخراج وهمه * تقضى ولالى فى الحصاد سعيف

ش قوله (ويادوب) الواو عاطفة بحسب ماقبلها والياء للنداء ودوب هذه لفظة لها اشتقاقات قشروية ومعانى مختلفة ■ فاما أن تكون مشتقة من دأب الانسان وهو شأنه وحاله الذى هو مهتم به والمعنى انكم اعلموا يا اخوانى أن دأبى طول عمرى مع

ماحصل

ماحصل لى من الهموم سابقا فى حساب وفكر وتعب شديد مما على من الخراج وما ينشأ من همه أى خراج الارض وهو المال المكتتب على تحت زرع الارض وما يخرج منها فى كل عام فلا يفى بما على من المال لزيادته وقلة الزرع ولضعفى وشدة فقرى وقلة من يسعفنى فى الزرع والقلع فلهذا تقضى عمرى وأنا فى هذا الحال الى آخره ■ أو أنه من الدب ليلا على الولد الامرد اذا رقد بين جماعة ولم يتمكن منه الفاسق فيصبر عليه حتى ينام ويدب عليه على حين غفلة فما يشعر الا والاير قد دخل غالبه او كله فيخشع خوف أحد يتحرك أو خشية الفتنة حتى يقضى الفاسق مراده وربما عاتبه الامرد عتابا لطيفا أو شتمه شتما خفيا فيقول له قدر الله وأنا عبدك مثلا وانى هلكت فى حبك الى أن تقضى القضية على أحسن حال قال بعضهم مواليا

دبيت ليلا على من للملاحه حاز ■ بقيت راكب على ظهر وشبه الباز
لما انتبه من منامو قال من داقاز ■ بوصلنا قلت أعمى جس بالعكاز

وما ألطف قول بعضهم

وما حرّ قلبى باجفانه ■ رشا مادرى قدر ما قدرما
وأضرم نار الاسا فى الحشا ■ ولم يشتك ضرّ ماضرما
وسلم قلبى الى خده * فيا ليته سلّ ماسلما
وقد كان قدّم احسانه ■ ولكنه قد ما قدما
وقد هد بنيان صبرى به ■ وما واحد هدّ ماهدّما
وحرّم ماحل من وصله ■ وفى مهجتى حرّ ماحرّما
وقد عزمن أحب الوفا * وما أحد عزّ ماعزما
عجبت لفيض دمعى به ■ اذا ماجرى أوهما أوهما
فسلمت أمرى به للقضا ■ وحزت به أجر ما أجرما
وقد رقم الحسن فى خده ■ فلله رق مارقما

(وقال آخر)

شكوت الى الحبيب أنين قلبى ■ اذا جنّ الظلام فقال آنا
فقلت له أظنك غير راض ■ بما كابدت فيه فقال انا
فقلت له أترضى أنّ قلبى ■ بأثقال الغرام فقال انا
فقلت له أتحكم مثل هذا ■ على أهل الغرام فقال انا

(اعلم) انّ الاولى فعل أمر من الانين والثانية بمعنى نعم والثالثة مركبة من ان الشرطية واما فعل ماض والرابعة انّ واسمها

(وقال اخر)

جل الذى أطلع شمس الضحى * مشرقة فى جنح ليل بهيم
وقدر الخال على خده * ذلك تقدير العزيز العليم
بدر ظننا وجهه جنة * فمسنا منه عذاب أليم
ينفر كالريم ألا فانظروا * الى بخيل وهو عندى كريم
لما انحنى حاجبه وانثنى * يهز للعشاق قدا قويم
عجبت من فرط دلال وقد * بدا لى المعوج والمستقيم
داوى حنينى يا طبيب الهوى * وخلنى انى بحالى عليم
لخصره واه وأردافه * ثقيلة واللحظ منه سقيم

(وقال آخر)

صيرنى فى كل واد أهيم * من حظ قلبى منه هاء وميم
فتى يشبه ريم الفلا * يا طول شوقى من بخيل كريم
لم انس من وحشته ليلة * خلتنى أرعادجاها البهيم
نظرة حبى بها نظرة * فقال جسمى انى سقيم
شوقا لمن لست على حبه * بصابر لكن قلبى كليم
لا أسمع اللوم على حبه * أعوذ بالله السميع العليم
فى شرعه وحكم الهوى * دمع نزوح وعذاب مقيم
وثابت الود لديغ الحشا * يأتى الى بقلب سليم
يا روضة تجنى بالحافظه * فيجتنى حلوا الرضاب النعيم
كن كيف شئت وعن مهجتى * فلا تسأل عن اصحاب الجحيم

(والمعنى) انى أكون على حين غفلة فيدب على هم الخراج وتعبه والحساب فيه فيمنعنى الراحة فى معاشى والسرور فى أوقاتى وهكذا طول زمانى كما يدب الفاسق على الامرد فما يشعر الا وقد على فوق ظهره ونال مقصوده كما تقدم * أو أنه من دبيب سم العقرب يعنى ان الحساب فى هذا الامر فى الليل والنهار تولد منه غم يسرى على القلب ويدب فيه دبيب سم العقرب فى سائر الجسد * أو انه مشتق من الدب بضم الدال وهو حيوان غليظ الجسم غزير الشعر بليد الطبع ليس فى الحيوان أبلد طبعا منه الا ان عنده قوة ادراك عن غيره كما فى المثل (بلادة الدب غلبت فطانة القرد) وعجيب منه انه اذا رأى جماعة يريدون صيده يلصق شعره على صمغ الشجر فيمتزج الصمغ بشعره ثم يتمرغ على الرمل حتى يصير شعره يابسا كالحجر فلا يؤثر فيه ضرب النشاب ولا غيره ويكون وقاية له ففى التبلد فى الامور ضرب من الراحة واختبار للعقول قال الشاعر

تبالد تزن عقل الانام وتظهروا * اليك امورا لست منها بخابر

والمعنى ان كثرة الهم من حساب المال وهم الخراج صيرتنى فى حالة تشبه بلادة الدب

وعدم حركته فى السعى لعدم المكاسب وقلة البركة فى الزرع وشدة الفقر وتواتر الطلب على فى كل ساعة فأنا محروم من لذات الدنيا ولم يفدنى ما أنا فيه شئ قال بعضهم

اصبحت لا شغل ولا عطلة * مزيدنا من صفقة خاسره
وحاصل الامر وغاياته * أنى لا دنيا ولا آخره !!

فلا أرى فى الزرع بركة فى ابتدائه لقلة التقاوى وضعفى عن اصلاح الارض لان الارض لا يقوم بزرعها الا الفلاح القوى المتيسر خصوصا لما زاد عليها الآن من المظالم وزيادة الخراج والعوائد المكتتبة على الفلاحين والمغارم فالزرع وان ورد أن فيه تسعة اعشار البركة لا يفى بهذا المقدار من كثرة الظلم وأما فى الزمن المتقدم فلم يكن عليه عوائد ولا كلف ولا مغارم ولا شئ مما هو موجود الآن بل كان الشخص يزرع الارض وكان خراجها شيأ يسيرا ولا يعرف وجبة ولا غرامة ولا شيأ من ذلك قط وكانت البركة حاصلة بزيادة والارض كلها عامرة بالزرع والناس فى غاية الخير وسعة الرزق والكسب (ومما روى) أنه اعترض رجل المأمون فقال أنا رجل من العرب فقال له ليس بعجيب فقال اريد الحج فقال الطريق أمامك قال ليس لى نفقة قال قد سقط عنك الفرض قال قد جئتك مستجدا لا مستفتيا فضحك وبره بجائزة (ومن النوادر) أن الاصمعى مر بحى من احياء العرب فوجد صبيا يلعب مع الصبيان فى الصحراء ويتكلم بالفصاحة فقال له الاصمعى أين أباك فنظر الصبى اليه شذرا ولم يجبه فقال له أين أبيك فلم يجبه فقال له أين أبوك فقال له فاء الى الفيفاء لطلب الفئ فاذا فاء الفئ فاء (ولما دخل المامون مصر) وسار فى قراها كان يبنى له فى كل قرية تكية يضرب عليها سرادقه والعساكر من حوله وكان يقيم فى كل قرية يوما وليلة فمر بقرية يقال لها طا النمل فلم يدخلها لحقارتها فلما جاوزها خرجت اليه امرأة عجوز تعرف بمارية القبطية صاحبة القرية وهى تصيح فظنها المأمون مستغيثة متظلمة فوقف لها وبين يديه التراجمة من كل جنس فذكروا له أن القبطية قالت أمير المؤمنين نزل فى كل ضيعة وترك ضيعتى ولم ينزل بها والقبط تعايرنى بذلك وانا أسأل امير المؤمنين ان يشرفنى بحلوله فى ضيعتى ليكون لى الشرف ولعقبى ولا يشمت الاعداء بى وبكت بكاء كثيرا فرق لها المامون وثنا عنان فرسه اليها ونزل فجاء ولدها الى صاحب المطبخ وقال له كم تحتاج من الغنم والدجاج والفراخ والسمك والتوابل والسكر والعسل والطيب والشمع والفواكه والعلوفة وغير ذلك مما جرت به العادة قال كذا وكذا فاحضرت اليه جميع ما ذكر وزيادة وكان مع المأمون اخوه المعتصم وولده العباس واولاد اخيه الواثق والمتوكل ويحيى بن اكثم والقاضى داود فاحضرت لكل واحد منهم ما يخصه على انفراده ثم احضرت هى للمامون من فاخر الطعام ولذيذه شيأ كثيرا حتى انه تعجب من ذلك فلما أصبح وقد عزم على الرحيل حضرت اليه ومعها عشرة وصايف مع كل وصيفة طبق مغطى فلما عاين المامون ذلك ورآها

قال قد جاءتكم القبطية بهدية الريف فلما وضعت ذلك بين يديه وكشفت الاطباق فاذا هى ملآنة كلها ذهبا فاستحسن ذلك وامرها باعادته الى بيتها فقالت لا والله هذا هدية لك يا امير المؤمنين فتأمل الذهب فاذا هو ضرب عام واحد كله فقال هذا عجب ربما يعجز بيت المال عن مثل ذلك فقالت يا أمير المؤمنين لا تكسر قلوبنا وتحقر بنا فقال ان فى بعض ما صنعتيه لكفاية ولا يجب التثقيل على أحد فردى مالك عليك بارك الله لك فيه فاخذت قطعة من الارض وقالت يا أمير المؤمنين هذا واشارت الى الذهب من هذا واشارت الى الطينة التى تناولتها من الارض ثم من عدلك وانصافك يا أمير المؤمنين وعندى من هذا شئ كثير فامر به وأخذه منها واعطاها عدة ضياع واعطاها من قريتها طا النمل ما تتى فدان بغير خراج وارتحل متعجبا من كبرمر وءتها وسعة حالها فانظر الى كثرة ما كانت الارض فى الزمن الماضى تعطى زراعها من الخير والبركة وسعة الرزق وكله من عدم المظالم وكثرة العدل وقلة الحوادث (وأول) من احدث بمصر مالا سوى الخراج أحمد بن المدبر لما ولى خراج مصر فانه كان من دهات الناس ابتدع بدعا كثيرة منها انه حجر على الاطرون بعد ما كان مباحا لجميع الناس وقرر على البهائم مالا وسماه المراعى وقرر على ما يطعم الله من البحر مالا وسماه المصائد فانقسم من حينئذ مال مصر الى خراجى وهلالى وعرف المال الهلالى بالجديد (وقال) سيدى أبو بكر الطرسوسى دخلت على الافضل بن أمير الجيوش وهو ملك مصر فقلت السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد على السلام نحو ما سلمت ردا جميلا وأكرمنى اكراما جزيلا وأمرنى بالدخول الى مجلسه والجلوس فيه فجلست طويلا وابتدرت قائلا أيها الملك ان الله سبحانه وتعالى قد أحلك محلا شامخا وأنزلك منزلا شريفا باذخا وملكك طائفة من ملكه واشركك فى حكمه ولم يرض أن يكون أمر احد فوق أمرك فلا ترضى أن يكون أحد أولى بالشكر منك وان الله تعالى قد ألزم الورى طاعتك فلا يكون أحد أطوع لله منك وليس الشكر باللسان انما هو بالفعال والاحسان * واعلم ان هذا الذى أصبحت فيه من الملك انما صار اليك بموت من كان قبلك وهو خارج عنك بمثل ما صار اليك فاتق الله فيما خولك من هذه النعم فان الله سائلك عن الفتيل والنقير والقطمير واعلم أيها الملك ان الله تعالى أتى الدنيا بحذافيرها سليمان عليه الصلاة والسلام فسخر له الانس والجن والشياطين والوحوش والطير والبهائم وسخر الريح تجرى بأمره رخاء حيث أصاب ثم رفع عنه حساب ذلك أجمع فقال له هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب فوالله ما عدها نعمة كما عددتموها ولا حسبها كرامة كما حسبتموها بل خاف أن يكون استدراجا من الله تعالى ومكرا به فقال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر فافتح الباب وسهل الحجاب وانصر المظلوم وأغث الملهوف أعانك الله على نصر المظلوم وجعلك غوثا للملهوف وأمانا للخائف (قال رضى الله عنه) ثم أتممت المجلس بان قلت قد رحت شرقا وغربا فما اخترت مملكة وارتحت اليها ولذت لى

الاقامة فيها غير هذه المملكة أى مصر ثم أنشد يقول

الناس اكيس من يحمدوا * رجلا حتى يروا آثار احسان

وقوله (ولا لى فى الحصاد سعيف) أى ولا أرى من يسعفنى فى حصاد الزرع عند انتهائه ولا من يعاوننى على تحميله على الجمال ونزوله فى الجرن ودرسه ودراونه وحصاد الزرع هو ضمه بآلة من حديد أو قلعه من أصله اذا بلغ الاستواء ويبس حبه وطاب سنبله ونشف وآل الى السقوط فيعجلون عليه بالحصاد وقد شبه الادمى بالزرع فانه فى ابتدائه يكون خضر انضر ازاهيا كذلك الشخص فى حال نشأته وصباه اذا كبر وترعرع يكون على هذه الصفة فاذا طاب وآن أوان حصاده انتهى زمانه وكذلك الادمى اذا صار كهلا ودهمه الشيب آن اوان انقضاء عمره فان الشيب نذير الموت ولهذا يقال للرجل اذا دهمه الشيب طاب الزرع أى قرب موته ودنا حصاده ويطلق الزرع على الحسى والمعنوى فالحسى ما تقدم ذكره والمعنوى مثل فعل الخير مثلا يقال زرع فلان الجميل أى فعله مع غيره قال الشاعر

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه * ما خاب قط جميل اينما زرعا

ان الجميل وان طال الزمان به * فليس يحصده الا الذى زرعا

(ومن الحكم) من فرش رقد ومن زرع حصد وكل زارع يحصد ما زرعه من خير أو شر قال الشاعر

غدا توفى النفوس ما كسبت * ويحصد الزارعون ما زرعوا

ان احسنوا احسنوا لانفسهم * وان اساؤا فبئس ما صنعوا

(قيل) لما ظلم أحمد بن طولون استغاث الناس من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسه رضى الله تعالى عنها ونفعنا بها وببركاتها يشكون اليها من ظلمه وجوره قالت يركب متى قالوا فى غد فكتبت له رقعة ووقفت فى طريقه وقالت يا احمد ابن طولون فلما رآها ترجل فناولته الرقعة من يدها فقرأها واذا فيها مكتوب * ملكتم فاسرتم وحكمتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الاسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها وكبود جوعتموها واجساد أعريتموها فمحال أن يموت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا الى الله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون فعدل لوقته رضى الله تعالى عنه (ثم ان الناظم) نبه على مصيبة اخرى من انواع الظلم ابتلى بها هو وغيره من اخوانه الفلاحين والبطالين وغيرهم فقال

ش ويوم تجى العونه على الناس فى البلد * تخبينى فى الفرن ام وطيف

ص قوله (ويوم) بالتنوين وعدمه فى هذا البيت (تجى العونه) وهو أوان حفر السواقى

وضم الزرع وحفر القنى مما يحتاج اليه فى هذا المعنى والعونة انما تكون فى بلاد الملتزمين التى فيها الاوسية وهو ان غالب الملتزمين اذا أخذ قرية أو كفرا من كفور الريف يزرع فيها أو فى الكفر جانبا من الارض والبقية يعطيها للفلاحين بخراج معلوم ويسمى هذا الجانب الذى يزرعه زرع الاوسية فيرسل ثيرانا واخشابا ومحاريث وما يحتاج اليه ويجعل له على ذلك وكيلا ومحلا معدا للاخشاب وبهائمه ويقال لها دار الاوسية ويوكل من يصرف على البهائم وغيرها بحساب وضبط فاذا احتاج الامر لشيل الطين من الابار أو لحفر القنى او ضم الزرع امر المشد بالقرية او الكفر رجلا يقال له الغفير فينادى العونة يا فلاحين العونة يا بطالين فيخرجون عند صبيحة النهار جميعهم ويسرحون للحفر او لكل ما يأمرهم به كل يوم من غير اجرة الى ان يفرغ الحفر والضم وكل من تراخا وتكاسل عن السروح أخذه المشد وعاقبه وغرمه دراهم معلومة وبعض البلاد تكون العونة فيها على رجال معروفين بالبيوت مثلا فيقولون يخرج من بيت فلان شخص واحد ومن بيت فلان شخصان بحسب ما تقرر عليهم قديما وحديثا فلا ينفك من عليه العونة منها وان مات جعلوها على ولده وهكذا فهى داهية كبرى على الفلاحين ومصيبة عظمى على البطالين ولله الحمد اراح الله قريتنا منها انما هى قراريط معلومة على الفلاحين لا يعرف الملتزم الا خراجها يأخذه فى كل سنة على التمام والكمال وان كان عليهم بعض عوائد ومظالم فليست كبلاد الاوسية لانهم دائما فى تعب وكدر وغرامة وسخرة زائد والناظم كان مقيما ببلاد الاوسية فلهذا ذكر انه اذا حضرت العونة (على الناس فى البلد) أى بلد الناظم والناس هم المخصوصون بها الا كل سكان القرية ولعل الناظم كان ممن يسرح للعونة لقلة زرعه وشدة فقره وانه متى غاب ساعة عن عياله من غير كسب احتاجوا الى ذلك فلا يقدر أن يترك العونة ويذهب لشغل يكتسب منه فلهذا قال (تخبينى) أى تخفينى عن أعين الناس حتى لا يرانى أحد ولا يسمع بى (فى الفرن) أى فرنه الكائن فى داره المعد لخبز العيش ودمس الفطير وطبخ البيسار والفول المدمس ونحو ذلك (ام وطيف) أصله وطفه وذكره بلفظ المذكر لضرورة النظم وهو مشتق من الطيف وهو الخيال السارى مناما قال الشاعر

سرى طيف سعدى طارقا يستفزنى * سحيرا وصحبى بالفلاة رقود
فلما انتبهنا للخيال الذى سرى * أرى الدار قفرا والمزار بعيد

* أو من الطوفان * أو من أطواف الجلة التى تفعلها نساء الارياف فانها كانت كثيرة الشغل فى لزق الجلة وعملها أطوافا فغن هذا كنوها ام وطيف * وأما اسمها على ما قيل زوبعة وقيل خطيطة أو معيكة وهى ام الناظم أو زوجته أو اخته وسميت العونة عونة لاشتقاقها من المعاونة لانها جماعة تخرج لمعاونة بعضها بعضا فى شغل الملتزم ونحوه أو انها اسم للجماعة المتعاونين على الشئ ولهذا يقال ناكوا فلانا الليلة عونة

أى تعانوا كلهم على نيكه دفعة واحدة فى الزربية أو الشونة ويعايرون بهذا الامرد ويقولون له أنت يا خوريا بقره دائما عونتك ميه أى مائة نفس أو انها من الماعون اسم للزلعة الكبيرة ومصدرها عون يعون تعوينا أو عان يعين اعانة قال الشاعر

فعون تعوينا وعان اعانة ■ وكل له معنى صحيحا وقد ورد

(فان قيل) ان كلام الناظم يشعر انه اذا اختفى فى الفرن يتركونه ولم يشعر به أحد وهذا بخلاف ما تقدم من ان العونة لا بد من السروح اليها وخصوصا اذا كانت مقررة على الشخص من قديم الزمان أو من زمن اجداده كما تقدم فما الجواب (قلنا) الجواب ان الناظم لما مال عليه الزمان وبقى من ضعفاء الناس وفقرائهم صار وجوده كالعدم ولا يفتكره أحد وانما اراد الاختفاء خوفا من اقاربه أن يسلطوا عليه جماعة الملتزم يؤذونه أو يشوشون عليه وهذا القول يدل على ان العونة لم تكن مقررة عليه لانه كان فى ابتداء الزمان شيخ الكفر ومتصرفا فيه أو انه اعتراه الكبر وصار شيخا عاجزا فاذا حضر وقت العونة اختفى فى الفرن تسترا على نفسه حتى لا يراه أحد كما يقال فى المثل (ابعد عن الشر وغنى له * وعين لا تنظر قلب لا يحزن) فاتجه الجواب عن هذا الاشكال ولما فرغ الناظم من شكواه من القل والعترة والقمل والصيبان وعداوة اقاربه وما ناله من هم الوجبة والخراج والعونة ونحو ذلك شرع فى تمنى جملة من المآكل أو رؤيتها لشدة ما هو فيه من عدم ذلك وكثرة فقره وانه لا يعرف هذا الطعام ولا يراه الا عند الناس فتمنى ان الدهر يغلط معه ويرى ذلك أو يأكله ولو يسيرا قبل انقضاء عمره وابتدأ بالكشك لانه الغرم مأكول أهل الريف فقال

ص ولا هدنى من بعد هادم وهاده ■ سوى الكشك لما يستحق غريف

ش قوله (ولا هدنى) أى هد حيلى وقوتى مأخوذ من هد الحائط وأصله الهدم بزيادة الميم حذفت منه جريا على اللغة الريفية او انه من الاكتفاء كقول الشاعر

مليكة الحسن جودى باللقا كرما ■ لمغرم قلبه قد ذاب فيك أذا
افسدت قلبى فقالت تلك عادتنا * قد قال سبحانه ان الملوك اذا

(وقيل) هد وهد مجموع هدهد بضم الهاء فيكون اسما مركبا من فعلين والهدهد طائر معروف ذكره الله تعالى فى القرآن الكريم فى قوله تعالى حكاية عن سيدنا سليمان عليه السلام وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين لانه كان رسول الطير وكان يدله على الماء لانه يرى الماء تحت الارض بخاصية جعلها الله تعالى فيه (وسئل بن عباس) رضى الله عنهما ما الحكمة فى أن الهدهد يرى الماء تحت الارض ولا يرى الفخ ويقع فيه فقال رضى الله عنه اذا جاء القضاء عمى البصر * أو انه مشتق من الهدية لمقاربة اللفظ وفى الحديث تهادوا تحابوا * ويقال أصل المحبة الهدية وأصل العداوة الشكية واصل البغضة الاسية فالهدية لها موقع فى النفس ولو كانت شيأ

يسيرا وفى المثل * هدية الاحباب على ورق السداب * وقال بعضهم

جاءت سليمان يوم العرض قنبرة * تهدى اليه جرادا كان فى فيها
وأنشدت بلسان الحال قائلة * ان الهدايا على مقدار هاديها
لو كان يهدى الى الانسان قيمته * لكان قيمتك الدنيا ومافيها

(أوانه) من الهذيان بالذال المعجمة وهو الصحيح ومصدرها هذ يهذ هذا أو هدم يهدم هدما على اللغتين من قولهم هدك الله هدا أو هدمك هدما بمعنى انه يضعف قواك ويبطل حركتك كما يبطل نفع الحائط اذا هدم ونحوه وقوله (من بعد هاده وهاده) بالهاء والالف والدال المهملة والهاء المربوطة فتكون كلمة محبوكة الطرفين أولها مثل آخرها اذ وقفت عليها وأصلها هذا اسم اشارة الان ألسنة أهل الريف غيرتها والمعنى ان هذا هد حيلى واضعف قواى من بعد ما تقدم أولا وهوا كل القمل والصيبان والقل والعترة ونحوه والذى أتى عقبه وهو الضرر من الاقارب وهم الخراج والوجبة والخوف من نزول الكشاف والعونة وطلب مال السلطان والطرد فى الغيطان وغير ذلك مما تقدم ذكره على حد قول بعضهم

هم الفلاحه حيرنى * وكل ساعه فى نقصان
ما انفك من هم الوجبه * لما يجى مال السلطان

(فالفلاح) اذا كان فقيرا تجده دائما معرضا للهلاك من ضرب وحبس وعدم لذة المآكل والمشارب ولا راحة له أبدا الا ان غلق مال السلطان وأما اذا بقى عليه شئ يسير فانه دائما فى افتكار أثناء الليل واطراف النهار وطرد وتعب وهم ونصب الا ان اعطاه الله تعالى البركة فى الزرع فانه يأتى من القليل كثير بحسب نيته وقت البذر فى الارض وقصده ذلك الوقت انه ينتفع به هو وغيره كأكل الطيور والدواب ونحو ذلك مع الاتكال على الله عز وجل فى طلوعه وحفظه من الآفات فان الله يبارك له فيه مع مزيد الثواب (لما روى عن سيدنا عمر بن الخطاب) رضى الله عنه انه مر بجماعة جالسين من غير شغل ولا اكتساب يسألون الناس فقال من أنتم قالوا نحن المتوكلون فقال لستم كذلك انما المتوكل من وضع الحبة بين الماء والطين اذهبوا فاكتسبوا فالزراع أقوى توكلا من غيره ان لاحظ ما تقدم ذكره وقت البذر (فائدة) يستحب عند بذر الحب فى الارض أن يصلى ركعتين ثم يقول الهى أنا عبد ضعيف اليك سلمت هذا البذر فبارك لى فيه ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فان الله تعالى يحفظ الزرع من الآفات ذكره الامام الزاهد (قال بعضهم) أربعة لا يستجاب لهم دعاء رجل جالس فى بيته ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالسعى (ورجل) أنفق ماله فى معصية الله تعالى أو بناء فافتقر ودعا الله أن يغنيه يقول الله له ألم آمرك بالاقتصاد ألم تسمع قولى والذين اذا أنفقوا ولم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما

ورجل

(ورجل) دفع ماله لرجل بغير بينة ثم طالبه فانكر يقول يارب خلصنى منه يقول الله له ألم آمرك بالاشتهاد عليه (ورجل) له امرأة سيئة الخلق يقول يارب خلصنى منها يقول الله له ألم أجعل أمرها بيدك أما سمعت كلامى الطلاق مرتان انتهى * ولكن نحمد الله الذى أراحنا من الفلاحة وهمها ولم تكن لآبائنا ولا اجدادنا فنحن على حد قول البهلول رحمه الله تعالى

اذا ركب الملوك على الجياد * وقد شدوا البنود على الفصاد
ركبت قصيبتى ولبست مسحى * وسرت كسيرهم فى كل وادى
فلا الاجناد تطلبنى بمال * ولا الديوان يغلط فى عدادى

(فالفلاحة) على كل حال بلية أعاذنا الله والمحبين منها وقوله (سوى الكشك) وهو فى أصله مركب من البر واللبن غليظ محرك للامراض قال الشاعر

الكشك ريح غليظ * محرك للسواكن
الاصل دبر وبر * ثم الجدود ولكن

أى ولكن بئس ما خلفوا فيه اكتفاء * وصفته أن يؤخذ البر وهو القمح ويغسل غسلا جيدا ويغمر بالماء ويوضع على النار ويقاد عليه حتى يلين ويغلظ الحب ويصير مسلوقا ثم يجفف فى الشمس ويدش ويوضع فى اناء ويصب عليه اللبن والمش الحصير ويحرك ثم يترك اياما ثم يحرك ويوضع عليه اللبن وهكذا حتى يتخمر ويأخذ قوامه وتفوح له رائحة الحموضة ويصير على غاية من جودة الطعم ثم يزاد من اللبن لاجل خفة حموضته ثم يقرص اقراصا صغارا ويوضع فى الشمس الى أن يجف فيؤخذ ويخزن لوقت الطبخ وهذه صفة كشك بلاد البحر وهو الاجود والاحسن فى المأكول * وأما كشك الكفور وبلاد الملق الذى ذكره الناظم فلا أراك الله مكروها فانهم يصنعونه بالمش الحصير وقليل من اللبن ولهذا يوجد كثير الحموضة حريف الطعم غليظ الطبع عن غيره محرك للضرورات وهو الذى يضرب لونه الى سمرة وكلما كان أبيض نقيا قليل الحموضة كان جيدا وكذلك كشك الصعيد فانه يشبه كشك الكفور فى عدم الجودة الا انهم يجعلونه مثل البنادق الكبار وفيه نوع جيد لكثرة لبنه وحسن نظافته * وأما كيفية طبخه فعلى أقسام بحسب البلاد التى يعمل فيها فأهل بلاد البحر يطبخونه بالارز واللحم السمين تارة وبالدجاج أو بشئ من اصناف الطيور المأكولة أخرى أو يجعلونه بالارز فقط ويصيرونه ثخينا وأهالى المنزلة ودمياط يطبخونه بالسمك البورى السمين وأكلته بدمياط حرارا وأبناء الترك يجعلونه رقيقا مائعا بقليل من الارز بحيث يشرب بالملعقة ويقلون له بالخضرة والادهان والسمن ويطبخونه باللحم الضان السمين فيكون له لذة عظيمة فى المأكل وتعتدل طبيعته خصوصا مع لحوم الضان والدجاج والارز ونحوه * وأما القسم الردئ المحرك للسواكن المذكور فى الشعر المتقدم

فهو كشك اهل الكفور وبلاد الملق فانهم يتساهلون عند الطبخ فى غسله وتصفيته ويضعونه فى بوشة أو قدرة أو دست على النار ويضيفون اليه بعضا من الفول المدشوش ويقيدون عليه بالنار الى أن يأخذ قوامه ينزلونه ويخرطون له بصلة ويضعون عليه قليلا من الشيرج ويقلون له بذلك ويغرفونه فى متارد أو شوالى نخار ويفتون فيه خبز الادرة أو الشعير ويأكل الشخص منهم مترداو متردين بالمضغ واللهط ويسرح الى الغيط الى وقت المساء فيجد ما بقى منه قد جمد وظهرت فيه فصوص الفول فيلهط منه الى أن يكتفى وهذا يسمى عندهم هراش العجائز وهو أعز المأكول عندهم وغالبهم يصنعونه فى اعراسهم كما سبق بيانه فى الجزء الاول من هذا الشرح ولا يعرفون طبخه بالارز ولا اللحم فان الارز لا يوجد عندهم الا نادرا واللحم لا يأكلونه الا من العام الى العام كما سيأتى بيانه * ونوع آخر من هذا القسم يطبخونه من غير فول بل مجرد كشك من غير وضع شئ من التقالى عليه يسمى عندهم نيرب وهذا وما قبله يولد الارياح ويحرك السوا كن ويضر بالمعدة لزيادة الفول فيه لانه غليظ الطبع وكذلك القمح لانه حار رطب والمش الحصير بارد رطب والفول غليظ ثقيل فيتولد الضرر من مجموع هؤلاء الاربعة * وللكشك منافع قبل طبخه منها انه اذا اذيب بالماء وشربه المحرور نفعه وسكن التهاب معدته واذا نوعك الجل من ألم الحر يسق منه يزول ما به ولهذا يستعمله المسافرون اذا أذاهم الحر وحصل لهم الضرر منه كالحجاج وغيرهم وينفع من ألم ضرب السياط طلاء وله منافع اخرى مذكورة فى كتب الطب * وأما أهل الصعيد فانهم يطبخونه من غير تصفية فيكون مثل النخالة المطبوخة بالخل لا غير فهذا الا فائدة فيه وليس له طعم ولا لذة لان نفعه لا يكون الا بعد تصفيته لكن غالب مأكولهم الويكة والملوخية كما شاهدناه فى بلادهم (قيل) أتى رجل من أهل الصعيد من نواحى قنا وقوص الى مصر ليشترى له جارية للخدمة فرأى جارية تباع باغلا ثمن لمعرفتها بانواع الطعام فوقف عليها وسألها هل تحسنى الطعام مثل ما يقولون فنظرت اليه وقالت له من أى البلاد انت قال من الصعيد فقالت انت لا تحتاج الى طعام فاخر فان مأكول أهل الصعيد فى كل سنة ستة اشهر ويكة وستة اشهر ملوخية فلا يحتاجون الى طعام فاخر غير هذا قال فتركها ومضى متعجبا (مسئلة هبالية) ما معنى اسم الكشك وما اشتقاقه وما معنى اسم النوع المطبوخ منه هراش العجائز والنوع الآخر المسمى بالنيرب وما معنى قول الناظم انه هد حيله عند مشاهدته وقرب غرفه وشم رائحته (الجواب القشروى) ان لفظة كشك هذه من الالفاظ المقلوبة التى تقرأ طردا وعكسا ومثلها كعك وشاش وباب ومثلها سر فلا كبا بك الفرس وقلع مركب بيكر معلق وحلك تتزوج عجوز تتكسح وقد ورد ذلك فى القرآن العظيم فى قوله تعالى وربك فكبر كل فى فلك وغير القرآن مثل كمالك تحت كلامك وعلق تحت قلع (ومن النظم قول الحريرى)

اس ارملا اذا عرا * وراع اذا المرأ أسا
اسل جناب غاشم * مشاغب ان جلسا

(وأيضا ان الكشك اذا قلبوه يكون باطنه مثل ظاهره وأول الكشكة مثل آخرها فكان فيه بعض مناسبة من هذا المعنى * أو أنه عند وضعه فى الشمس يكش ويضمر من حرارتها * أو انه من قول بعضهم أكل فلان الكشك عند فلان يعنى انه أكل أكلا كثيرا حتى انتفخت بطنه وصارت مثل ماجور الكشك * أو من قولهم للكلب كشكش اذا أرادوا أن يلقوا له شيأ يأكله ينادوه بهذا اللفظ * أو من الكشك بضم الكاف والشين وهو محل خارج من البناء المرتفع مركب على الاخشاب تجعله الاكابر للجلوس * أو ان الكشكة لما صارت مدورة كانت تشبه الكس بالسين المهملة وهو الفرج ثم انهم غيروا السين المهملة بالشين المعجمة لقبح اللفظ وأضافوا الى الكلمة كافا وقالوا كشك ومصدره كشك يكشك تكشيكا (وأما تسمية النوع منه بهراش العجائز) فالهراش فى الاصل النطاح يقال مهارشة التيوس ونقار الديوك ونسب الى العجائز لانهن فى الغالب يطبخنه بشهوة ويتهارشن عنده مهارشة تضيق منها النفوس ويظهر منها الهم والعكوس وناهيك بعجائز أهل هذه البلدة أى مصر فانهن قسم من غيلة الجان فلاجل مهارشتهن على هذا المأكول سمى بهذا الاسم أو انه من باب هرش المعدة (وأما تسمية النوع الآخر نيرب) فلعله من النيروب على وزن الديلوب * أو انه نسب الى رجل اسمه نيرب على وزن ارنب حيوان يحل أكله فخشوا الالتباس فى اللفظ فقالوا نيرب أو انه فعل فى زمن النيروز فقالوا أولا نيروز فالتبس الامر فى اسمه واسم الزمن فابدلوا الزاى الذى فى آخره بالباء الموحدة وقالوا نيرب * وقول الناظم انه هد حيله وقد شاهده ورآه وشم رائحته انما هو من عدم ملكه له وقلة طبخه عنده وانما كانت رؤيته له عند الجيران فن هذا اذا رآه قد قرب للاكل تحسر وتأسف وخصوصا (اذا استحق غريف) أى لما ينتهى طبخه ويريدون غرفه وتفوح رائحته عند غرفه وأصله لما يستحق الغرف بآلة التعريف لكن حذفها وزاد الياء المثناة من تحت لاجل النظم وغريف على وزن كنيف وهى نقرة معدة للخراء فيها فعند مشاهدته لهذه الحالة وشم الرائحة ينهد حيله لان همة الشخص طول عمره بطنه وفرجه كما قال ابن عروس فى ديوانه

الناس فى الله تاهوا * والاجواد شاعت تاها
ماضرنى غير بطنى * واللى مدلى حداها

(وقال بعضهم مواليا)

يادنية الشوم طول عمرى وأنا أشتد
فى هم دى البطن اللى ماتريح حد
اضال أبنى واجى بعد العشا أتمد

أقوم فى الصبح ألقى مابنيتو اتهـد

(من هذا) لم يقنع الناظم لانه لا يقضى مراده ولا هو من قسم التحمل يعيش بالنسم بل من الادميين وخصوصا من أهالى كفور أهل الريف يفطر الشخص منهم على متردد اومتردين من الكشك أوالبسار أوالفول المدمس كما سيأتى فلالوم عليه فى هذه (يحكى) انه ركب المأمون وخرج الى البر وكان راكبا خلفه بختيشوع الحكيم فقابله عليان المجنون فقال له يا بختيشوع جس بطنى مجس بطنه وقال له ماتشتكى ياعليان فقال له أشتكى استى فقال له بختيشوع خذ لك عود الدودسه ورالك فهو صالح لذالك فرفع عليان فخذه وضرط ضرطة مزعجة وقال له خذ ذا بدالك ونحن نجرب دوالك فان عافانا الله بذالك حمدناه وزدناك فخجل بختيشوع وضحك المأمون حتى استلقى على قربوص سرجه (وبذكر هذا المعنى) تذكرت ما اتفق لبعض الاطباء انه جلس فى بعض الاسواق ينظر فى امراض الناس فاتى اليه رجل لطيف الذات من ابناء النعم وذوى الرفاهية وجلس بين يديه ومد يده اليه وقال له انظر مابى فجس نبطه وقال له ماأكلت اليوم فقال يسيرا من الفول الحار على الفطور فقال له خذ لك يسيرا من الزبيب والسنامكى ويسيرا من السكر واستعمل ذلك فان فيه الشفاء ثم قام من عنده واذا برجل من أهل الريف كانه فى الشكل هبل أوسارية فوق الجبل أقبل على ذلك الطبيب وهو ينفخ نفخ الديب وقال له انظر مابى من المرض بلطف فانا أحس فى بطنى بضعف وقدم له يدا كانها خشبة وساعدا كانه حطبة فجس الطبيب يده وقال له ما الذى دهاك وما أكلت اليوم فى فطورك وغداك فقال له أنا احكى لك وحق تربة أبوطبله وتربة معيكه بن أبو اجرام أنا لما قمت من النوم لقيت امرأتى ام معيكه خاطبلوشت بسار كبيره وكنت احب العيش والهطت منها متردد متردين قل تلاته فقال الطبيب وغير ذلك فقال ورحت لجارتنا ام دعموم لقيت عندها فول مدمس كلت منه متردد متردين قل تلاته قال الطبيب نعم وغير ذلك فقال وسرحت الغيط وعند الخاج عنطوز غيط فول كلت شمال شمالين قل تلاته ورحت من الغيط عند مشد الكفر فلقيت عنده كشك لهطت منه متردد متردين قل تلاته ورأيت عندنا عرس فى الحاره وعزموني ودخلت عندهم طبخوا طبيخ كتير كلت من ذالك الطعام متردد متردين قل تلاته ورأيت عند ناخيار اصفر كلت كوم كومين قل تلاته وجيتك تنضرحالى فانى باحس فى بطنى ضعف (فقال له الطبيب) خذ لك من الزبيب قنطارا قنطارين قل ثلاثه ومن السنامكى قنطارا قنطارين قل ثلاثة ومن السكر قنطارا قنطارين قل ثلاثة فقال له أنا سمعتك بتوصف الى جالك قبلى شئ قليل من السنامكى والسكر والزبيب وبتوصف لى قناطير فقال له يا أخس الفلاحين وهل يطلع هذه الاكلات الا هذه القناطير وهذه الشربات ثم أخذ خرجه على كتفه وحلف أنه لا يجلس بقية يومه فى السوق من اجل هذا

الفلاح فاتجه المقال * عن معنى هذه الاحوال * واتضحت العبارات * عن هذه الخرافات * (ثم ان الناظم) لما فرغ من ذكر هذا الطعام تشوق الى شئ أغلظ منه لانه مستعمل عند أهل الريف فى غالب مأكولهم فقال

ص ولاشاقنى الا المدمس وريحتو * على من جتو جفنه بنص رغيف

ش وقوله (ولاشاقنى) من الشوق وهو رقة القلب وميله للمحبوب قال سيدى عمر بن الفارض (ولولاكم ماشاقنى ذكر منزلى) وشاق على وزن قاق وهو صوت الاوز ومصدره شاق يشوق شوقا مثل قاق يقوق قوقا والمعنى أنه يقول ما كثر شوقى وزاد هيامى الى شئ من جميع المأكولات (الا المس) مأخوذ من المدمس لكونه يدمس فى النار كما سيأتى ومصدره دمس يدمس تدميسا فهو دامس ومدموس وهو نوعان ريفى وحضرى وان كان الاصل واحدا وهو الفول لان الشئ يشرف بشرف الاماكن تارة وبالصناعة الجيدة أخرى (فاما الحضرى) وهو ما يباع فى مصر وغيرها من المدن فانهم يأخذون الفول النقى الابيض ويتركون منه الردئ ويضعونه فى قدر كبار واسعة البطون ضيقة الافواه بقدر ماتسع يد الرجل عندما يتناول منها ثم يصبون عليه مايغمره من الماء الحلو الرائق ويسدون فم القدرة بشئ من الليف النظيف أو اناء طاهر سدا محكما ويدمسونه فى نار قوية خالية عن الادخنة والروائح الكريهة مثل جورة القران ونحوها ويتعهدونه بالسقى كلما انشف ليلة كاملة حتى يطيب ويعتدل وتزكو رائحته ويصير فى غاية من حسن الاستواء يشبه فى لونه الذهب وفى استوائه العجوة مثلا بحيث كل من رآه يشتهيه فاذا أرادوا أكله اشترى الشخص مايكفيه واضاف اليه السمن البقرى أو الزيت الطيب أو قشطة اللبن وأحضر الخبز الابيض النظيف وربما كان مصحوبا بالكرات الاخضر والليمون أو الخل فمن هذا يصير غذاء جيدا تكتسب منه الاعضاء وتمتلئ به المعدة ويسلطه قليل من الصعتر خصوصا اذا شرب القهوة بعد ذلك فيكتفى الشخص به عن غيره من الصباح الى المساء (وأما النوع الريفى) وهو مدمس أهل الريف الذى اشتاقه الناظم فلا أراك الله مكروها ان كنت ماذقت الخرا فكل منه فانهم يأخذون الفول ان كان جيدا أو رديئا على سائر اوصافه وربما أخذته زوجة الفلاح من مدود البقرة أو الثور ونقحت ما عليه من آثار التبن ووضعته فى اناء يقال له البوشة وغمرته بماء كدر متغير الرائحة من ماء البرك أو من مقاطع النيل التى تبقى ببلادهم وتسد فم البوشة بباس الكتان أو بخرقة فيها الدناسة وتضعها فى محماة الفرن الملانة من الدمس والجله وربما وضعت ذلك عليها أيضا وتسد عليها باب المحماة المذكورة الى الصباح ثم انها تخرجها وقد امتزج الفول بروائح الزبل والجلة وذلك الماء المتغير واسود وصار مثل زبل الغنم وظهرت له رائحة كريهة ثم تأتى بالمترد وتهز البوشة وتفرغ الفول فيه فيجلس الشخص منهم

مثل الكاب الكاسر وتأتيه بخبز الادرة اليابس أو خبز الشعير ويقطع ويبلع حتى تمتلئ بطنه فاذا أكلت منه فكأنك تأكل من زبل الغنم مثلا ومنهم من يأكله بالكرات أو البصل وربما أضافوا عليه شيأ من القمح أو الحمص والاكابر منهم يجعلون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار ومنهم من لا يكون عنده خبز فيسف منه عند الصباح من غير صلاة ولا غسل وجه الى أن يكتفى ثم يشرب فوقه الماء حتى يصير كالزق المنفوخ ويسحب النبوت ويخرج مثل النعوت فهذا مدمسهم وصفة مأكولهم أراحنا الله من ذلك وقوله (وريحتو) أصله ورائحته حذفت الهمزة للضرورة أو جريا على اللغة الريفية أى شاقنى رائحته الممتزجة بالروائح المتقدمة للذتها عندى اذا اشتهيتها فاشتاق اليها والى الاكل من الفول ولكن لا أجد ذلك لشدة فقرى والريحة مشتقة من الريح أو من الروائح أو من أبو رياح الذى تلعب به الصبيان أو من الراح وهو من اسماء الخمرة (قال الشاعر)

فالراح كالريح ان مرت على عطر ▪ تزكو وتخبث ان مرت على الجيف

(أو من قولهم مواليا)

ايش قلت يا صاحبى فى رايحه جيسه
من تحت حيطا وهيا ميته جيسه
وقاعده واقفه على الارض مرميه
وجائزه راقده فوق حيط مبنيه

(وهى المعدية على حد قول بعضهم)

المعديه رايحه جيه * تنسحب بالخيط
يا أبو جبـــــه ▪ الا أنا زليت

(ثم ان الناظم) لما ذكر اشتياقه الى المدمس ورائحته وان من لازم ذلك الاكل منه لان النظر والشم لا يقوم مقام الاكل والمضغ فتمنى ذلك وقال (على) هذا من حروف الجر الا أنه وقع هنا فعلا والمعنى على وارتفع قدر (من جتو جفنه) أو على جسمه وقوى جنانه وشبع جوفه واشتهر بالقوة بعد الجوع (قال الشاعر)

على زيدنا يوم اللقا رأس زيدكم ▪ بأبيض ماضى الشفرتين يمانى

أو يكون حرف الجر على بابه ويكون المعنى على كل حال ان من جاءته أى حصلت له جفنه ملآنة من هذا الفول المدمس ولو كانت هدية أو صدقة وحصل له معها (نص رغيف) حذفت الفاء من نصف جريا على اللغة الريفية كقولهم نص فضه أو من قبيل الاكتفاء أو من جهة الترخيم كقوله (أفاطم مهلا بعد هذا التدلل) فيكون يومه أبرك الايام واسرها ان حصل له هذا الامر وطلبه نصف رغيف ولم يطلب رغيفا كاملا فيه اشارة الى ان الفول الدمس حامى الطبيعة فلا يحتاج الى خبز كثير فيكون نصف رغيف كاف له مع كثرة الاكل من نفس الفول من غير خبز مثلا أو من باب سد الجوعة والجفنة اناء

كبير معد لوضع الطعام (قال بعضهم) يصف قوما بكثرة الاكل واتساع البطن

كل جلف بطنه خابيه ▪ واذا صحفته كانت خابيه

(وفى نسخة اخرى) بالحاء المهملة أى حفنة من الفول المدمس والحفنة ملء كف الانسان مع انضمام الاصابع بعضها البعض لكنها بالجيم المعجمة اولى وبين جفنة وحفنة الجناس المصحف وهى مشتقة من جفن العين لكونها حافظة للطعام كما أن الجفن حافظ للعين ولما وضع فيها من الكحل وغيره فيسرى فى أجفانها وتطبق عليه وتحفظه حتى تؤثر فى قوة النظر وكمال حسن الخلقة بذلك (قال الشاعر)

أقول لمقلتيه حين نامت ▪ وكحل العين فى الاجفان سارى
تبارك من توفاكم بليل * ويعلم ما جرحتم بالنهار

(ومصدره) جفن يجفن جفنة (ثم ان الناظم) تمنى مأكولا آخر من غالب مأكول قريته أغلظ طبعا من المدمس فقال)

ص على من رأى البيسار فى الجرن جالو ▪ ويدعس ولو كان بالقلنج ضعيف

ش قوله (على) تقدم معناه فى البيت الذى قبله (من رأى) رؤية بصرية (البيسار) وهو نوعين ريفى وحضرى كما تقدم فى غيره (فالريفى) مركب من شيئين الملوخية الناشفة والفول المدشوش لا غير وكيفية طبخه عند أهل الريف انهم يضعوا فى البوشة الملوخية الناشفة وشيأ من الفول المدشوش ويغمرونه بالماء ويضعون البوشة فى الفرن الى قرب الاستواء فيخرجونها ويفركونها بالمفركة الى أن يأخذ ما فيها قوامه ويتهرى الفول وتفوح رائحته فيعيدونها فى الفرن يسيرا اذا احتاج الحال الى ذلك ويزيدونها ماء اذا لزمها حتى يستوى ثم يقلون له بشئ يسير من الشيرج أو الزيت الحار بالبصل ويغرفونه فى شالية أو متردة ويفتون فيه الخبز الشعير أو فطير الادرة حتى يصير مثل الكرس ويأكلونه بالبصل الاخضر أو الناشف فيأكل الشخص منهم المترد الفت أو المتردين فى الغداء والمتردين فى العشاء ويسحب نبوته ويحدوته خلف قفاه ويسرح بالبهائم أو للضم أو للمعرث وهذا غالب مأكولهم خصوصا فى رمضان وقت الفطور والسحور حتى يصير الشخص منهم كأنه زق منفوخ كما تقدم ثم ينام على الفرن بالجلة والوحل على رجليه هو وزوجته وهما من غير صلاة ولا عبادة فتخرج الروائح فى بطونهما وتخرج من بينهما مثل الزوابع فيكون هذا بخورهما طول ليلتهما فلا يقوم الشخص منهم الا وجبته قد فاحت رائحتها من كثرة الفساء فيها والضراط وان جامع زوجته تلك الليلة فيكون حظهم ضراط وعياط وفساء وشياط فهذا حالهم فى الاكل والنكاح نعوذ بالله من طباع الفلاح (وأما النوع الحضرى) فما ألذه واشهاه وما أطيبه واهناه وهو ان الشخص من اكابر مصر أو غيرها من المدن التى تجلب اليها الملوخية أو تزرع فيها اذا اشتهى فعلها فعلى اصناف منهم من يأخذها ناشفة نقية من العيدان قريبة العهد من زمن تنشيفها أو زمانه فيها

في بيته ويسلمها لمن يتعاطى طبخها من زوجة أو خادم فتضعها في دست نحاس مبيض أو طنجرة روسية عليها غطاء محكم وتضع عليها الماء العذب الزلال الرائق ويقاد عليها بالحطب الرومي حتى تاخذ قوامها في الاستواء ثم تفركها فركا لطيفا ثم تقلى لها بالثوم الشامي أو البلدي ممزوجا بالسمن البقري وتضيف اليه دهن الألية وتلق عليها شيأ من البهارات كالفلفل وما اشبهه وشيأ من الكمون لدفع ضررها ومنهم من يضيف اليها شيأ يسيرا من الفول المدشوش ولكن يزيد في الدهن والسمن حتى يستهلك طعم الفول ويغلب طعم الدهن والسمن والبهارات ونحو ذلك ومنهم من يجعل مكان الفول صغار الكباب من لحم الضان ويسمى هذا النوع بجمع الحبائب والاصحاب (ونوع آخر) وهوانها أي الملوخية تؤخذ وهي خضراء نضرة بنت يومها وتخرط خرطا جيدا وبعض أبناء الترك يفعلها من غير خرط فيصير لها لذة عظيمة وبعضهم يحشيها باللحم ويسمى هذا النوع ملين الطبائع لما فيه من البرودة ولطافة المأكل وسرعة الانهضام وحصول الخفة في الجسد (ونوع آخر) وهو ألذ وأشهى مما تقدم وأقوى نفعا وأعظم مأكولا وهو أخذ الملوخية وهي صغيرة في ابتداء طلوعها وخرطها جيدا وطبخها بالفراريج والارز مع كثرة الادهان أو باللحم الضأن وأهل مصر يرغبون في هذا النوع ويفعلونه كثيرا حتى ان الشخص منهم ينفق على طعام الملوخية في ابتداء أمرها جملة من الدراهم ويدعو أعزاء صحابه يأكل منها وتكون عندهم ألذ من طعام الاعياد ويتحدثون بهذه النعمة ويقولون عزمني فلان واطعمني الليلة الملوخية الجديدة بركة السنة وربما أكلوها بالخبز النظيف المنتطف المقمر المخبوز بالحبة السوداء أو الشمر فيقتون فيها حتى تتشرب بتلك الدسومات العظيمة وروائح تلك اللحوم السمينة وهذا من جودة رأيهم وزكاء عقولهم وحبهم في الشيء عند ابتداء طلوعه كما يقال (كل جديد له لذة وكل قديم له هجران) (ويقرب من هذا المعنى) قول ابن عروس في ديوانه

أول زمانك يعزولك * غالي وقع في يد غالي

وان دبت باشاش يرمولك * والي جرى لك جرى لي

(فان الشيء) في ابتداء طلوعه له لذة عظيمة وفرحة عند العيال (ونوع آخر) يسمى بوراني وهو أنه تقطف اوراق الملوخية ثم يقلونها بالسمن ثم يفعلون بها كما مر ولهذا ذكر سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله به انه يستحب الاكل من الشيء عند ابتدائه أي ابتداء طلوعه مثل الخضروات وغيرها من الفواكه فان نفعه في ابتدائه أكثر من نفعه في انتهائه وأهل مصر على هذا القدم يسعون في أخذ الشيء في ابتدائه ولا يكترثون به في انتهائه فجزاهم الله خيرا عن مروتهم * وأدام سرورهم بنسائهم وطيب معاشرتهم * واعاذنا الله من الريف وجهله * وغلظ مأكوله وطباع أهله (سؤال) ما الحكمة في تسمية الملوخية بالفول بيسارا وما الحكمة في تسميتها ملوخية وما اشتقاقها وما معنى ذلك

(الجواب القشروي) على وجهين (الاول) ان الذي اخترع البيسار في الاصل كان ابوه فلاحا زرع الملوخيا وكان بينه وبين ولده مشاحنة فذهب ذلك الرجل الى غيط أبيه المذكور وسرق شيأ من تلك الملوخية وأتى به الى زوجته فقالت له ما تريد بهذا فقال لها قصدي أصنعه طعاما ثم أخذ ورقها ووضعه في بوشة وجعلها على النار فجاء ولده الصغير وألقى في البوشة شيأ من الفول المدشوش أخذه من مدود الحمارة فامتزجت الملوخية بالفول ثم أخذ البوشة بعد استواء ما فيها وغرفه في مترد وجلس يأكل منها فدخل أبوه وقال له ما هذا الشيء الاخضر فدلس عليه القول وقال له هذا حشيش جئنا به من الغيط ثم بان الامر انه سرق الملوخية من غيط أبيه فتضارب هو واياه وحلف أبوه انه لا يمكث في البلد وركب حماره وسار الى بلد اخرى فصار ابنه ينادي أبي سار أبي سار فحذفوا الالف من أبي وجعلوا هذا اللفظ المركب من اسم وفعل علما على هذا الطعام وقالوا بيسار (وافادني) بعض اخواننا رحمه الله تعالى وجها آخر وهو انه لما وضع فيها الفول نادى لسان حاله بيسار أي سار طعمي بهذا الفول طيبا والوجه الثالث انه مركب من البسر أو من البسارة من قولهم في معنى ذلك

سعيده كانت مزاره * واتحب طبيخ البيساره

(وأما الملوخيا) فقد عرفها ابن سودون رحمه الله تعالى بهذا اللفظ الموضوع عليها في ديوانه بقوله في هذا المعنى * أبو قردان * زرع فدان * ملوخيا * وبادنجان ان هذا الاسم نبات أخضر انضرا وأصله يا ملوخيا فاخروا حرف النداء وأبو قردان أول من سماها بذلك على ما قيل وسبب ذلك انه لما زرعه في فدانه وصلح للطبخ ملخ منه شيا وتركه في مكانه وذهب لبعض شانه فجاء بعض اولاده وأخذه فلما رجع لم يجده فناداه بحذف حرف النداء لظن قربه منه وقال ملوخي فلم يجبه بشيء فاتى بحرف الندا وقبل أن يقول ملوخي أتاه ولده وأعلمه باخذه فادخل على قوله ملوخي باء واذعمت الياء في الياء فصارت ملوخيا انتهى وتلقب بالخضيرة وتكنى بام الادهان وام الافراح وليس في الاطعمة ألطف منها ولا اكثر نفعا وقد صنف بعض العلماء في منافعها كتابا جليلا وأما نهي الحاكم بامر الله عنها فقيل سيدنا معاوية رضي الله تعالى عنه اليها لانها كانت أحب الاطعمة اليه خصوصا عند ابتداء طلوعها وقوله (في الجرن) وهو محل درس الفول والقمح ويطلق على الحجر المنقور الذي يدق فيه بن القهوة يقال جرن اليوم فلان زرعه بمعنى انه نقله من الغيط ووضعه في هذا المحل على بعضه كالكوم وصار يأخذ من حواليه شيأ بعد شيء ويدرسه بالنورج وهذا المأخوذ يقال له عند الفلاح رمية وقيل أصل الجرن الجرم بالميم بدل النون * مأخوذ من جرم اللحم وهو أخذه بالسكين من على العظم أبدلت الميم نونا لقربها في المخرج والمناسبة لهذا المعنى ان النورج يجرم القمح أو الفول أو ما ألقي اليه من الحبوب ويخلصه مثل ما تخلص

السكين اللحم من عظمه ويطلق هذا اللفظ على الجرم الذى يعمل من الخوص وقوله (جالو) بالتخفيف أى جاء اليه والضمير راجع للبيسار أى على من رأى البيسار جاء اليه وهو فى الجرن يدرس القمح وهو راكب النورج أو وهو يحرث مثلا لانه يكون فى هذه الحالة فى غاية التعب والجوع ولهذا قال (ويدعس) أى يأكل بحرقة وعجلة من غير تأنى فى المضغ والبلع والدعس لفظة ريفية استعملت بهذا المعنى ومصدرها دعس يدعس دعسا فهو داعس لان الاكل المطلوب تصغير اللقمة وتطويل المضغة وفى المثل * صغر لقمتك وطول مضغتك يبارك الله لك فى أكلتك * (مسألة هبالية) وهى ان الناظم نسب المجىء للبيسار وهو طعام والطعام لا يمكن مجيئه بنفسه ولا يتأتى ذلك فما الحكم (الجواب القشروى) ان هذا على تقدير حذف مضاف أى جاء به رجل حامله حتى اوصله كما يقال جاءت السفينة مثلا أى جاء بها الملاح وكما تقول جاءنى متردلين وطاجن مش لوصحن عدس اوكشك مثلا فعلى هذا الاشكال فى كلام الناظم وقوله (ولو كان) أى هذا المتمنى لهذا الطعام الذى هو الناظم بمرض (القلنج ضعيف) وأصله قولنج بضم القاف وجزم الواو اى سقيم والقلنج ريح يابسة تمنع البخارات تجرى فى الاعضاء فتكب الانسان عند هيجانها وتمنعه الشم حتى تكاد تخرج روحه فمنها حار ومنها بارد فعلامة الحار هيجان العلة عند ملاقات الحرارة الشديدة والانتباه من النوم وعلاجه اكل الصبر الاخضر على الريق دائما فانه يقطع هذه العلة من الجوف ويحللها وعلامة البارد هيجان العلة عند ملاقات البرد الشديد والغيم والامطار والارياح الباردة ونحو ذلك وعلاجه ان يأخذ صبر سقطرى وحب الرشاد وفلفل وزنجبيل يابس اجزاء متساوية وقدر الجميع سكرا ابيض ويدقه دقا جيدا حتى يصير ناعما ويعمله سفوفا يفطر عليه على الريق وعند هيجان العلة فهو نافع ويجتنب صاحب هذه العلة الحارة اكل الاشياء الحارة وصاحب العلة الباردة اكل الاشياء الباردة وخصوصا عند هيجان العلة فانه نافع ان شاء الله تعالى والمعنى ان الناظم لشدة فقره وجوعه وعدم شئ يصنع به هذا الطعام تمنى مجيئه اليه ويشبع منه ولو كان مبتليا بمرض القولنج ولو كان فى اكله زيادة ضرر عليه اذ هو من الاطعمة الرديئة الغليظة خصوصا اذا استعمله صاحب هذا المرض فانه يؤذيه أذية بالغة (فان قيل) لاى شئ ذكر الناظم هذا المرض دون غيره وما سبب معرفته له مع انه من اهل الريف وما اشتقاقه اسمه (الجواب القشروى) انه انما ذكر هذا المرض لكونه ارياحا منعقدة فيكون من باب المبالغة فى الشئ والبيسار يضر صاحب الارياح ضررا بالغا خصوصا اذا اكل بالبصل الاخضر او الناشف فتمتلئ البطن ارياحا ويكثر فيها الفساء والضراط فيكون مرضا على مرض فتمنى ذلك لشدة جوعه ولو كان يحصل له هذا الامر أو يموت فى الحال واما سبب معرفته له فلعله سمعه من بعض الاطباء وهو يصفه او سمعه من غيرهم واما اشتقاق اسمه فلعله من القوق او القوبقة وهى طائر قدر الحمامة

كبير الرأس ويقال لها البومة تأوى المكان الخرب وفى المثل (اتبع البوم يؤديك الخراب) وقد يشبه الشيب ببياضها كما يشبه سواد الشعر بالغراب الاسود ومن هذا المعنى قال الامام الشافعى رضى الله تعالى عنه

أيا بومة قد عششت فوق هامتى * على الرأس منى حين طار غرابها
رأيت ذهاب العمر منى فزرتنى * ومأواك من كل الديار خرابها

(وبذكر البومة) التى تأوى الخراب تذكرت ما اتفق لبعض الملوك انه ظلم رعيته ظلما فاحشا وكان له وزير فشكى الناس اليه وتضرروا من ظلمه فاراد أن يحتال عليه ويمنعه عن الظلم ويرشده الى العدل فخرج هو واياه يوما يريد التنزه خارج المدينة الى أن مرا على أماكن خربة فسمع الملك ذكر بوم يصيح على بومة فقال للوزير ما أحسن صياح هذا الطائر على هذه البومة فقال الوزير يا ملك أتدرى ما يقول لها فقال لا وهل تعرف يا وزير لغة الطيور قال نعم فقال الملك ما يقول لها فقال يا ملك هذا عاشق لها ومشغوف بحبها ويقول لها يا سيدة الطيور وبهجة الاحباب مرادى وصالك والتقرب اليك فى الحلال فقالت له لا تقدر على صداقى ولو اشغفك حبى واشتياقى فقال لها وما صداقك فقالت عشر مدائن خراب فقال لها ابشرى فان دام ملكنا هذا على حالته مع الرعية الى آخر العام خذى لك مائة مدينة خراب ففطن الملك لكلام الوزير وعلم انه فى غفلة عن الرعيه * وانهم فى ظلم وبليه * وانه نصحه وأرشده للعدل على لسان الطير فقال له جزاك الله خيرا ثم انه اظهر العدل فى الرعيه وأزال عنهم ما هم فيه من المظالم وعدل من وقته وساعته * وارتاح الناس من تغيير حالته (ثم ان الناظم) اشتاق الى مأكول آخر يصنع فى الريف وغيره (فقال)

ص على من قشع جفنة بليله ملانه * ولو كانت بلا قلقاس يا دنديف

ش قوله (على من قشع) أى نظر بلغة الريافة يقال قشعتك أى رأيتك وقشعت الرجل الفلانى أى رأيته ويطلق على ميل الشئ يقال قشع السحاب أى مال وانكشف الى محل آخر (ومن العجائب) ان شخصا سمع هذه اللفظة من طائر فى بعض البساتين نواحى الشام وذلك انه دخل يوما يتفرج فى بستان ويأكل مما اسقطته الاشجار من الفواكه فسمع قائلا يقول شفتك قشعتك روح فخرج هاربا وظن أن صاحب البستان يصيح عليه فلقيه رجل وهو خارج من البستان فقال له ما أعجلك فقال سمعت انسانا يقول لى كذا وكذا قال فضحك الرجل وقال له ارجع وكل ما تشتهيه ولا تخش من احد هذا طائر يواليس بالبستان وهذه لغته يخوف بها من يدخل البستان فتعجب الرجل ودخل واكل حتى اكتفى ومضى الى حال سبيله (وقد سمعت) وانا متوجه الى الحج فى البحر من الصعيد على بندر القصير سنة خمس وسبعين والقطا طائرا فى غيط قمح يقول طاب دقيق البر سبحان القديم الازل وسمعه كل من فى السفينة (وذكر الحلبى) فى السيرة النبوية ان غرابا كان يحفظ سورة

السجدة فاذا سجد قال سجدلك سوادى وآمن بك فؤآدى (ومن العجائب) انه اهدى لبعض الملوك طائر له اربعة اجنحة على شكل ظريف فاذا جاء وقت صلاة الفجر ذكر الله تعالى بلسان فصيح ثم يقف على رأس الملك ويقول الصلاة خير من النوم مرتين ثم يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم ويسكت ومثل هذا كثير فسبحان الله القادر على كل شئ وان من شئ الا يسبح بحمده وقوله (جفنه) تقدم معناها (بليله) اسم للقمح المصلوق المضاف اليه بعض الحمص وهذا يباع أيضا ببلاد المدن وله لذة ولذته من اضافة الملح والحمص عليه فانه يعدل طبعه والحمص ازكى الطعام كما ذكره بعض المفسرين فى تفسير سورة الكهف وأما البليلة المذكورة فى النظم فان أهل الريف يصنعونها طعاما وهو انهم يضعوا القمح فى البوشة الفخاز وربما اضافوا عليه ما تيسر من الحمص ويغمرونه بالماء ويجعلونه فى النار الى أن يستوى فيأخذونه ويأكلونه بخبز الادرا والشعير ويأكلون منه من غير خبز لانهم يجعلونه يابسا يقطع منه الشخص بالكف ويبلع ويقلون له بالبصل وشئ من الشيرج والاكابر منهم يجعلون فيه بعض قلقاس وتسمى بليلة لبلها بالماء فى حال صلقها اولرخاوتها وطراوتها ولهذا يقال للرجل الهايف المرخى الاكمام البارد القلب بليلة لعدم اكتسابه وقلة بركته وبليلة على وزن هبيلة أوعويلة ومصدرها بل يبل بليلا وقوله (ملانه) راجع للجفنة (ولو كانت) البليلة التى هى الجفنة (بلا قلقاس) أى فلا حاجة له به انما مراده شئ يسد الجوعة يقال له طعام والقلقاس من مأكولات فصل الشتاء وهو الذ ما يؤكل فى هذا الفصل لانه حار يابس مناسب لبرودة الزمن خصوصا فى ابتداء ظهوره اذا أكل باللحم الضأن واضيف اليه السمن مع الخضراوات ونحو ذلك فانه يعتدل ويصير له لذة عظيمة فى المأكل وتذهب حرارته ويعتدل طبعه وأجوده الرؤس الاتانى وكذلك الصوابع وهى الرفيعة التى تشبه أصابع الادمى لان ذلك كله سريع الاستواء وارداه الاحجار لكونه بطئ الهضم بطئ الاستواء واذا أكل القلقاس مشويا منع ألم الكبد وسكن ضربان البواسير وأكله نيئا ليس فيه فائدة ولا منفعة (فائدة) اربع قافات تستعمل فى فصل الشتاء وهى القلقاس والقشطة والقصب والقسطل وسمى قلقاسا لاشتقاقه من القلقسة لانه يشبه الطين المقلقس أى اليابس لانه اذا قلع من ارضه يكون مثل قطع الطين المقلقسة وهو مركب من فعلين ماض وامر قال بعضهم

فان سألوك عن قلبى وما قاسا ■ فقل قاسا وقل قاسا وقل قاسا

(فائدة اخرى) قيل لما ادعى فرعون الالوهية لاموه وقالوا له الاله لا يبول ولا يتغوط فاصطنع الموزوصار يأكله فصار لا يتغوط الا نادرا وماذاك الا أنه اخذ القلقاس وهو صغير من ارضه فصار يفلق القلقاسة ويملؤها سكرا ويعيدها فى الطين بحكمة دبرها فامتزجت الحلاوة بالقلقاس فنشأ منه الموز وصار على هذا الشكل ولهذا ترى اوراقه قريبة الشبه من ورق القلقاس فى العرض الا أنه طويل الشكل عنه هكذا فى بعض كتب الحكمة

وقوله (يادنديف) اصله يادندوف على وزن يا يعبوص قلبت الواو ياء لضرورة التنظيم والدندوف هو الذى يدندف من غير فائدة يقال فلان يدندف أى فلا فائدة فى ذهابه وايابه ولا بركة فى سعيه وكسبه او أنه علم على شخص من اهل قرية الناظم كما هو معدود من اسمائهم وهو مشتق من الدندفة او من اجد الدنف او من ندف القطن (ثم ان الناظم) تشوق الى قصعة ملانة من اى طعام كان (فقال)

ش على من جتو قصعه وهو بحرب ✱ ويعقد يجرف للحنك تجريف

ص قوله (على من جتو) اصله جاءته (قصعه) اى جاء بها واحد من الناس لا هى بنفسها كما تقدم فالضمير راجع الى المحذوف والقصعة اناء من الخشب مدور معد للطعام وغيره واما الذى على شكل الحوض فيقال له منسف وسميت قصعة لان الشخص اذا جلس يأكل منها يقصع ظهره اى ينحنى ويأكل فيكون من باب تسمية الشئ باسم صفة الآكل منه او من قصع القمل والبراغيث وقوله (وهو) بضم الهاء وتشديد الواو لضرورة النظم اوجريا على لغة الريف وقوله (بحرث) على وزن يضرط فيها يقين اى فى وقت الحرث من اى طعام كان من عدس او بيسار او غير ذلك (ويقعد) قعدة جيعان تعبان مما قاسا من مشقة الحرث وغيره (ويجرف) على وزن يخرف او يغرف اى يكون كفه حكم المجرفة التى تجرف الشئ (للحنك) من التحنيك على وزن التحكيك او التدكيك ويطلق على الفك الاعلا والفك الاسفل من الانسان ويطلق على الفم والفاه أيضا يقال فتح فمه او فتح فاه (قال صاحب البديعية رحمه الله تعالى)

فى يحدث عن سرى فانطقت ✱ سرا أنا القلب الامن حديث فى

وقوله (تجريف) اصله بالالف لانه مصدر وسكن لاجل الروى أى يجرف للحنك الذى هو فمه تجريفا زائدا متتابعا بسرعة وعجلة حتى يكتفى ويشبع الشبع المفرط لما ناله من ألم الجوع الشديد وشدة التعب المزيد وكثرة المشقة فيقضى مراده وينشرح صدره ويقوى جنانه على الحرث وغيره (ثم ان الناظم) اشتهى مأكولا آخر خارجا عن الطعام المطبوخ من مأكول اهل الريف (فقال)

ص على من دعس بالعزم فى المش بالبصل ■ ولو كان بالكرات كان ضريف

ش قوله (على من دعس) تقدم معناه (بالعزم) أى بالقوة والشدة لان العزم على الشئ هو الاقدام عليه بجراءة وشدة يقال فلان صاحب عزم شديد أى قوة زائدة (فى المش) أى مش الجبن القريش الازرق الذى مضى عليه زمان مستطيل حتى صار يقطع ذنب الفار من شدة حرارته وقوة ملوحته لان هذا غالب مأكول اهل الريف فى الغداء وربما أكلوه فى العشاء أيضا فياتى الشخص منهم بالمترد المش والخبز الشعير اليابس والبصل الاخضر أو الناشف ويأكل حتى تدمع عيناه من حرارة ذلك المش ورائحة ذلك البصل ويشرب عليه الماء ويسرح الغيط أو يحرث أو يدرس والاكابر منهم تضع عليه شيأ يسيرا

من الزيت الحار وتعصر عليه الليمون خصوصا (بالبصل) المخروط فانه ألذ من أكله بغيره وبعضهم يأكله بالكرات ابو شوشه فيكون أقوى فى جمع الارياح خصوصا اذا كان فى دويرة ضيقة فان الفساء يتراكم فيها حتى يملأها من اولها الى آخرها (والمش) على اقسام مش حصير وتقدم معناه * ومش بخيره وهو المستعمل فى بلاد المدن وله فكاهة ولذة ويقال له مش جبن حصير * ومش جبن قريش وهو مش الريافة المتقدم ذكره ويقال مش جبن النور * والمش على وزن الوش بلغة الريافة فان الشخص اذا شتم آخر يقول له (دم اهدم وشك) مثلا وهو مشتق من المشش وهو داء يعترى الخيل والحمير يقال (جالك المشش) أى أبلاك الله به * والاول الذى هو المش الحصير ينفع من الجرب شربا * والثانى ينفع السدد ويقوى المعدة * والثالث ليس به نفع بل هو محض ضرر لا غير * او انه مشتق من المشى لانه اذا صب على الارض صار يمشى عليها أى يسيح فيها (والبصل) حار يابس وقيل رطب يقطع البلغم الا أنه يضر الشقيقة وصداع الرأس ويولد أرياحا ويظلم البصر وكثرة اكله تورث النسيان ويفسد العقل (وأما منافعه) فانه يطرد الوباء وينفع من تغيير المياه ويفتق الشهوة ويهيج الباه ويزيد فى المنى ويحسن اللون واذا سحق وعجن بالعسل ووضع على الكلف الغليظ والقوابى والبهق الاسود نفع من ذلك واذا دق ناعما وطلى به موضع الشعر نفع داء الثعلب وهو معط شعر الرأس والاكتحال بمائه يذهب الغشاوة ويصلحه الخل واللبن اذا اكل به (ولو كان بالكرات كان ضريف) اى لانه حار ابن يهيج المعدة والدم الا أنه مثل البصل فى ظلمة البصر وتولد الارياح كما تقدم لكنه يشد العصب وينفع البواسير ويصلحه الاكل بالشيرج واكل البصل والثوم والكرات نيئا مكروه لداخل المسجد ان لم تزل رائحته (فائدة) رأيت فى بعض الكتب ان جميع البقول نزلت فى مائدة سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام الا الكرات (واما بصل) العنصل فله خواص جيدة مذكورة فى الطب ومن العجائب ان الذئب اذا وطئه مات لوقته ولهذا أن الثعلب اذا خاف على نفسه من الذئب يأتى بالبصلة منه ويضعها على باب جحره فاذا رآها الذئب او شمها هرب ولم يأت اليه فتكون وقاية له فسبحان من ألهمه هذه الحكمة وقوله (ضريف) اصله ظريف بالظاء المشالة لا بالضاد المعجمة اتى بهذا اللفظ جريا على اللغة الريفية اى كان فيه الظرافة بمعنى انه يكون اخف ضررا من البصل وان كان اقوى ارياحا فانه اعظم شهوة والذ اكلا فلا بأس به اذا حضر فيكون هو المراد (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ من الالبان يشربه (فقال)

ص على من شرب متردملان مطنبر * من اللبن الحامض يرف رفيف

ش قوله (على من شرب) الشرب هو مجاوزة الماء وغيره من المائعات الفم الى داخل الجوف فهو كالاكل قال الله تعالى فكلوا واشربوا وقال تعالى فشربوا منه الا قليلا لا ما وضعه الانسان فى فمه وأخرجه كالدخان المستعمل الآن فلا يسمى شربا حقيقة

بل

بل من باب المجاز وقوله (مترد) وهو اناء من فخار احمر أصغر من الشالية وهو غالب أوانى الريافة خصوصا فى اعراسهم وأصله مركب من فعلين مات وردّ لانه لما عمل فى ابتدائه وكسر عملوا بدله فقالوا ردّ بعد ما مات ثم حذفوا الالف وجعلوها علما وقالوا مترد وهو على وزن مقعد لا مسند فتمنى اللبن الذى داخله لا نفس المترد لانه ظرف لما حواه فلا يتصور شرب المترد بعينه وقيل سمى بهذا الاسم لتردد الخبز فيه ووضع الطعام عليه فيكون من باب تسمية الظرف بمعنى المظروف او انه عمل بمدينة تسمى ماتريد التى ينسب اليها الشيخ الماتريدى نفعنا الله به وقوله (ملان) اى غير ناقص حتى يكون فيه القناعة من جهة الشبع والرؤية لان الناقص ربما استقله الانسان ولم يقنع برؤيته فتمنى أن يكون ملآنا وقوله (مطنبر) على وزن مزنبر او مطرطر يقال كس مزنبر وزب مطرطر اى عالى عن حوافيه لشدة حموضته ويبسه يقال فلان بطنه مطنبر اى منفوخ ومات واطنبر اى انتفخ كما يقال دم يطنبر بطنك مثلا أى تموت وتنتفخ ويقال للشد الحجازى المعمول بالحرير الاصفر والابيض شد مطنبر وعلى قياسه الشد البلدى ولعله وصف بهذا اللفظ لكونه اذا لفه الانسان على رأسه صار كبيرا عاليا مطنبرا كما يعلو اللبن الحامض عن حوافى المترد وهو مشتق من الطنبرة وهى التحليك للاولاد الصغار (قال الشاعر)

اذا كنت آلاتى وطبعك رقى * طنبر برقه واعتبر بالمشنوق

(واصل) هذا الكلام ان شخصا من الفساق اخذ ولدا واراد أن يحلك له فزلق العيار فدكه فمات الولد وشنق الرجل فقيل له كلام كثير لم يحضرنى منه غير هذا المطلع او أنه من الطنبورة على وزن العصفورة (قال الشاعر)

ايا عصفورة البستان كم ذا تنبشى * بايدك ورجلك ما فى الارض شئ

وقوله (من اللبن الحامض) قيده بالحموضة لعدم وصوله الى اللبن الحليب فلاجل هذا قال أشتهيه ولو كان حامضا الان غيره بعيد على وخصوصا اذا كان فى شدة الحر فان شربه يسكن عطشه ويروى فؤاده اذا كانت حموضته معتدلة فانه بارد رطب وأما اذا خرج عن الحد فى الحموضة فيضر وكلام الناظم يدل على انه انما اشتهى ما خرج عن حد الحموضة بدليل قوله الآتى يرف رفيف وأجود الالبان لبن البقر لانه موافق لسائر الطبائع والادواء وقوله (يرف رفيف) اى صار من الحموضة الشديدة يرف كما يرف جناح الطائر بمعنى انه يسمع له غليان وبقبقة تحاكى رف الجناح ويرف على وزن يسف أو يلف ورفيف مصدر حذفت منه الالف كما سبق فى نظائره وهو مشتق من رف الخشب الذى يعمل فى البيوت أو من الرفرافة التى يعملونها قبل رمضان أو اخر شعبان من الدجاج أو من الاوز وغير ذلك (ثم ان الناظم تمنى شيأ اخر تستعمله اهل القرى القريبة من البحر الملح أو من البحائر المالحة ونحوها (فقال)

ص على من جتو أم الخلول لدارو * ويعزم على أهل البلد ويضيف

ش قوله (على من جتو) أى جاءته بواسطة وخصرت اليه (ام الخلول) وهى حيوان يتكون من داخل المحار الصغير الذى يشبه اللؤلؤ يوجد على ساحل البحر الملح أو جوانب البحار المالحة وله سرعة الحركة فاذا مسه انسان سكن وصار كالحجر حتى يفارقه وهذا الحيوان منطبق عليه محارتان صغيرتان ولونه ابيض ثخين يشبه لون المنى أو المخاط فيأخذونه وينزعونه من هذه المحار أو القوقع ويضعون عليه الملح والخل او الليمون وياكلونه وربما اخرجوه وهو طرى ولوثوه بالملح واكلوه وهذا اقبح انواع أكله واردأها واخبثها نعوذ بالله منه ولله الحمد والمنة على عدم الاكل منها والطبائع السليمة تمجه وتاباه وتعافه الانفس وأما طبائع أهل الريف فلا تطالبنا بها فانها خبيثة ولا تطلب الا الخبيث وله عندهم لذة عظيمة وموقع فى نفوسهم الذميمة فمن له طبع سليم لا يمكن أن ياكل منه ولا يراه لان رؤيته ترث القرف فضلا عن اكله وكنيته بام الخلول لتواتر الملح والخل والليمون عليه عند الاكل وقوله (لدارو) اى دار الناظم يعنى انه لا يتعب فى مجيئها بصيد ولا شراء بل يصبح يراها فى داره أتى بها على سبيل الهدية أو الصدقة وقوله (ويعزم على اهل البلد) اى يجمعهم لهذا المأكول النفيس الذى يشبه عف الكلاب ويضيفهم فى داره أى يكرمهم به يقال فلان عزم على فلان أى عزم فى نيته وجزم فى يقينه أنه يأخذه ويكرمه أو عزمه بمعنى اذن له أن ياتى الى داره ويكرمه بطعام أو غير (ويضيف) معطوف على يعزم وهل هو مغاير له لان العزم خلاف الضيافة فيكون قد عزم بالنية اولا على ان هذا الشخص لا بد من حضوره وانه ينضاف اليه أى يتبعه الى المحل الذى يريد اكرامه فيه أو المعنى واحد فيكون من اضافة الشئ الى مرادفه ومصدره ضاف يضيف ضيافة أو ضيوفا وسمى الضيف ضيفا لانه ينضاف الى من يكرمه بمعنى انه يكون هو واياه حكم الكلام المضاف لا ينفك عنه حتى يدخل عليه التنوين فيفصله عن الاضافة (قال الشاعر)

كأنى تنوين وأنت اضافة ■ فحين ترانى لا تحل مكانيا

فاتجه المعنى القشروى عن البحث الهبالى (ثم ان الناظم انتقل) من تمنيه الى شئ آخر يقرب فى الخباثة من ام الخلول (فقال)

ص انا ان شفت عندى يوم طاجن مشكشك ■ فهذا اليوم البسط والتصقيف

ش قوله أنا (يعنى) أبو شادوف لا غيرى (ان شفت) الشوف ضد العمى أو من الشيافة بمعنى رأيت (عندى يوم) فى المنزل أو فى المحل الذى أنا فيه أو الغيط أو الجرن مثلا (طاجن) اسم لاناء فخار مدور واسع الجوف يطبخ فيه السمك والارز واللحم والطير وغير ذلك ويستعمل فى سائر البلاد لكن لا يكون استواء الطعام فيه الا فى الفرن وهو مشتق من التطجين أو من الطجانة أو من وطئ الجن لان لفظ طاجن من الالفاظ المعميات بمعنى ان انسانا وطئ جنا أى داس جماعة من الجن فيكون تركيبه من جملة فعل وفاعل

ومفعول والفاعل محذوف تقديره أنت أى طأ أنت جنا ومثله طافية أى طائفة من الناس وقسم آخر من المعميات غير ما تقدم كقول بعضهم فى اسم جاد خذ فارغ واملاه ماء ومن النظم قولى فى اسم شحاته

سلب الناس دلالا ＊ رألف من بعد شح
قلت بدرى ته كمالا ■ ثم معناك بشرح

ولم أر فى المعميات ارق من قول بعضهم فى اسم أحمد

وراكعة فى ظل بان تعلقت ■ بلؤلؤة نيطت بمنقار طائر

وقوله (مشكشك) على وزن محكك اسم للطعام الذى تمنى رؤيته والاكل منه وهو جلود الفسيخ يأكلون لحمه ويأخذون جلوده فيغسلونها بالماء ويضعونها فى طاجن ويخرطون عليها بصلا ويضيفون عليها شيئا يسيرا من الزيت الحار ويدخلونها الفرن حتى تستوى ويأكلونها بالخبز وربما وضعوا عليها شيأ من الكسب المذاب بالماء يجعلونه بدل الطحينة وهذا له موقع عظيم عندهم وعند نسائهم كأنه خاروف شوى ولهذا قال (فهذا) بالدال المعجمة جريا على اللغة الريفية كقول بعضهم فى هذا المعنى مواليا

لك وردتين على الخدين يا هادالك
واللى بلانى بعشقك آه لو أبلالك
وحق من سجت لو فى السما الاملاك
لومات لى كل يوم أخين ما أسلاك

وقوله (يوم) اى فهذا اليوم الذى يأتينى فيه هذا الطاجن المشكشك هو يوم (البسط) ضد القبض أى بسط النفس وانشراح الصدر لحصول المنا وتيسير المطلوب وحضور المرغوب فيه وسد الجوعة وسرور أهل المنزل او الجماعة الحاضرين معى وقت مجيئه الى (قال الشاعر)

ان من اطيب اوقاتى ■ حين اكون مبسوطا بذاتى

(والتصقيف) عطف على البسط مشتق من القصافة يقال فلان اليوم قصف بتشديد الصاد المهملة أى مسرور وفرح ماش مشية الخيلاء متحزم بسير وسكين راخى أطراف البردة تجر على الارض أو انه لبس اليوم قميصا جديدا او ارخى فوقه البردة وهو اليوم قصف الكفر بمعنى ان ما هنالك أحد فى الكفر اشلب منه ولا اعيق او انه مشتق من قصف العود وهو كسره أو من قولهم (قصفه تحيلك) أو فلان جتو قصفه مثلا (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى هذا الطعام مشكشكا وما معنى هذا الكلام وهذا اللفظ وما مناسبته لجلود الفسيخ (الجواب القشروى) أن يقال ان هذا الطعام لما كان يشبه فى طعمه المش والكشك اذا خلطا معا ركبوا اسمه من مجموع الاسمين مع تغير الحركات وقالوا مشكشك أو انه مأخوذ

في الطعام كله (كلف تجد) (قيل) لما نزل السلطان قايتباي بدمياط واجتمع بالعيني الذي بنا العينية وهي مسجد على سمة مساجد الملوك فعمل للسلطان ضيافة عظيمة وخصه بصحن من الذهب فيه دجاجتان ووضعهما بين يديه فأكل السلطان منهما فلم ير طول عمره ألذ طعاما منهما فقال له من صنع لك هاتين الدجاجتين فقال له جارية عندي فقال له هل من سلو عنها فقال هي ومولاها في خدمة الملك فأهداها له فلما أتى بها الى مصر أمرها أن تصنع له دجاجتين ففعلت فلم يقعا الموقع ولم يجد لهما اللذة مثل اللتين أكلهما في دمياط فعاتبها الملك فقالت له ياسيدي الذي صنع لك الدجاجتين طبخهما في اناء من ذهب وكان مائهما ماء الورد والخلاف والحطب من العود القماري وحشاهما بحرارات كثيرة مع المسك والعنبر الخام وغرفهما في صحن من الذهب فمن هذا حصل هذا فتعجب الملك رحمه الله تعالى وقوله (في الدار عندنا) أي في دار الناظم لاغيره لانه هو الذي تمناه ولهذا قال عندنا أي في محلنا لامحل غيرنا لاجل أن تاكل منه العيال ويسروا بوجوده وسميت الدار دارا لتدورها بالطوب الاحمر والحجر النحت وغيره وهذه صفة دور المدن وأما دور بلاد الارياف فانها تبنى بالكرس وربما يكون فيها الوحل والجلة أيضا ولان الشخص يدور ويرجع اليها اوانها مشتقة من لعب الدارة التي يلعبها اولاد الريافة بعد الغروب يقعد ولد منهم على قرافيصه ويقعد ولدا آخر يجعل ظهره في ظهره وتدور الاولاد حولهما يضربونهما فاذا امسك واحد منهما ولدا أجلسه مكانه فيتعلمون من ذلك خفة الايدي وسرعة الضرب والمشي ونحوه وقوله (واندف منها) أي من الخبيز ومعناه يأخذ منها بسرعة ويحشي في بطنه فصار يشبه نداف القطن اذا أخذه بالقوس وحشاه في الطراحة ومن هذا يقال فلان الليلة ندف متردين من العدس أو من البيسار أي أكلهما بسرعة أوانه مشتق من أحمد الدنف من شطار مصر الذين تقدموا وسيرته مشهورة عند المخرفين وقوله (بالعويش) تصغير عيش سمي بذلك لان به قيام المعيشة لما قال (الشاعر)

لاتركنن الى الثياب الفاخره ✱ واذكر عظامك حين تمسي ناخره
واذا رأيت زخارف الدنيا فقل ✱ لهم ان العيش عيش الآخره

ولذلك قال الامام الشافعي رضي الله عنه فيما حكاه الذهبي في ميزانه والدميري في حياة حيوانه

ليت الكلاب لنا كانت مجاورة ✱ وليتنا لانرى ممن نرى أحدا
ان الكلاب لتهدى في مرابضها ✱ والناس ليس بهاد شرهم أبدا
فانجو بنفسك واستأنس بوحدتها ✱ تبقى سعيدا اذا ماعشت منفردا

وقال آخر

يكفي الذين تقدموا شرفا على ✱ من بعدهم يمشي على الغبراء

من شكشكة المرأة له بعود او بالملعقة عند قرب استوائه لتختبر حاله أو من قولهم شكشكه بالابرة أو انه من اللفظ المقلوب وهو شم كشك فيكون الذي اصطنعه اولا لما طبخه شمه فقال ماشم هذا فقال بعضهم شم كشكا أي شم طعاما رائحته في الحموضة كرائحة الكشك ثم انهم قدموا الميم على الشين المعجمة وجعلوه علما وقالوا مشكشك بفتح الشين الاولى وكسر الثانية وجزم الكافين فاتجه المقال عن هذا الهبال (ثم ان الناظم) اشتهى شيأ آخر من الخضروات يطبخ ويؤكل عند أوانه وهو اطيب مأكول أهل الريف (فقال)

ص متى انضر الخبيز في الدار عندنا ✱ واندف منها بالعويش نديف

ش قوله (متى) أي أجزم وانوي الى متى (انضر) بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وبالظاء المشالة على اللغة الفصحى أي انظر بعيني لا باذني ولا بفمي لان النظر خاص بالعين قال الشاعر

عيني نظرت وآفتي من عيني ✱ مايقتلني الا سواد العين

(الخبيز) بضم الخاء المعجمة وتشديد الموحدة وتجمع الخبيز على خبوز وخبابز وخبازين وخبازات وهكذا من هذه الجموع القشروية وثانيه خبيزة وهي المرادة بقول الناظم لرجوع الضمير اليها كما سياتي في قوله واندف منها وهي مشتقة من الخبزلان ورقها في التدوير يشبه اقراص الخبز وهي تنبت في اطراف الزرع من كثرة الامطار وفي الاراضي المنخفضة وغيرها واجودها ماكان ساقه طويلا وورقه عريضا شديد الخضرة وهو النابت في جوانب الزرع أو النابت بالبرز وأرداها القصيرة الساق المائل ورقها الى الزرقة وهي البعيدة عن الزرع والماء وهي التي تطلع وتنبت في المقابر وفي منخفض الارض المسبخة وهي باردة رطبة تلين الطبيعة وتفتح السدد وتسكن الحرارات وهي قريبة في اللطف من طعام الملوخية اذا عملت بالشروط الآتية ثم ان أهل الريف ياخذون ورقها ويخرطونه مثل الملوخية ويضعون عليه الكزبرة الخضرا ويقلون لها بالبصل والشيرج ويفتون فيها الخبز الشعير وياكلونها وهي غالب طعامهم مدة اقامتها عندهم ولا يكلفونها شيأ ماعدا البصل والشيرج وشيء يسير من الكزبرة كما تقدم فهي غالب ماكولهم في زمن الشتاء كما تقدم وأهل بلاد البحر يطبخونها بالارز والدجاج وغيره وأهل المدن يطبخونها باللحم الضان والدجاج ويضيفون عليها الادهان والسمن البقري والحرارات ونحو ذلك فلا تاكل الا بهذه الكيفية فتكون بهذا الحكم خفيفة لذيذة الطعم وأما فعل اهل الريافة لها كما تقدم فوجوده كالعدم وكذلك أهل بلاد البحر فانهم ولو عملوها بالدجاج لا يضيفون لها سمنا ولا دسما الا الارز والشيرج لاغيره وعلى كل حال فهي ارق من طعام الريافة المتقدم ذكره وألذ ما كولها في بلاد المدن لانهم يكلفونها فيصير لها في الما كل لذة ولها خفة في الهضم ومنفعة عظيمة وقالوا

انى لأحيي اذا أمرّ بذكرهم ▪ وأموت من نظرى الى الاحياء

اوانه مشتق من عش الطائر لتدويره مثل تدوير العيش * وأما تسميته خبزا فهو من التخبيز وهو التنضيج بالنار يقال فلان ضرب فلانا حتى خبز اضلاعه أى صار الضرب فوقها مثل نضج الخبز او كسرها كما ان الخبز آيل للتكسير مثلا او يكون خبز اضلاعه بمعنى فكها من بعضها البعض وقوله (نديف) على وزن نتيف وهو الذى ينتف ذقنه لاجل الخنات أو كان به مرض الابنة اعاذنا الله منها فانها داء يغلى فى الدبر بحرقة كغلى الدود فى العفن (قال الشاعر)

فانه مرض كالنار مشعلة ▪ يغلى كغلى الدود فى العفن

واكبر دوائها ما ذكره الشعرانى نفعنا الله به أن يحتقن بماء الفسيخ السائل منه مرارا فانه يبرأ باذن الله تعالى وأصله ندفا فصغر لاجل الروى أى أندف من الخبز ندفا كثيرا حتى اشبع شبعا مفرطا ليس بعده جوع بقية اليوم أو بقية الليلة ثم انتقل من الخبزة الى الباقلة الخضرا (فقال)

ص متى انضر الفول المشيوى بفرنتا * ولفو بقشرو والعروق لقيف

ش قوله (متى انضر) يعنى كما تقدم فى البيت الذى قبله (الفول) الاخضر اذا أتى به من الغيط ووضع فى الفرن وصار مشويا والمطلوب أن يكون هذا الفول (المشيوى) تصغير مشوى على وزن عطيوى أو خريوى وخريوى فيها يقين التصغير والوزن (بفرنتا) لا بفرن غيرنا (ولفو) أصله وألفه بالهمز تركها لضرورة النظم من اللف وهو حشو الفم وسرعة البلع والمضغ من غير تأمل ولا تفتيش فى المأكول ولهذا قال (بقشرو) أى اكله من غير نزع قشره من فرحتى به ومن شدة الجوع (والعروق) معطوف على القشر أى والف عروقه أيضا (لفيف) أى الفا زائدا بحرقة قوية وشهوة بهيمية حتى اكتفى منه ولا أنظر الى خشونة بلعه لكونه بالقشر والعروق على حاله ولا أفعل كما يفعله غيرى من انه يخرجه من الفرن ويضع عليه الملح ويبقيه حتى يبرد ويقشر منه ويأكل فانا لشدة اشتياقى اليه وكثرة الجوع والقل والعترة ألفه بجميع ما عليه (فائدة) الفول الاخضر قيل شيء بارد رطب وقيل بارد يابس ويعدله الاكل بالملح والصعتر ونفع أكله حارا او مشويا بنزعه من قشوره جميعها وأكله بالسكر وفى بعض كتب الطب من أكل الباقلا اربعين يوما وأصابه مرض الجذام فلا يلومن الا نفسه ومتى اكلت المرأة الباقلا اربعين يوما لم تحبل ابدا وقد عدوه من موانع الحبل ثم انه اشتهى شيئا مما يخبز وتمنى حصوله (فقال)

ص متى أنضر ان طحن الطحين وجبتو ▪ وبطط لى منو فطير رهيف

ش قوله (متى انضر) تقدم معناه (ان طحن) احد الطحانين (الطحين) الذى وضعه

فى الطاحون ورحت اليه ورأيته (وجبتو) اى جبتو بعد أن أعطيت الطحان اجرته الى منزلى (وبطط) على وزن وضرط وبربط فيها يقين المناسبة وهو مشتق من البط وهو طير يربى فى الدور يشبه الاوز الا انه صغير عنه وارجله قصيرة جدا او من البطبطة او من البطة التى يوضع فيها السمن وغيره او هو من الهلفطة لاكلام (مسئلة هبالية) لاى شئ سمى مجموع القمح طحين وهل هذا اللفظ صفه او علم عليه (قلنا الجواب القشروى) انه كان أولا قمحا لا كلام ثم طرأ عليه الطحن فنقله من حالة الى حالة اخرى فيكون من تسمية الشئ بما طرأ عليه من الوصف الذى قام به ونقله من حال الى حال فكان أولا معروفا بالقمح فلما دارت عليه الطاحون وطحنته اندرس اسمه الاول وصار طحينا فكذلك الانسان لما دارت عليه المنية خفى اسمه وصار ميتا وطحنته الارض ومضى أمره الى أن يبعث فاتجه الجواب عن هذه الابحاث القشروية وفى بعض نسخ المتن ان طحنت الطحين باثبات التاء المثناة من فوق فيكون هو الذى طحنه بنفسه وهذا هو الاولى لان اهل الريف يجعلون فى الدار او الكفر طاحونة مشتركة بينهم وان كان عند الرجل منهم طحين ياخذ ثوره ويعلقه ويطحن عليه واما بلاد البحر فانهم يطحنون بالاجرة وطواحينهم كلها بالخيل حكم بلاد المدن ولا يفعل ما تقدم الا ببلاد الكفور والقرى الصغيرة ولا شك أن الناظم منهم كما تقدم فى ذكر قريته فلهذا قال ان طحنت الطحين وجبتو وبطط أى عجن بالماء أو شئ من اللبن وناخذ القطعة العجين وأضعها على خرقة او ردة النخال او قرص جلة مثلا وأخبطها بالكف حتى ترق وناخذ غيرها فيحصل لى (منو) اى من هذا العجين (فطير) مشتق من الفطور لكونهم يفطرون به او من الفطرة أو من عيد الفطر (رهيف) صفة للفطير أى طرى رقيق وفى كلامه اكتفاء فانه ذكر الفطير وكيفية عمله ولم يذكر أكله فيفهم من الكلام انه لما بطط الفطير خبزه فى الفرن اوفى الجورة التى يصنعونها فى الزريبة ويحطون عليها الزبل وفى بعض الاحيان الجلة أيضا وناكل منه حتى اكتفى (ثم ان الناظم) اشتهى ماكولا آخر (فقال)

ص أيا مطيب الجلبان والعدس اذا استوى ▪ وشرش بصل حولو وميت رغيف

ش قوله (ايا ماطيب) فى الطعم واللذة (الجلبان) على وزن الجديان أو الخرفان مشتق من جلبة النبوت أو أن الذى زرعه سقاه فى الاصل على ثور جلب أو من جلبة العبد والجلبان نبات يزرع حبه يشبه حب الملوخية وله قرون صغار مثل قرون الملوخية مشتبك فى بعضه البعض مثل البرسيم يزرعه أهل الريف ويأكلونه مثل الفول الاخضر وربما طبخوه بالعدس وأكلوه كما قال الناظم ويزرعونه كثيرا وتأكل منه البهائم ايضا وقوله (والعدس) معطوف عليه اى وما أطيب العدس معه والعدس معروف لا يحتاج الى بيان (اذا استوى) فانه لا يؤكل نيئا بخلاف الجلبان بل يؤكل مطبوخا وهو بارد

يابس ثقيل يشبه الدخن فى فعله ويمسك اطلاق البطن ومرقه انفع من حبه واكله يرق القلب (وفى ذهر الكمام) ان بعض الانبياء عليهم الصلاة والسلام شكا الى الله تعالى قسوة قلوب قومه فاوحى الله اليه * أن مرهم يأكلوا العدس فانه يرق قلوبهم ■ (وفى الحديث) عليكم بالعدس فانه يرق القلب ويكثر الدمعة وقد بارك فيه سبعون نبيا * والاكثار من اكله يخاف منه الضرر * وفى القاموس الاكثار منه يرث الجذام ويضر بالعصب ويولد الاخلاط السوداوية (وقال) بعض الاطبا يعدله السلق الاخضر وطعامه على نوعين مدشوش وهو اخف من غيره وغير مدشوش ويسمى عدسا بجبته واهل الريف يضعونه فى البوشة الفخار ويحطونه فى محماة الفرن اوفى الفرن ويغمرونه بالماء حتى يستوى ويفركونه بالمفراك ويقلون له بما تيسر من الشيرج اوالزيت الحار والبصل مثل البيسار (واما اهل المدن) فانهم يطبخونه طبخا جيدا ويضعون عليه دهن اللية والسمن الخالص والحرارات خصوصا ابناء الترك فانهم يكثرون فيه الادهان وربما فعلوه باللحم الضان ولهذا ياتون به فى رأس السماط فهو عندهم له موقع عظيم وربما عملوه بالقلقاس اذا كان مدشوشا وهو ألذ وأطيب * وبلاد البحر يطبخونه بالارز ثخينا يدشونه ويضيفون عليه الارز ويسمونه بغليه بفتح الموحدة وسكون الغين المعجمة وكسر اللام وتشديد الياء المثناة تحت وسكون الهاء المربوطة فى آخره وهذا النوع ثقيل جدا يشبه البسلة فى ثقلها وربما أكلوه بالسعل من غير خبز وكذلك البسلة يصنعونها أيضا بالارز وكل هذا يولد الارياح ويضر بالمعدة خصوصا البسلة فانها أشد فى الضرر وبعضهم استطرد حرف الباء فى اسمها وفى وصفين منها فقال ■ بسلة باردة يابسة * ثم استطرد حرف التاء فى مضرتها فقال * تعشى تقسى تنسى ■ فيكون لف ونشر مرتب ومعناه بسلة تعشى باردة تقسى يابسة ثم قال (وشرش بصل) اسم للحزمة المربوطة منه التى تملأ الكف فانه يقال لها شرش بصل ويطلق على اول خروج الفساء ايضا فهو لفظ مشترك بين الفسا وشرش البصل ولهذا يقال فى (لحيتك شرش) مثلا وهو من الالفاظ التى تقرأ طردا وعكسا اولها مثل آخرها وقوله (حولو) اى حول العدس بعد وضعه مغروفا فى المترد اوالشالية ويكون البصل موضوعا حوله كما جرت به العادة فى بلاد الارياف وغيرها انهم يضعوا البصل حول العدس والبيسار والمش وغير ذلك ويأخذ الرجل منهم بصلة يقطم منها مثل الخيارة واما اهل المدن فيقشرونه ويفلقون البصلة اربع فلقات ويضعونها حول السفرة ولكل شئ مناسبة واذا عصر ماء البصل ذهبت حرارته واعتدل فى الاكل وقوله (وميت رغيف) اصله مائة سهله لضرورة النظم اى من خبز الشعير وذكر هذا العدد لاجل ما ينفى غليله من الاكل او ربما يعزم على احد بالاكل مثلا او يأتيه احد ضيف على غفلة فتكون المائة رغيف فيها المحتمل للاكل منها كما تقدم والتفرقة وكذلك الشرش البصل وهى الحزمة التى تملأ الكف تكون الاخرى تكفيه للاكل منها ولتفرقتها ان شاركه احد

ثم ان الناظم استطرد شيأ اخر واشتهى حصوله (فقال)

ص يا محسن الخبز المقمر على الندى * وفوقو من السرسوب حلب نضيف

ش قوله (يا) ناس ما (حسن) اى ما أظرف والطف والذما كول (الخبز) النظيف الابيض (المقمر) بالنار لا بالشمس (على الندى) اى على الفطور عند نزول الندا وهو الماء اللطيف الذى ينزل وقت الصبح الى نزول الشمس سمى بذلك لانه يندى الارض اى يبلها بللا خفيفا وفيه منافع كثيرة للزرع وغيره وفيه بركة عميمة ويشبه بالسخاء والكرم يقال فلان كفه ندى ويقال فلان ماعنده ندى مثلا والندى قرين الجود قال بعضهم يمدح السلطان زيد ولى مكة المشرفة رحمه الله تعالى

سألت الندى والجود من عهدام * لقد عشتما دهرا وقد متما احيانا
فقال نعم متنا زمانا وعندما ■ أتى زيد والى كعبة الله احيانا

(قال بعضهم) واختلفوا فى الماء النازل وقت السحر على الزرع فقال قوم لا تجوز الطهارة منه لانه ليس من جنس المياه بل هو نفس دابة فى البحر تتنفس وقت السحر فهو ملحق بالعرق حكاه صاحب كتاب الملتقطات من الحنفية ويشهد لهذا القول ان المجربين ذكروا ان هذا الماء اذا اجتمع فى وقت السحر وملئت منه بيضة وقد فرغ ما فيها وسدت بشمعة اوغيرها ووضعت فى الحمام متى أحست بالحرارة صعدت الى السماء وهذا السمو والارتفاع ليس من طبع المياه وانما طبعها الانخفاض فى الارض ويشهد لهذا ايضا أن الندا ليس بماء ثلج ولا برد ولا مطر والله تعالى أعلم (قال صاحب) كتاب الملتقطات ومنهم من جوز الطهارة به لانه ماء وانه لم يتحقق مجيئه من نفس تلك الدابة انتهى (وكان من جملة محاظى الرشيد) جارية فصيحة تقرأ القرآن وكان له خادم اسمه طل وكانت تالفه فامتحنها الرشيد بأن قال لها والله لم تذكرى هذا الخادم قط فكانت اذا قرأت الآية الشريفة لم تذكر الطل امتثالا للامر فلما تحقق منها ذلك فسح لها فى مخاطبته والآية الشريفة قوله تعالى فان لم يصبها وابل فطل انتهى فالفطور فى هذا الوقت على الخبز المقمر فيه منفعة عظيمة ■ وفى كلام الحكماء الكسرة اليابسة مرهم البدن * ورأيت فى بعض كتب الطب ان المعدة يعلوها شئ يشبه الشعر فاذا فطر الانسان على الكسرة اليابسة نزلت على هذا الشعر حكم الموسى فتحلقه فعلى كل حال الفطور على الخبز اليابس المقمر أنفع من غيره (و) خصوصا اذا كان (فوقو) اى فوق الخبز المقمر بعد تكسيره ووضعه فى الاناء (من السرسوب) على وزن الجعبوب وهو اللبن يوضع فيه شئ يسير من اللبن الذى ينزل عقب ولادة البهيمة ويسمونه سمارا يأخذونه ويضعونه فى طاجن فخار احمر ويضعون عليه شيأ من الملح لاصلاحه ومكثه لحاجتهم فاذا ارادوا السرسوب يضعون اللبن فى الدست

ويصبون عليه من هذا اللبن الذى يسمونه المسمار ويفورونه على النار فيقال له المفور ويقال له سرسوب ويفتون فيه الخبز المقمر مع العجوة ويأكلونه وله لذة عظيمة ويجعلونه ايضا فى طاجن ويضعونه فى الفرن بعد وضع المسمار فيجمد ويسمونه لبة بخفض اللام والباء الموحدة ويأكلونه وله لذة عظيمة وافضل الالبان لبن النعاج واجودها لبن البقر لقوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بالبان البقر فان لبنها شفاء وسمنها دواء ولحمها داء) (واجودها) ماشرب من تحت الضرع كما حلب واذا خلط بالسكر خصب البدن وصفى اللون ولين الطبيعة وزاد قوة فى الباه وسمى اللباء لباء لانه مشتق من اللب او من اللبوة او من قولهم (لبك واحد بفرقله) مثلا او من لب الجدى الصغير أمه اذا اراد شربها (قال الشاعر)

فانت كالجندى لماان باب وكـ * ـالجحر والمطوق اسراعا الى اللبن

قوله (حلب) أى قدر حلب وهو اسم لما يملأ المحلاب او المحلبة او انه مشتق من حلب الرجل يده فيكون اسما لما حلب من البهيمة والمعنى ان يكون فوق هذا الخبز ما يعمه من لبن السرسوب المحلوب حليبا (نضيف) أصله نظيف فاذكره بالضاد المعجمة جريا على اللغة الريفية وسكنه لضرورة النظم اى ليس فيه شئ يدنسه من أثر جلة اوغبار يلحقه ونحو ذلك كما انهم اذا تعاطوا الحلب لا يتحاشون عن مسك جلة وغيرها من انواع النجاسات بل ربما لطخوا درة البقرة او الجاموسة بجلة فتحلب اللبن سريعا فطلب الناظم أن يكون هذا السرسوب طيبا نظيفا خاليا عن هذه الامور وان كان معفوا عنها ثم بين كيفية الاكل منه (فقال)

واقعد على ركبه ونص وشمر * عن الكف بايدى ما أخاف مخيف

قوله (واقعد) متأهبا للاكل من هذا الخبز بالسرسوب تأهب الجيعان الشديد الشهوة لهذا المأكول (على ركبه ونص) وهى قعدة القوى الشديد الذى يريد دائما الاكل الكثير والذى عنده شره فى الطعام مثلا واما جلسة الادب فانها بخلاف ذلك بان يجلس الانسان على الركبتين ولا يلتفت يمينا ولا يسارا ويأكل مما يليه ولا يمد يده الى طعام بعيد عنه مدا عنيفا (كما اتفق) ان شخصا قال لآخر وهما فى وليمة يا كلان يا فلان أقدم لك هذا الصحن فقال * أنا ايدى تجيب من مكة ومد يده بعنف فضرط فقال له الرجل بلغ البياض فى مكة كام الكورجة * فخجل وقام من غير اكل وللاكل آداب مذكورة فى بعض الكتب وقوله (وشمر) من التشمير وهو رفع كمه (عن الكف) اى كفه يقال شمر ذيله بمعنى رفعه عن النجاسة وشمر عن ذكره اى أراد عطفة يبول فيها والتشمير المعنوى هو الكف عن الذنوب (قال الشاعر)

شمر فانك ماضى العزم شمير * ولا يهولك أحوال وتكدير

لكن مراد الناظم التشمير الحسى وهو رفع الاكمام ووضع الشمار الذى تصنعه اولاد

الارياف من الصوف ويضعونه فى اكمامهم يرفعون بها اكمامهم وله هداب مائل على كفل الولد الامرد وفيه لهم نوع من الجمال وهو عندهم امر عظيم حتى ان بعض الاولاد يعمله ويجعل فيه من الحرير الاصفر والاحمر والاخضر والاسود حتى يرغب العاشق فيه وغالب أولاد الطبالة يجعلونه حكم اعقصة النساء ويجعلون له عقدا صغارا فى رؤس الهداديب ويزينونه بها وقوله (بايدى) اصلها بيدى لا بيد غيرى فلا احتاج الى احد غيرى يشمر لى بل أنا اتعاطى تشميره بنفسى لاجل خلو يدى عن شئ يمنعها من تناول الطعام وهذا يدل على ان كمه كان طويلا حتى احتاج لتشميره او أن مراده بالتشمير رفع يده وخفضها فى حالة الاكل بسرعة وقوة من غير التفات لاحد ولهذا قال (ما اخاف) اى وآكل من هذا السرسوب ما أخاف من احد يأتينى اويمنعنى عنه (مخيف) اصله مخيفا اى مخوفا يمنعنى عن شهوتى بل لا ابالى اذا حصل لى وظفرت به من احد ابدا ولا يعترينى خوف ولا فزع حتى اكتفى واشبع منه الشبع المفرط ولا أخشى من تهمة ولا غيرها ثم انه اشتاق مأكولا آخر من المأكول أهل الريف (فقال)

ص على من قشع روحو حدا الرز باللبن * ويقطع ويبلع من تقيل وخفيف

ش قوله (على من قشع روحو) اى على من نظر روحه أى ذاته لا ذات غيره (حدا الرز باللبن) أى حذاءه بالذال المعجمة أى محاذيه بمعنى انه جالس بجانبه والارز باللبن طعام لذيذ وهو غالب مأكول بلاد البحر لكثرته عندهم وكثرة الارز أيضا وهو حار رطب ينفع من احتراق المعدة وما ألذه وأطيبه اذا وضع عليه السمن البقرى فى وقت نزوله من على النار ويؤكل بالعجوة الا أنه بالسمن أطيب وأشهى للاكل وكلما كان لبنه كثيرا كان جيدا وكلما قل أرزه كان اجود وارداه الكثير من خلط الماء والارز كما تفعله أهل الارياف فانهم يجعلونه ثخينا جدا يقطعون منه اللقمة مثل ما يقطع الشخص من الطين اليابس وأما ابناء الترك فانهم يصنعون اللبن الخالص من غير ماء ويجعلون فيه شيأ يسيرا من الارز حكم الشرب ولهذا يشربونه بالملاعق فيصير حلوا لذيذا وهذا النوع اجود طعاما واطيبه وطبيخ اللبن على كل حال أطيب من العدس والبيسار وما شابههما (قال الشاعر)

طبيخ اللبن أحسن من الى بكزبره * والعدس والبيسار يجيبوا الحوادر

(واما النوع الذى تمناه الناظم) فهو الذى تقدم ذكره وهو الثخين الذى يشبه الطين فى يبسه لانه المشهور عنده وفى بلاده وأما بلاد البحر فيفعلونه حالة وسطى لا ثخين ولا مائع الا أنهم فى الغالب يضعون عليه شيأ من الماء وأما الناظم فلا يعرف الا الذى فى بلده ولهذا قال (ويقطع) والقطع لا يكون الا من الطعام اليابس أي يقطع بكفه وقوله (ويبلع) من البلع وهو مجاوزة الاكل من الحلق يقال فلان بلع الحوت بمعنى انه دخل جوفه ووصل الى بطنه ومنه سميت البلاعة لانها تبلع الماء

فى جوفها والقطع هو فصل الشئ من الشئ وبعده عنه يقال فلان قطع فلانا مدة بمعنى انه هجره اوبعد عنه وقوله (من تقيل) أى من قطع وافية عن اللقمة المعتادة بحيث تكون اللقمة ملأ الكف وتدمع العين من كبرها (كما ذكرت ذلك فى خطبة كنت الفتها سابقا فى المأكولات وهى هذه (الحمد لله) مستحق الحمد على التحقيق * الذى وفق بين الفرج والضيق ■ وامر بالحج الى بيته العتيق * وجعل السمن البقرى للعسل النحل رفيق * احمده حمد من عنده من الجوع دسيسه * واغاثه الله بقصعة من البسيسه ■ بالفطير الرقيق * فلأ منها بطنه ■ وأحسن بالله ظنه * ونام على راحة من الله وتوفيق * واشكره شكر عبد تقلع عن الحوامض والمش العتيق * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة تنجى قائلها من الضيق ■ وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله الناطق بالصدق والموصوف بالحق والتحقيق * اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله واصحابه أهل الكشف والتحقيق * وسلم تسليما كثيرا * أيها الناس مالى أراكم عن الزردة بالعسل النحل غافلون * وعن الارز المفلفل باللحم الضانى تاركون ■ وعن البقلاوة فى الصوانى معرضون ■ وعن الاوز السمين والدجاج المحمر لاهون * فما هذا يا اخوانى الاحال المفلسون ■ وافعال الفقراء المقلون فجدوا رحمكم الله فى تحصيل الدراهم لتغتنموا المآكل النفيسه * والمطاعم اللذيذه * وقد قال الامام على رضى الله عنه لذة الدنيا ثلاث ■ أكل اللحم * وركوب اللحم * وادخال اللحم فى اللحم * فمن أنعم الله عليه فليشكر * ومن أحرمه فليصبر ■ وعليكم بالارز باللبن ■ فانه طعام جيد حسن * وصباحه أبرك الصباح خصوصا عند الفلاح * اذا باء وحلب بقرته * وأتت زوجته بالدست وعلقته ■ وصبت فيه اللبن وقادت عليه وحركته بالارز الابيض وطبخته ■ وفى الصحون غرفته * فجاء الشيخ الكبير وقعد وثنى ركبته * فعند ذلك يا اخوانى ■ صفت الاوانى ■ ولاذ كل انسان بانسان ■ فلا ترى الايادى تقطع * وأحنكة تبلع ■ وزراديم تفرقع ■ وحلق يتقلقع ■ والعين من كبر اللقمة تدمع ■ والبطن لا تشبع ■ بل تزيد افتعالا * وهى تقول جل ربنا وتعالى ■ فاذا سبقك أخوك بلقمه * فبادر الى جدع رقبته بلعكمه * واغتنموا رحمكم الله تعالى هذه الموعظه * ودعوا أكل المغلظه ■ كالعدس والبيسار ■ والمدمس والفول الحار ■ والبسلة والكشك بالفول ■ وجبن النورالمعمول * فانهما ترث الارياح * وليس فى أكلها صلاح وعليكم بالاطعمة الفاخره * كاللحم الضانى فانه سيد طعام الدنيا والآخره ■ وعليكم بالشراب البارد ■ ففيه حديث وارد ■ واحمدوا الله أيها الاغنياء المتنعمون ■ واصبروا أيها الفقراء المقلون * نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بالاطعمة الفاخره * ويرزقنا واياكم الراحة فى الدنيا والآخره * وأن يجعلنا

واياكم من الآكلين المتنعمين * وينجينا واياكم من موارد الجيعانين المقلين * وأن يغفر لنا ولكم ولجميع المسلمين ■ آمين ■ فاستغفروه يغفر لكم يا فوز المستغفرين (روى) عن سهلب بن مهلب عن زنطاح بن النطاح بن قليل الافراح انه قال * كان رجل من العرب قام من منامه ولذيذ أحلامه وأكل فى فطوره فصيلا ابن عامين وصبر الى ضحوة النهار فاكل أربعين دجاجة محشية باللحم الضانى محمرة بالسمن البقرى وشرب زقين من خمر ونام فى الشمس فمات ولقى الله شبعان سكران ريان (الحمد لله) مزيل الحزن ■ ومزين الارز باللبن * وأشهد أن اللحم الضانى سيد الاطعمة ومصلح للبدن ■ واعلموا أن القشطة لا تترك ■ وأن المهلبية أحسن وأبرك * فتهيأوا لاكلكم وشربكم وأعلموا أنكم غدا بين يدى الله موقوفون * وباعمالكم محاسبون ■ وعلى رب العزة تعرضون ■ وسيعلم الذين جاعوا أى منقلب ينقلبون * اللهم وارض عن الاربعة الاعيان ■ الذين ذكرهم الله تعالى فى القرآن ■ التين والزيتون والخوخ والرمان ■ وارض اللهم عن الستة الباقين من العشره * الاطعمة المفتخره ■ الماوردية والمهلبيه ■ والشعرية بالزغاليل المربيه ■ والارز المفلفل باللحم الضانى المحشى المحمر ■ والكنافة المتبلة بالسمن والعسل النحل واللوز والسكر ■ والقطايف الغارقة بالسمن والعسل ■ والقرع المحشى باللحم والبصل * والبقلاوة الموصوفه ■ وخرفان القسمة المعلوفه ■ والبخنى السمين ■ والقرمزية متعنا الله واياكم بهم أجمعين ■ اللهم وأدم النصر والتأييد والثبات * واجمع الشمل بعد الشتات * ببقاء السلطان السكر النبات * ابن القنانى * من أصله من القصب الملوانى * اللهم وأيده بارماح القصب ■ وبسبايط الرطب ■ وبعناقيد العنب ■ واجمعنا عليه من أول النهار وفى وسطه وآخره * وانصره وانصر عساكره * فى الدنيا تنتفع به يارب العالمين * اللهم واهلك الثلاثة الفجار * العدس والبسلة والبيسار ■ عباد الله من أراد خلع القبول أن تفاض عليه ■ فليأكل الموز بالسكر بين والديه ■ وتفكهوا قبل الطعام * واقتدوا بسنة خير الانام ■ ولا تتضاربوا ولا تتخابطوا وكونوا عباد الله اخوانا ■ ان الله يأمركم بأكل الحلال مما تشتهى العقول * وينهاكم عن أكل الحرام ولو من أطيب المأكول ■ والبغلة ترفصكم لعلكم تنقلبون ■ او تتدقلجون وقوله (وخفيف) أى ويأكل اللقمة او اللقم من صغيرها وكبيرها ليحصل التعادل ولا يغتر بقول من قال

كلوا أكلة من عاش يخبره ■ ومن مات يلقى الله وهو بطين

(فينبغى للانسان) أن يجعل البطن ثلاثة أثلاث ■ ثلث للاكل ■ وثلث للشرب * وثلث للنفس * فلا يفرط فى الاكل ولا يفرط فى الجوع قال صاحب البردة رحمه الله تعالى

واخش الدسائس من جوع ومن شبع * فرب مخمصة شر من التخم

وما أحسن ما جمعه بعضهم فى قوله

أرطاب توت اذا طابت رطوبتها * كبرق ثغر حبيب وهو مخمور
فى بابة أقبل الرمان منعقدا * مثل اليواقيت منظوم ومنثور
ميز بعقلك تلقى الموز فى خجل * مصفر الوجه لما جاءها نور
سل من كيهك عن الاسماك هل صلحت * تنبيك عن حوتها بالشحم ميزور
هل ماء طوبة لم أروت لواقحه * مثل الزلال فلا تحتاج تأخير
كل اللحوم اذا طابت رعيتها * وهل يطيب سوى فى الرعى امشير
فى برمهات ترى الالبان نافعة * سمن الكاذير فى ذا الشهر مشهور
برمودة الزهر قد جاءت مبشرة * سلطانه الورد كل منه مأمور
بشنس تشهد أن النحل جانبه * والشهد يقضى وما فى امره زور
مشمس بأونة لم يلق الهوى أبدا * مسكين ذا المقليل الجهد معذور
وأصبح التين فوق الغصن ناعيه * كأنه فى أبيب جاء مشهور
عنقود مسرى نعم فاغنم فكاهته * فعن قليل تراه وهو معصور
هذى مطائب مافيها مرتبة * والكل فى هذه الابيات مذكور

ثم ان الناظم انتقل الى نوع من الادم قد تمناه (فقال)

ص   على من ملا قحفو جبينه طريه * وراح ورا الجاموس يرعى النيف

ش قوله (على من ملا قحفو) القحف شئ طويل يعمل من الصوف أو الشعر يلبس على الرأس وليس له زى ولا هندام تستعمله الفقراء وغالب الخلابيص ويلبسون شيأ يقال له الطرطور ويلقون عليه القحف لكونه واسعا من جهة الرأس وضيقا من أعلاه قصير عن الطرطور وكان استعمال ذلك فى سابق الزمان كثيرا واستعمال اللبد على أصناف شئ يشبه القحف وشئ يشبه البرانيط والذين يلبسونه يقال لهم صلحاء متصوفون ثم ظهرت القراويق القطيفة وصار لها بهجة ورونق وأنس وظرف فبطل لبس اللبد وغيرها وصار لا يلبسها الا بعض الفقراء المتصوفين المتقشفين ولهذا يقال اخفايا فلان خفوة اللبد ومن هذا قيل فى تركها كلام كثير مثل قولهم (يا لبده مالك فى السوق يا لبده قله خازوق) (وسمى) قحفا لقحافته ويبسه ولهذا يشبه به الرجل السئ الخلق فيقال هذا قحف أى سيئ الطبائع (قال الشاعر فى هذا المعنى)

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه
فهل رأيتم فى الورى * قحفا رقيق الحاشيه

(وهو مشتق) من قحف الحوت أو أن الرجل الذى صنعه اولا كان من قحافة قريه معروفة موقوفة على سيدى أحمد البدوى نفعنا الله به دنيا واخرى وقوله (جبينه) تصغير

جبنه على وزن أبنه وهى واحدة الجبن (طريه) أى عملت فى وقتها أى وقت نزولها من على الحصير التى يعملون فيها الجبن فاشتهى أن الله تعالى يمن عليه بملا قحفه جبنا طريا ولو كان هدية أو صدقة تصدق به عليه أحد أو سرقة فان الرزق ما ينتفع به ولو حراما قال صاحب الزبد رحمه الله تعالى * الرزق ما ينفع لو محرما الخ (وقال) أبو نواس رحمه الله تعالى

يقول لى العذول وليس يدرى * دع المال الحرام وكن قنوعا
اذا أنا لم أجد مالا حلالا * ولم آكل حراما مت جوعا

(فان قيل) لاى شئ تمنى الناظم ملا قحفه من الجبن مع أن القحف لا يعد لشيل الجبن فيه خصوصا وقد قال جبينه طريه فاذا وضعه فى قحفه يحصل له ضرر من وجهين الاول أن يصير لقحفه التقذير من جهة الجبن والثانى ماء الجبن يبل قحفه ويشوش عليه (قلنا الجواب القشروى) من وجوه اما انه تمنى شيأ من الجبن بحيث لو وضع فى قحفه لملاه لكون قحفه طويلا كبيرا حتى يكفيه للادم بقية الجمعة أو الشهر لكونه مفتقرا لذلك ومحتاجا اليه بخلاف ما اذا أتاه شئ يسير لا يكفيه ولا يقوم بأولاده أو أن الكلام على حقيقته لان أهل الريف اذا أعطاهم أحد شيأ من مأكول أو غيره يأخذونه فى أطراف بردهم وأرديتهم وفى اكمامهم وعلى شدودهم التى على رؤسهم وكانوا فى الزمن السابق يضعون الشئ فى قحوفهم فانهم فى الغالب كانوا يضعونها على رؤسهم من غير شئ يلفونه حولها فكان الشخص منهم اذا أخذ شيأ من السوق ولم يكن معه مقطف أو صحن مثلا يضعه فى قحفه وأما تلويث القحف وتقذيره فالناظم لا يبالى بهذا الامر فان قحفه كان يساوى نصفا أو نصفين ومن كثرة استعماله وتداول الايام عليه وطرق العرق والحال الذى هو فيه يبس وصار مثل الخشب فصار لا تؤثر فيه رطوبة الجبن ولا غيرها فينزل الكلام على حقيقته فانتضح الاشكال عن هذا الهبال وقوله و(راح) أى سار وهو مشتق من الروحاء مكان بارض الحجاز أو من الراحة أو من الريح أو من أبى رياح الذى يصنع على غابة طويلة وهو أربع ورقات ملصوقات على أربع قطع من الغاب تلعب به الاولاد الصغار وهو مشهور فى بلاد المدن وغيرها وقوله (ورا) أى خلف (الجاموس) نوع من البقر فان اسم البقر يشمل الجاموس وغيره وهو ضخم كبير غليظ الجلد أسود ويسمى البقر بقرا لانه يبقر الارض أى يشقها وواحدته بقرة وأهل الريف يعايرون الولد الامرد بذلك ويقولون له * أنت بقرة مثلا * يعنى يا كثير الخنات (مسئلة هبالية) لاى شئ لم يقولوا للولد الامرد يا جاموسى مع انها فى حكم البقرة والعجل يطلع عليها ويضربها فهى فى هذا الامر مثل البقرة فلا خصوصية لاحداهما (قلنا الجواب القشروى) من وجوه الاول ان الجاموس داخل تحت اسم البقر كما تقدم بيانه فصار شاملا للنوعين * الوجه الثانى ان لفظة جاموسى مركبة من اسم وفعل فاذا قال الشخص للولد

الامرد أنت يا جاموسى وعا يفهم منه أنت يا ولد جاء رجل اسمه موسى مثلا فكأنه يخبره بذلك فتندفع المعيرة عن الولد الامرد ولا تتوهم ويقال امرأة ولدت جاموسى أى وقت ولادتها جاء رجل يقال له موسى ■ الوجه الثالث أن اسم الجاموس مشتق من التجميس وهو التحسيس يقال فلان يتجمس فى الظلام بمعنى انه يحسس على شئ يأخذه واسم البقر مشتق من بقر الارض أى شقها بالمحراث فكان مثل وضع (الزب فى الكس) مثلا لانه يشقه أى يدخل فيه ومثله الامرد فانه يدخل الزب فى استه مثلا فكان مشبها بالفعل وأما التجمس فهو مشبه بمقدماته والفعل أقوى من الاسم لان التحسيس والتقبيل زرع والنيك حصاده فكان النيك أبلغ من التحسيس فلهذا صار يعاير بذلك الامرد ويقال له يا بقره فاتضح الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (يرعى النيف) أى يسوق الجاموس لاجل ما يرعى لانه هو الذى يرعى بنفسه فالرعى راجع للجاموس أى انه يسوق الجاموس الى المحل الذى ينبت فيه الحشيش المسمى بالنيف وهو يرعى أى يأكل يقال الجاموس أو البقر يرعى فى المحل الفلانى بمعنى أنه يأكل منه وأما قولهم للذى يسوقه ويتعهد مصالحه من حلبه وعلفه وربطه فى الغيط ومباشرته وحراسته ونحو ذلك راعى فلكونه ملازمه وهو تحت كنفه فعليه أن يراعيه بالشفقة عليه والرحمة به ■ والنيف حشيش ينبت فى الارض بنفسه من آثار نزول المياه على الارض وأكثره فى الاراضى التى لا تزرع وهو مشتق من النيفة التى تعمل فى بلاد المدن وهى لحم يشوى فى التنور ويؤكل وله لذة عظيمة أو من النوف التى توضع على رقاب الثيران وقت استعمالها فى الساقية أو المحراث وذكر الجبن ولم يذكر الخبز والظاهر أنه كان موجودا عنده ومضى عليه مدة وهو يأكل منه من غير ادم فاشتهى ملء فمه جبنا لاجل ما يكفيه مدة (وحكى) عن الشيخ محمود عفا الله عنه ان رجلا نشأ له ولد من امرأة ماتت وتزوج غيرها فصارت زوجة ابيه من كراهتها له تنم عليه حتى كرهه والده ثم لما تملكت من عقله قالت يا أبا يا ولدك هذا فقال لها ما المراد قالت تجيب من السوق سما له فسمع كلامها وأتى بالسم وسلمه اليها فقالت له هات لنا لحما نضعه فيه فلما ذبح الجزار أتاها بلحم فعملت للولد طاجن لحم وطيبته بالابزار ووضعت فيه ذلك السم فلما حضر الولد من الغيط كان الوقت قد امسى فقلت له اجلس وكل هذا الطاجن اللحم فقال لها انى لم اصل العصر لان الوقت راح لما اصلى وأجى نأكله فتوجه الى المسجد وكان بعيدا من دارهم فلما صلى العصر أذن المغرب ففتحت ابواب السماء بماء منهمر كافواه القرب فجلس الولد بالمسجد الى أن صلى العشاء فعزم عليه شاب من خدمة المسجد ودعاه الى داره فنام عنده فلما أصبح صلى الصبح وحضر الى المسجد وجلس فيه حتى صلى الضحى ثم انه توجه الى داره فوجد امرأة أبيه سخنت له الطاجن فقالت له لاى شئ لم تجئ فأخبرها بان فلانا عزم على فبت عنده فقالت له اجلس وكل هذا اللحم فانى سخنته لك فقال

ان جالـبذرى الطعام اصطبح بو ■ كما جالـبذرى من الزرع ناجب

وأبوه يسمع ثم قال لما أعلف البهائم لاجل فطورهم بدرى وذهب لعلف البهائم فببركة الصلاة التى صلاها ورأفته على البهائم ألقى الله تعالى فى قلب والده ان الزرع الناجب هو الولد الناجب فقام بسرعة الى الطاجن وكسره والقى اللحم على الارض وداسه برجليه فجاء الولد ونظر ذلك فعسر عليه لعدم معرفته بما هنالك ولا يدرى بما خبى له ونادى والده لزوجته هات له قشطة وقال له كل واسرح فلما أكل وسرح قال لها توجهى الى بيت اهلك بالستر وان جئت لك باحد كائنا من كان سببا فلا تقبليه وان قبلت السياق وجئتى فقبرك فى محل الطاجن تعملى ذلك وتعقديه ولا تعديه والسلام فانظر يا أخى الى من قدم علف الحيوان قبل أن يأكل وواضب على الصلاة المكتوبة كيف نجاه الله من هذه البلية ثم ان الناظم انتقل لتمنى شئ آخر من الاطعمة التى يفعلها أهل الريف (فقال)

ص على من قشع لقانة امو ملانه ■ من الهيطليه اللى لهاترصيف

ش قوله (على من قشع) أى نظر نظرا حقيقيا (لقانة امو) أو زوجة ابيه أيضا واللقانة تأنيث لقان على وزن خرفان ويقال لها القصرية أيضا وهى اناء من الفخار متسع دون الماجور وفوق الشالية سميت لقانة لان الشخص اذا أراد أن يشرب منها يلق بلسانه أو بفمه الماء لانه لا يقدر على حملها أو أن الذى صنعها فى الاصل من لقانة قرية مشهورة خرج منها علماء اجلاء وفضلهم مشهور ومنتفع الناس بعلومهم الى يوم القيامة نفعنا الله ببركاتهم واضاف اللقانة الى امه لكونها كانت لها ولم يعرف غيرها ولا له شئ سواها فتمنى رؤيتها بحيث انها الاته (ملانه) لا ناقصة وسهل الهمزة لضرورة النظم ثم بين الشئ الذى تمناه فقال (من الهيطليه) وهى طعام يعمل من نشاء القمح واللبن ولها لذة عظيمة فى المأكل وهى أخف من الارز باللبن خصوصا اذا اضيف اليها العسل لان النشاء بارد يابس ويعدله الحلو واللبن تقدم انه رطب وقيل معتدل الحرارة والرطوبة والارز حار يابس فيكون النشاء أقل درجة منه وان كان الارز موافقا لكل طعام وفى كلام بعضهم * لو كان الارز رجلا لكان حليما ■ لانه موافق للطبائع وسميت هيطلية من هطل السحاب وهو المطر لكونها تشبه بياضه أو من هطل الثياب وهو طولها وجرها على الارض ولمعانها ولهذا قال الناظم (اللى) بتشديد اللام يعنى التى وهى لغة ريفية (لهاترصيف) أى من جنسها وشدة بياضها ولمعانها أى تضيء ويشتهى أكلها ويلتذ بها يقال فلان عليه ملوطة بيضاء ترصف أى تلمع وتضيء وهى مشتقة من الرصافة بنواحى الشام (ومن اللطائف) ان رجلا مر بين الجسر والرصافة فرأى جارية حسناء بديعة الحسن والجمال وهى تمشى فقال صدق ابو العتاهية ولم يذكر

ماقال فهزت رأسها وقالت بل صد أبو العلاء المعرى ولم تذكرهى أيضاماقال فاعترى الرجل الخجل وتركها ومضى وكان بالقرب منهما رجل سمع ماقالاه فلحق المرأة وقال لها أخبريني ما أردت وما أراد والا أعلمت بكما أمير المؤمنين فقالت له انه عنى بقوله صدق ابو العتاهية قوله

عيون المها بين الرصافة والجسر ■ جلبن الهوى من حيث ندرى ولاندرى

وانا عنيت بقول أبي العلاء المعرّى قوله

أيا دارها بالخيف ان مزارها ■ قريب ولكن دون ذلك أهوال

فتركها وسأل الرجل كاسألها فاجابه بما اجابته به وأفهمته أن الدار قريبة ولكنها بجوار أمير المؤمنين فلا تقدر الى الوصول لمطلوبك فانظر الى قوة حذق الجارية ومعرفتها المقصود وشدة فصاحة الرجل وفهمه المقصود أيضا ثم ان الناظم بين كيفية الاكل من الهيطلية (فقال)

ص واقعد لها بالعزم فى رايق الضحى • واسحب لها مصبوبة ام وطيف

ش قوله (واقعد) أى واجلس من غير استعجال بل أقعد قعدة متمكن من غير خوف ولا فزع ولا أحد يشوش على (لها) اما ان الضمير راجع للقاعة التى فيها الهيطلية ويكون قوله وأقعد لها بمعنى انى آكل منها وهى فيها فيكون أكله من الهيطلية لا نفس القاعة واما ان كان الضمير راجعا لنفس الهيطلية فلا اشكال ورجوعه لها أصوب وقوله (بالعزم) أى بالقوة والشدة أو انه يقعد لها عازما على الاكل منها مثلا (فى رايق الضحى) أى وقت ارتفاع الشمس وهو وقت جواز صلاة الضحى ويقال ضحوة النهار وهو وقت الغداء وخلو الباطن واشتداد الجوع (واسحب) أى ان أخذ أخذا سريعا مرة بعد أخرى لان السحب هو جر الشئ بحبل أو غيره جرا سريعا فيكون سحبه يطلق على الاخذ من غير عدد وقوله (لها مصبوبة أم وطيف) أى من المصبوبة التى تعملها زوجته أم وطيف ووطيف ولدها سمى بهذا اللفظ لكونه كان يضع الجلة أطوافا وقيل كان له دويرة يحط فيها الجلة طوفا بعد طوف وقيل من طوافه حول البقرة فى صغره وأما اسمه الذى سمى به عند ولادته على ماقيل فهو دعموم لكن اشتهر بهذا الاسم وغلب عليه فصار علما واشتهرت امه به فصار يقال لها ام وطيف * وأما المصبوبة فانها تعمل من نوعين من دقيق الحنطة ومن دقيق الارز فاهل الكفور والبلاد التى لم تزرع الارز يصنعونها من الحنطة وأهل بلاد الارز يصنعونها من دشيش الارز ويقال للتى تصنع من القمح قطايف وربما صنعوها من الارز خالصا والفقراء يصنعونها من الدنيبة التى تخرج من الارز عند بياضه مع خلط شئ عليها من دشيش الارز وسميت مصبوبة

لانهم

لانهم يجعلون عجينها مائعا مثل عجين الكنافة ويحمون الفرن ويأخذون نصف قرعة ناشفة أو جوزة هند فارغة ويثقبونها ويجعلونها فى عصا طويلة ويغرفون من هذا العجين ويصبونه فى الفرن أقراصا على قدر أرغفة الخبز وعندها رخاوة وطراوة فسميت بذلك لكونها تصب على هذا الحال * وأما القطايف فانها تعمل فى بلاد المدن من الدقيق الابيض الخاص المقطف وتصب على صوانى صغار يقال لها الرقع من حديد او من نحاس الا أنها صغيرة مثل القرصة وهى ألذ من هذه الانواع واطيبها خصوصا اذا قليت بالسمن وصب عليها العسل النحل ولله الحمد أكلنا منها مرارا وتلذذنا بها ونسأل الله تعالى أن يطعمها لاخواننا الفقراء ويعمهم باكلها لكن هذه بعيدة عن مقصد الناظم بل ولا يعرفها بالكلية وانما اشتهرت فى بلده مصبوبة ام وطيف هذه قيل انها زوجته على ماتقدم وقيل كانت امرأة تصنعها فى قريته مشهورة بذلك وسميت قطايف لان الدقيق الذى تعمل منه مقطف اى منخول من المنخل الرفيع فيكون من باب تسمية الشئ باسم الصفة التى تطرأ عليه وتمام الكلام انه اذا سحب المصبوبة ورأى الهيطلية فيقعد ويأكل منها حتى يكتفى لئلا يفهم احد ان مراده الا النظر وهذا محال (كما قال بعضهم)

النظر بالعين لايقضى ملامه * غير مص الريق ولثم الخال وشامه

النظر بالعين مايشفى غليلك * الا ان واصلت فى بيتك خليلك

واجعل الفضه لمحبوبك رسيلك * وادخل القبه ترى للشيخ كرامه

الى آخر ماقال ويجرى هذا المعنى فى جميع الابيات التى صرح فيها بالرؤية جميعا فان مراده الرؤية مع الاكل وليس المراد النظر الى الطعام لانه مايكفيه ذلك خصوصا مع كثرة شهوته له وشدة جوعه ثم ان الناظم التفت الى مأكول آخر (فقال)

ص الا ياترى اشحال اللبن بعد غلوه * ولو كان بالخبز السخين رديف

ش قوله (الا ياترى) يريد أن يستفهم ويختبر ويسأل ويتحقق عن شئ بعيد عنه لم يره ولم يشاهده مثل مايسأل الانسان عن صديقه الغائب عنه مدة طويلة ولهذا قال (اشحال) يعنى ماحال هذا الغائب كما يقول الرجل اذا قابل صديقه بعد مدة وأوحشه ايش حالك اليوم مثلا (اللبن) الحليب (بعد) وضعه فى الدست و (غلوه) أصله وغليه ابدلت الياء المثناة من تحت واوا جريا على اللغة الريفية أى غليه بالنار يعنى هل له لذة فى المأكل وحلاوة فى الطعم ام كيف حاله (و) خصوصا (لو كان) أى هذا اللبن الحليب المغلى (بالخبز) تقدم تعريفه فى الطعام (السخين) تصغير سخن وصغره لحلاوة اللفظ مثل قول بعضهم

ماقلت حبيبي من التحقير ■ بل يعذب اسم الشئ بالتصغير

فلهذا قال السخين على وزن الطنين أى المسخن بالنار وقوله (رديف) على وزن كنيف مشتق من الردف وهو ركوب الشخص على الدابة خلف آخر والسخين مشتق من السخونة وهى الحمى لحرارتها وسخونة الجسد اذا اعترته أعاذنا الله منها وجعل الخبز رديفا للبن بمعنى أنه لا يفارقه ولا ينفك عنه حتى يؤكل معه فهو مثل الرجل الرديف خلف آخر لا يفارقه ولا يزايل ظهر الدابة فهو واياه على ظهرها لا يفترقان ولا ينزلان الا سوية ولا يفارق أحدهما صاحبه وقوله هذا من باب تلذذ احدى الحواس الخمس يعنى السمع فكأنه يقول لهم أخبرونى عن حال اللبن وعن أكله بالخبز وهل هو على هذه الحالة لذيذ المأكل ولذذوا سمعى بذكره فلعلى أن أراه حقيقة وآكل منه يقينا كما قال أبو نواس

الا فاسقنى خمرا وقل لى هى الخمر ■ ولا تسقنى سرا اذا أمكن الجهر

فان الشاهد فى قوله وقل لى هى الخمر اى لاجل ما ألتذ بسماع اسمها وتلتذ أذناى بذكرها فان الحواس الاربع قد التذت وبقى حاسة السمع وكقول ابن الفارض نفعنا الله به

أدرذ كر من أهوى ولو بملام ■ فان أحاديث الحبيب مدامى

ليشهد سمعى الى آخر ما قال (ثم انه لما اراد) أن يلتذ سمعه باللبن المغلى مع الخبز المسخن اراد ان يلذذ سمعه ايضا بمفروكة اللبن حتى يريد الله له بالاكل من الجميع ويقضى مراده وما ذلك على الله بعزيز فان الله سبحانه وتعالى عند المنكسرة قلوبهم (فقال)

ص الا يا ترى اشحال مفروكة اللبن ■ على زلطها قلبى يرف رفيف

ش قوله (ألا يا ترى) أى يا ترى احد يخبرنى خبرا شافيا (اشحال) أى أسأله عن حال (مفروكة اللبن) أى الفطير الذى يفرك باللبن بمعنى أنه يعمل من الدقيق الابيض الناعم ويخبز فى الفرن أو الجورة ويفرك أى يكسر بالايدى وهو حار ويوضع فى زبدية أو مترد ويصب عليه الحليب حتى يغمره ويمتزج به ويصير مثل الثريد لينا ناعما فى البلع والزلط لان الثريد فيه اللذة وهو أفضل الطعام (وفى الحديث الشريف) فضل الثريد على سائر الطعام كفضل عائشة على نساء العالمين (وورد ايضا) أثردوا فان فى الثريد بركة ثم قال الناظم (على زلطها) وكثرة شوقى اليها وحسرتى على بعدها (قلبى يرف رفيف) أصله رفيفا لانه مصدر حذفت ألفه للضرورة اى يخفق خفقانا زائدا يشبه فى خفقانه رف جناح الطائر من شدة الوجد على زلط هذه المفروكة والزلط مشتق من الزلط بفتح اللام جمع زلطة وهى حجارة صغيرة ملساء تكون فى الرمال وسواحل البحر وسمى زلط الطعام به لملوسته واندفاعه من غير مضغ أو لان اللقمة تحاكى الزلطة الكبيرة لان الزلطة لها قوة وسرعة فى رميها

من اليد كما يقال (زلطة فى رأسك) مثلا يعنى جاءك ضربة زلطة فى رأسك بسرعة حتى يؤثر ضربها فى رأسك فشبهت بذلك لانه يأخذ اللقمة منها بسرعة ويحدفها فى حلقه ويزلطها كما يحدف الرجل الزلطة بشدة وقوة وأيضا الفطير لين واللبن رطب فلا يحتاج الى مضغ اسنان ولهذا تأسف على فراق هذا المأكول وصار من شدة وجده عليه يرف قلبه ويخفق كالغصن الذى عليه طائر يتحرك ويرفرف بجناحيه وهذا من كثرة الشوق ودواعى الشهوة وانتظار حصول المقصود والمطلوب فانك تجد العاشق دائما قلبه يخفق على فراق محبوبه فلا يسكن الا اذا اجتمع به وتحدث معه ولاطفه فى الحديث وآنسه بالمسامرة فهنالك يزول ما به وتسكن حواسه بانسه بحبيبه واجتماعه به قال سيدى عمر بن الفارض نفعنا الله ببركاته

ومشبه بالغصن قلبى ■ لا يزال عليه طائر
حلو الحديث وانها ■ لحلاوة شقت مرائر
اشكو واشكر فعله ■ فاعجب لشاك منه شاكر

الا ان كلام الاستاذ نفعنا الله به ومشربه ليس مما نحن بصدده ثم انه آلى على نفسه انه متى رأى لقانة ابن عمه الآتى ذكره ملانة من الفت أكله كله لشدة شهوته وكثرة جوعه فقال

ص انا ان شفت لقانة ابن عمى مخيمر ■ ملانة من المتفتيت ملو طفيف

ش قوله (انا) يعنى أبو شادوف لا احد غيرى (ان شفت) أى رأيت بعينى لا باذنى كما تقدم تعريفه (لقانة) تقدم بيانها واشتقاقها وتعريفها (ابن عمى) أخو والدى (مخيمر) سمى بذلك لانه كان له نقرة كبيرة يخمر فيها الجلة وربما بال فيها أيضا أو لاتيانه بخميرة العيش لوالدته قبل خبزه أو لاكله من العجين المخمر قبل تقريصه أو لان وجهه يشبه الخميرة المشققة لبشاعته فانهم يعايرون بذلك ويقولون (يا وجه الخميرة المشققة) وقوله (ملانة) أى اللقانة (من التفتيت) جمع فت وهو تكسير الخبز لقما صغارا وكبارا وأحسنها الصغار ويصب عليه العدس أو البيسار حتى يبس ويصير كقطع الحجارة (ملو طفيف) أى ملوا كاملا مطففا يعنى أنه زائد على حوافى الاناء وهو مشتق من تطفيف الكيل أو من طف الماء على الجروف اذا ارتفع عليها أو من الطف محل بنواحى العراق من نواحى كربلاء التى استشهد فيها سيدنا ومولانا الامام الحسين رضى الله تعالى عنه (وملخص قصته رضى الله عنه) قيل ان معاوية لما مات أرسل يزيد لعامله بالمدينة أن يأخذ له البيعة من سيد شباب اهل الجنة سيدنا الامام الحسين فامتنع وخرج الى مكة المكرمة فأتت كتب العراق بأنهم بايعوه بعد موت معاوية فاشار عليه ابن الزبير بالخروج وابن عباس وابن عمر وجماعة من الصحابة اشاروا بعدمه وبينوا له

غدر اهل العراق وما فعلوه بابيه واخيه رضى الله عنهم وقالوا له ان كان ولابد فلا تأخذ اهلك معك فلم يفد ذلك فبكى ابن عباس وقال واحسيناه وارسل ابن عمه مسلم بن عقيل الى اهل العراق يأخذ بيعتهم فأخذها وارسل اليه يستقدمه فخرج سيدنا الحسين من مكة قاصد العراق فعلم يزيد بخروجه فارسل الى واليه على الكوفة وهو عبيد الله بن زياد يأمره بطلب مسلم وقتله ولم يبلغ حسينا ذلك حتى صار بينه وبين القادسية ثلاثة أميال فلقيه الحر بن يزيد التميمي فقال له ارجع فانى لم ادع لك خلفى خيرا وأخبره الخبر ولقيه الفرزدق فسأله فقال له قلوب الناس معك وسيوفهم مع بنى أمية والقضاء ينزل من السماء فهم أن يرجع وكان معه اخو مسلم فقال له لا نرجع حتى نأخذ بثاره او نقتل (وكان) ابن زياد جهز أربعة آلاف وقيل عشرين ألفا للاقاته فوافاه بكربلاء فنزل ومعه خمسة واربعون فارسا ونحو مائة راجل فلقيه الجيش والتمسوا منه نزوله على حكم ابن زياد وبيعته ليزيد ابن معاوية فابى فقاتلوه وكان اكثر مقاتليه الكاتبين اليه والمبايعين له فلما أيقن أنهم مقاتلوه قام فى اصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال (قد ترون) من الامر ما ترون وان الدنيا تغيرت وتلونت وأدبر معروفها واستمرت حتى لا يبقى منها الا صبابة الاناء والا خسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون الحق لا يعمل به والباطل لا يتناهى عنه فليرغب المؤمن فى لقاء الله تعالى فانى لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع الظالمين الا جرما فقاتلوه فكان آخر الامر ان استشهد واستشهد معه سبعة عشر شابا من أهل بيته وكانت هذه الواقعة بكربلاء كما رواه الطبرانى (قال العلامة) سيدى عبد الرؤف المناوى نفعنا الله به فى طبقاته (فان قلت) ينافيه ما ورد عن الطبرانى أيضا عن عائشة رضى الله تعالى عنها انه عليه الصلاة والسلام قال أخبرنى جبريل أن الحسين رضى الله عنه يقتل بعدى بارض الطف وجاءنى جبريل بتربة منها وأعلمنى ان فيها مضجعه (وما رواه سعد) عن أمير المؤمنين الامام على رضى الله تعالى عنه قال دخلت على المصطفى صلى الله عليه وسلم ذات يوم وعيناه تفيضان فسألته فقال أخبرنى جبريل أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات (قلت) لا تعارض لان الفرات يخرج من آخر حدود الروم ثم يمر بارض الطف وهى من بلاد كربلاء فاندفع التعارض والتأم الكلام واستقام على أحسن نظام هذا كلامه نفعنا الله به (ولما فعلوا به ما فعلوا) أخذوا رأسه وأتوا به الى ابن زياد فارسله ومن معه من أهل بيته الى يزيد ومنهم على بن الحسين وكان مريضا وعمته زينب فلما قدموا على يزيد سر سرورا كثيرا وأوقفهم موقف السبى بباب المسجد وأهانهم وبالغ فى اهانتهم ولما وضعوا الرأس الشريف بين يديه صار يضرب ثناياه بقضيب كان معه (وقد) أخرج ابو يعلى عن ابى عبيدة مرفوعا لا يزال أمر أمتى قائما بالقسط حتى يكون اول من يثلمه

رجل من بنى امية يقال له يزيد (وصح) عن ابراهيم النخعى انه كان يقول لو كنت ممن قاتل الحسين ثم أدخل الجنة لاستحييت أن أنظر الى وجه المصطفى صلى الله عليه وسلم وسمعت الجن تنوح عليه كما أخرجه به أبو نعيم وغيره استشهد يوم عاشوراء يوم الجمعة سنة احدى وستين وكسفت الشمس وقت استشهاده كسفة حتى بدت الكواكب نصف النهار واحمرت آفاق السماء مدة ستة اشهر واشتد الظلام حتى ظن الناس أن القيامة قامت الكواكب ترى فيها كالدم ومكثت الدنيا سبعة ايام كأنها علقة والشمس على الحيطان كالملاحف المعصفرة تضرب بعضها بعضا ولم يقلب حجر فى بيت المقدس يومئذ الا وجد تحته دم عبيط وصار الورس الذى فى عسكرهم رمادا ونحروا ناقة فى عسكرهم فصاروا يرون فى لحمها النيران وطبخوها فصارت كالعلقم ولما ساروا برأسه الى ابن معاوية قعدوا فى اول مرحلة يشربون الخمر فخرجت عليهم من الحائط يد معها قلم من حديد فكتبت سطرا بدم وهو

أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

ولما وصلوا الى يزيد بن معاوية أمر برد أهله الى المدينة وأن يطاف برأس الشريف البلاد (وروى) ابن خالويه عن الاعمش عن منهال بن عمرو الاسدى قال والله رأيت رأس الحسين حين حمل وأنا بدمشق وبين يديه رجل يقرأ فى سورة الكهف حتى بلغ الى قوله تعالى أم حسبت أن اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فنطق الرأس الشريف بلسان عربى فصيح وقال جهارا أعجب من اصحاب الكهف قتلى وحملى (وقال ابن حجر) ورد من طريق عن على كرم الله وجهه عن المصطفى صلى الله عليه وسلم قاتل الحسين فى تابوت من نار عليه نصف عذاب أهل الدنيا (واختلفوا) فى رأس الحسين بعد مصيره الى الشام الى أين صار وفى أى موضع استقر فذهبت طائفة الى أنه طيف به حتى انتهى الى عسقلان فلاقاه اميرها فدفنه بها فلما غلبت الفرنج على عسقلان افتداه منهم الصالح طلائع وزير الفاطميين بمال جزيل ومشى الى لقائه من عدة مراحل ثم بنى عليه المشهد المعروف بالقاهرة (وذكر آخرون) انه حمل الى المدينة مع اهله ودفن بالبقيع والذى عليه طائفة من الصوفية أنه فى المشهد القاهرى رضى الله عنهم اجمعين (وقد تقدم) أن الطف محل بالعراق من نواحى كربلاء وأما الفرات فمبدؤه من بلاد فالى قلا من ثغور أرمينية من جبل هناك يدعى ابوزحس على نحو يوم من قالى قلا وهو يجرى فى ارض الروم الى أن يأتى بلاد ملطية ومقدار جريانه على وجه الارض نحو خمسمائة فرسخ وقيل اكثر من ذلك والاكثر من مائه ينتهى الى بلاد الحيرة وهو نهر بين الى هذا الوقت يعرف بالعتيق وعليه كانت وقعة المسلمين مع رستم وهى وقعة القادسية فينصب فى البحر الحبشى وكان البحر يومئذ فى الموضع المعروف بالنجف وكان يقدم عليه هناك سفن الصين والهند وترد الى ملوك الحيرة

(وقد ذكر أن خالد بن الوليد) المخزومى لما أقبل يريد الحيرة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنهما وذلك بعد فتح اليمامة ورآه أهل الحيرة فتحصنوا منه فى القصر الابيض وقصر القادسية وقصر بنى نفيلة وهذه القصور كانت بالحيرة وهى الآن خراب لا أنيس بها وبينها وبين الكوفة ثلاثة اميال فلما نظر خالد بن الوليد الى أهل الحيرة وقد تحصنوا منه أمر العساكر أن تنزل بالنجف وأقبل خالد على فرسه هو وضرار بن الازور الاسدى وكان من فرسان العرب فوقفا قبال قصر بنى نفيلة فجعل العباديون يرمونهما بالخزف فصار فرسه ينفر فقال له ضرار اصلحك الله ليس لهم مكيدة أعظم مما نرى فمضى خالد فنزل فى عسكره وبعث اليهم ان يبعثوا اليه رجلا من عقلائهم وذوى أنسابهم يسأله عن أمرهم فبعثوا اليه عبد بن عمرو بن قيس بن حيان ابن نفيلة وهو الذى بنى القصر الابيض فأتى خالدا وله يومئذ ثلثمائة وخمسون سنة فاقبل يمشى فنظر اليه خالد وهو مقبل فقال من اين أقصى أثرك أيها الشيخ قال من صلب أبى قال فمن أين جئت قال من بطن أمى قال فعلم أنت ويحك قال على الارض قال ففيم أنت لا كنت قال فى ثيابى قال أتعقل لا علقت قال اى والله وأعى قال ابن كم أنت قال ابن رجل واحد قال اللهم اخزه من اهل بلده كلما زيد أن أسأله عن الشئ يجيب عن غيره قال والله ما أجبتك الا بما سألتنى قال أعرب أنتم ام نبط قال عرب استنبطنا ونبط استعربنا قال أحرب انتم ام سلم قال لا بل سلم قال فما بال هذه الحصون قال بنيناها للسفيه نحبسه حتى يأتى الحكيم فينهاه قال كم لك من السنين قال خمسون وثلثمائة سنة ادركت سفن البحر تأتى الينا فى هذا النجف بمتاع السند والهند وأمواج البحر تضرب ما تحت قدميك وانظر كم بينها اليوم وبين البحر ورأيت المرأة تاخذ مكيلها فتضعه على رأسها لا تتزود الا رغيفا واحدا فلا تزال فى قرى عامرة متواترة وعمائر متصلة وأشجار مثمرة وأنهار جارية وغدران متدفقة حتى ترد الشام وتراها اليوم قد اصبحت خرابا وذلك دأب الله فى البلاد والعباد فرجع خالد ومن حضره لما سمعوه منه وعرفوه وكان مشهورا فى العرب بطول العمر وكبر السن وصحة العقل وكان معه سم ساعة فقال له خالد ما تصنع به قال اتيتك فان يكن عندك ما يسرنى ويوافق أهل بلدى قبلته وحمدت الله عليه وان يكن غيره لم أكن اول من ساق الى أهل بلده حزنا وبلاء فآكل هذا السم واستريح من الدنيا فانما بقى من عمرى الا اليسير فقال له خالد هات فأخذه ووضعه فى راحته ثم قال ▪ بسم الله وبالله رب الارض والسماء بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء ثم استفه فجللته غشية وضرب بذقنه فى صدره ساعة ثم أفاق كانما نشط من عقال فانصرف العبادى الى قومه وكان عبادى المذهب وهم النسطورية من النصارى فقال يا قوم قد جئتكم من عند شيطان أكل سم ساعة فلم يضره فصالحوه وأخرجوه عنكم

فصالحوه

فصالحوه على مائة ألف درهم (قال المسعودى) وانما ذكرنا هذه الحكاية لتكون شاهدة لما قلناه من تنقل البحار وتقلب العيون والانهار على مرور الدهور والاعصار وحكاها شهاب الدين بن العماد فى حكايته فى الذيل السعيد كذلك ثم ان الناظم نبه على عدم الاكتفاء برؤيته وأنه لا يكفيه الا أكله جميعه (فقال)

ص قشرته جميعو ماتركت بقيتو ▪ لغيرى ولا عندى بدا توقيف

ش قوله (قشرته جميعو) القشر فى الاكل وغيره أخذ الشئ بجميعه أو اتلافه ويتفاءل به فيقال كعب فلان اقشر وكعبك أقشر ومنه يقال اكعاب واعتاب ونواصى ويقال امرأة قشراء ورجل أقشر يعنى انه قليل البركة قليل الرزق تأتى قلة البركة وقلة الرزق عند حلوله ودخوله على الشخص ونحو ذلك (وكان) فى قريتنا رجل قصاب يقال له سكيكر عشق امرأة جميلة يقال لها كعب الخير فلما شغف بحبها ماتت وتحسر على موتها وحزن عليها حزنا شديدا فقال فيه بعض الادباء (مواليا)

صحبت سكيكر لكعب الخير كانت قال
لو كعب أقشر قشرها بالعجل فى الحال
لو شاورنى الموت أو شفقوا على الامهال
قلت اقتلع بو وخلى كعب فى الخلخال

(ومنه) قصة طويس المذكورة فى الكتب وكلها أسباب يجريها الله تعالى على يد من يشاء من خير أو شر والا فى الحديث الشريف لا عدوى ولا طيرة ولا فال (ونعق غراب) فقال رجل خير ان شاء الله فسمعه بعض العارفين فنهر الرجل وزجره وقال له لا تقل هذا هل الخير والشر الا بيد الله تعالى وقوله قشرته جميعه أى أكلته جميعه ولا أبقى منه شيأ لغيرى لانى مشتهيه وعندى مجاعة شديدة فتى رأيته لا أبقى منه شيأ وهذا من قبيل قلة البركة لان الشخص اذا شره فى الطعام وأرخى نفسه عليه وأكل منه زائدا عن القدر المعتاد ضره وأذاه وتولد منه الامراض ولهذا قيل ▪ وأكثر موت الناس بالتخم (قال الشاعر)

اذا شئت أن تحيى صحيحا منعما ▪ فكل من طعام تشتهيه قليلا
كما قال بقراط الحكيم وغيره ▪ اذا قل أكل المرء عاش طويلا

(قيل) اجتمع عند ملك الهند ثلاثة من الحكماء هندى وروى ومصرى فقال لهم الملك ليصف لى كل واحد دواء لا داء معه فقال الهندى الدواء الذى لا داء معه أن تفطر كل يوم على شئ من بزر الهندبا وقال الرومى الدواء الذى لا داء معه أن تفطر كل يوم على ثلاثة جرعات من الماء الساخن وقال المصرى الدواء الذى لا داء معه أن لا تأكل الا بعد الجوع وأن تقوم وأنت تشتهى الطعام فانك لا ترى علة الا علة الموت فقالوا

كلهم صدق المصرى (ولما أرسل المقوقس) ملك مصر الى النبى صلى الله عليه وسلم الجبار بين ماريه وسيرين وكانتا من مدينة انصنا التى الآن خراب على شاطئ بحر النيل من اقليم الصعيد وأرسل له البغلة المسماة بدلدل وأرسل له عسلا من بنها قريه من قرى مصر من نواحى القليوبية وأرسل مع هذه الهدية حكيما وقال ان قبل الهدية ورد الحكيم فهو نبى فلما وصلت الهدية والحكيم الى النبى صلى الله عليه وسلم قبلها ورد الحكيم وقال نحن قوم لا نأكل الا بعد الجوع واذا أكلنا لا نشبع فلا نحتاج الى حكيم فلما بلغ المقوقس ما قاله النبى صلى الله عليه وسلم قال ياله من نبى عظيم جمع الحكمة فى كلمتين (وفى الحديث) جوعوا تصحوا ▪ فالجوع محل النشاط للعبادة ويتولد منه صحة الجسم وعدم الامراض خصوصا لاصحاب الرياضات وأرباب الخلوات فان نتيجتهم فى ذلك الجوع لما ذكره العارف بالله تعالى الامام البونى فى بعض كتبه أنها لا تصح رياضة من احد وفى قلبه مثقال حبة من شبع وأما كثرة الاكل فانها تنشأ من امور اما من شدة الشره على الطعام أو يكون ذلك عادة (فقد رأينا) من أكل الماجور الطعام ولم يشبع (ورأينا) من اكل مائة بيضة مشوية ولم يشبع (وكان) بعض الجبابرة يأكل الفصيل مشويا فى غدائه فأكله يوما وأراد أن يجامع زوجته فامتنعت فعاتبها فقالت كيف تصل الى وبينى وبينك فصيل (وذكر) سيدى محيى الدين ابن العربى نفعنا الله به فى مواقع النجوم أن ابن عبد الملك كان أكولا مر برجل معه زنبيلى بيض مشوى وتين فأكل ما فيهما فمرض ومات بذلك (وكان الوليد) من ملوك بنى امية جبارا عنيدا وكان يشرب الزق الخمر ويأكل الفصيل وفتح المصحف فرأى واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد فمزقه وانشد يقول

تهددنى بجبار عنيد * وانى ذاك جبار عنيد
اذا ما جئت ربك يوم حشر ▪ فقل يارب مزقنى الوليد

وهذا كله من تعنته وتجبره (وكان المأمون) يأكل كثيرا فاصطنع له بعض الحكماء المأمونية فصار يأكل منها فانسدت معدته وقل أكله لان قليلها يغذى الشخص ولهذا نسبت اليه (وأما ما اتفق) لبعض الاولياء من انه كان يأكل الطعام الكثير الذى يكفى الجماعة الكثيرة فانما هو من باب التصريف واظهار الكرامة (وقال ابن خلكان) كان سليمان بن عبد الملك يأكل كل يوم نحو مائة رطل شامى وكان به عرج (وقال الحافظ) ابن عساكر فى تاريخه ان سليمان بن عبد الملك المذكور كان نهما فى الاكل وقد نقل عنه اشياء غريبة ▪ فمنها أنه اصطبح فى بعض الايام باربعين دجاجة مشوية واربعين بيضة واربعة وثمانين كلوة بشحمها وثمانين جردقة ثم أكل مع الناس فى السماط العام * ومنها أنه دخل ذات

يوم بستانا له وكان قد أمر قيمه أن يجنى ثماره ويستطيب له منها وكان معه أصحابه فأكل القوم حتى اكتفوا واستمر هو يأكل أكلا ذريعا ثم استدعى بشاة مشوية فأكلها ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى بدجاجتين مشويتين فأكلهما ثم مال الى الفاكهة فأكل منها أكلا ذريعا ثم أتى باناء يقعد فيه الرجل مملوء اسمنا وسويقا وسكرا فأكله أجمع ثم سار الى دار الخلافة وأتى السماط فأكل مع الحاضرين كأنه ما أكل شيأ (ومنها) أنه حج فأتى الطائف فأكل سبعمائة رمانة وخاروفا وست دجاجات وأتى بمكوك عنب فأكله اجمع (ومنها) أنه كان له بستان فجاءه رجل ليضمنه ودفع له قدرا من المال واستؤذن فى ذلك فدخل البستان لينظره وجعل يأكل من ثماره ثم أذن فى ضمانه فلما قيل للضامن احمل المال قال كان ذلك قبل أن يدخل أمير المؤمنين (وقيل) كان سبب موته انه أكل اربعمائة بيضة وثمانمائة تينة واربعمائة كلوة بشحمها وعشرين دجاجة مجمرة وفشت الحمى فى عسكره وكان موته بالحمى انتهى والله أعلم (قيل مر رجل) اكول فى سفره واجتاز بقرية فأضافه انسان وأجلسه وكانت زوجته فى الفرن تخبز العيش فأتاه بجانب من الخبز وذهب يأتى بالادم كلما رجع وجده قد أكل الخبز جميعه فوضع عنده الادم وذهب يأتى له بخبز آخر ورجع فوجده أكل الادم جميعه ولم يزل على هذه الحالة حتى أكل جميع ما خبزته زوجته وكذا أكل الادم فقال له الرجل يريد معه المداعبة والمباسطة لما رأى منه هذه الحالة الى أين تمضى فقال الى مصر قال ألك حاجة فيها قال نعم قال له وما هى قال وصف لى بها طبيب حاذق فقصدت الذهاب اليه قال لأى شئ قال أنا رجل قل أكلى وانسدت معدتى ومرادى منه شئ يصفه لى لعلى أقطع فى الاكل فقال له الرجل أنا بقى لى عليك احسان ولكن سألتك بالله اذا قضيت حاجتك من الطبيب ورجعت فلا تمر على منزلى ان كان هذا فعالك ومعدتك مسدودة فكيف اذا اتسعت ثم انه أخرجه من منزله وتوجه الى حال سبيله وقوله (ما زلت بقيتو لغيرى) أى لاحد غيرى قريب أو بعيد (ولا عندى بذا توقيف) أى لا أتوقف فى الاكل ولا استحى من أحد اذا كان مارا ولا أعزم ولا أطعم غيرى منه ولا أنظر فيه ان كان باردا أو حارا أو مقاربا أو من حرام أو من حلال فعلى كل حال لا أنظر لهذا المعنى ولا ألتفت لهذا الامر ولا أطعم غيرى ثم ان الناظم تشوق الى مأكول من السمك المالح يقال له الفسيخ وتمناه واشتهاه فقال

ص أنا خاطرى أكلت فسيخ على النده * أضال عليها باكيا وأسيف

ش قوله (أنا) يعنى أبو شادوف لا غيرى كما تقدم معناه فى ابيات غير هذا (خاطرى) أى مرادى ودائما يخطر ببالى ذلك الامر وأنا متشوق اليه ومشتهيه ومنتظره وهو (أكلت فسيخ) والاكلة واحدة الاكل والفسيخ نوع من السمك يقال له البورى

ونوع آخر يقال له الطوبار يأخذونه ويضعونه على بعضه البعض بعد أن يضعوا على كل رصة جانبا من الملح فينتقع به ثم يسيل منه ماء ثم يضمر ويصلحه الملح ويشده ثم انهم يأخذوه ويبيعوه ويأكله أهل الريف وغيرهم يأخذون الفسيخة منه ويشقون بطنها ويضعها الرجل أو المرأة على يده اليسرى أو في يديه الاثنين ويعصر عليها الليمون وينتش منها لقمة لقمة يأخذ بفمه القطعة اللحم ويأخذ عليها اللقمة الخبز فيصير مثل الكلب الذى ينهش فى الرمة مثلا ويعلوفه ويديه القزارة والرائحة الخبيثة ويأكلونه حتى فى الاسواق وأغرب من هذا انه اخبرنى من أثق به من اهالى سمنود انه دخل مطهرة مسجد ولى على البحر يقال له العدوى نفعنا الله به فرأى شخصا من الارياف قاعدا فى بيت الخلاء ومعه فسيخة ورغيف يأكل منهما فقام عليه وقال له تأكل فى بيت الخلاء فقال له أنت تطردنى من بيت الخلاء وهو مسجد المسلمين والامر اذلك تأخذ منى الفسيخة فخرج من غير استنجاء والفسيخة فى يده وراح الى حال سبيله ولكن له عند نساء الارياف موقع عظيم وشهوة لا يعدلها شئ خصوصا أهالى الكفور وبلاد الملق فانهم لا يرونه الا من النيل يجئ لهم من دمياط ورشيد فى المراكب ويباع عندهم بالقمح والدراهم ولهم فيه رغبة زائدة ويجلب للصعيد وغيره وهو مشهور ببلاد مصر وأما فسيخ البطارخ فانهم يبقوه فى الهواء الى أن يجمد ويصير يابسا عن الفسيخ وهو مأكول الاكابر وسمى بطارخا لان جوفه ملآن بطروخ بخلاف الفسيخ فانه خالى عن ذلك ويأكلون لحمه بالخل والزيت وربما أضافوا اليه الثوم والبصل المخروطين والحرارات وهو شهوة عظيمة فى بلاد المدن وغيرها يكلفون الاكلة منه كلفة زائدة ويأكلونه وحده و يسمونه صرصر بكسر الصاد الاولى ويجعلون البطارخ الذى فى جوفه فى اناء ثانى ويضعون عليه الزيت الطيب أو الشيرج وكل هذا له لذة عظيمة لكنه حار يابس واعتدال أكله فى الشتاء وسمى الفسيخ فسيخا لتفسخه عند الاكل أو أن الذى صنعه اولا خرج منه ريح عند أكله فشمه آخر فقال فسى أخ فركبوا هاتين الكلمتين وجعلوهما علما وقالوا فسيخ (قيل) سمع بعض أهل الريف قارئا يقرأ قوله تعالى وفيها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فقال له يا شيخ وفيها فسيخ فقال نعم وفيها ما تشتهى نفسك الخبيثة وقوله (على الندى) أى وقت نزول النداء لاجل برودة الزمن لان الفسيخ حار يابس فاذا كان فى اول النهار ربما اعتدل أكله هذا اذا كان فى زمن الصيف وأما زمن الشتاء ففى أى وقت كان ويستحب أن يشرب عليه شراب حلو أو يأكل عليه تمر فانه يذهب ضرره وأذاه وقوله (أضال) تقدم معناه (عليها) أى على هذه الحالة والاكلة من الفسيخ لشدة شهوة نفسى الخبيثة اليها (باكيا) أى أستمر على عدم حصول هذه الاكلة باكيا والبكاء هو غرغرة الدموع وسقوطها على الخدود ويقال بكت السماء اذا نزل منها المطر وبكا السحاب قال تعالى فما بكت عليهم السماء والارض

قال

(قال الشاعر)

ولكن بكت قبلى فاورثنى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

وهو مشتق من بك الجرح اذا خرج منه الدم وقوله (وأسيف) سكنه لضرورة النظم لان اصله أضال أسيفا على هذه الاكلة حتى تحصل لى فلا أنفك عن الحزن حتى آكل منها وأشبع والاسف هو شدة الوجد على فقد الحبيب وبعد الصديق (قال الشاعر)

وما أسفى الا على من اوده * ومن لا اود وما عليه ملام

(وقول بعضهم)

وما عتبى الا على من أوده * ومن لا اود ومالى عليه عتاب

(وقال بعضهم)

أعاتب ذا المودة من صديق * اذا ما رابنى منه اجتناب
اذا ذهب العتاب فليس ود * ويبقى الود ما بقى العتاب

(ولبعضهم)

وأنت أخى مالم تكن لى حاجة * وان عرضت أيقنت أن لا اخا ليا
ولست براء عيب ذى الود كله * ولا بعض ما فيه اذا كنت راضيا
فعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

(وقال آخر)

لما رأيت بنى الزمان وما بهم * خل وفى للشدائد أصطفى
أيقنت أن المستحيل ثلاثة * الغول والعنقاء والخل الوفى

(وقال آخر)

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل زره واحذر بواقيه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فاسواق المنافق نافقه
فلا تخشى الا الله لا رب غيره * فارفع الدنيا الحز ولا ثقه

(وقال آخر)

زمان كل حب فيه خب * وطعم الخل خل لا يذاق
لهم سوق بضاعته نفاق * فنافق فالنفاق له نفاق

(وقال آخر)

أنت ما احتجت الى صاحبك الدهر أخوه
واذا احتجت اليه * ساعة مجك فوه
لو رأى الناس نبيا * سائلا ما وصلوه

(وقيل) فى الفرق بين الصاحب والصديق والخليل والحبيب أن الصاحب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك ويحزن لحزنك ويعادى من تعادى ويصاحب من تصاحب

والخليل من طالت عشرته بك وتخللت محبته فى الاعضاء والحبيب من طالت عشرته بك ويفرح لفرحك الخ وتخللت محبته فى الاعضاء ولو طلب الفداء لفديته بمالك وبروحك ثم ان الناظم انتقل من شهوة الخبيث الى الى الطيب فقال

ص على من نصر فى فرن دارو طواجن ■ زغاليل من برج ابن ابو شعنيف

ش وقوله (على من نصر) بالعين (فى فرن) وهو ما تضرم فيه النار ويخبز فيه الخبز وتقدم تعريفه فى الجزء الاول من هذا الكتاب (دارو) أى دار الناظم فالضمير فى داره راجع اليه يعنى لا يكون فى دار غيره ولا تكون الطواجن فى فرن غير فرنه لاجل ما يصير مطمئن الخاطر منشرح الصدر اذا حصل له ذلك وقوله (طواجن) جمع طاجن وتقدم تعريفه ملان (زغاليل) وهى أفراخ الحمام البرى المتخذ من الابراج ويقال له الحمام الغيطى لانه يرعى فى الغيطان ومحلات الزرع والاجران وأكلها نافع يقوى الباه اذا أضيف اليها الحرارات والسمن البقرى فلا تسأل عن جودة طعمها ولذة أكلها والحمام اسم جنس شامل لكل ماعب وهدر ثم انه بين أن الزغاليل التى اشار اليها لا تكون الا (من برج) لا من الزغاليل المتولدة من حمام البيوت والبرج واحد البروج ويطلق على برج القلعة وبرج الكواكب والكلام هنا على برج الحمام وهو بناء مستدير حول بعضه البعض فيه قواديس فخار يأتى اليه الحمام البرى ويبات فى تلك القواديس ويفرخ ويخرا فيها أيضا ويسمون خراءه عندهم ربما لا يأخذونه لزرع البطيخ والنخل يطعمونه به وأمره عندهم مشهور ويأخذون من فراخه ويبيعون ويذبحون وهكذا فى سائر البلاد واسم الزغاليل مشتق من الزغلت وهو نبات أزرق اللون شبهت به الزغاليل لزرقة ريشها أو انه مشتق من الزغلية طائفة يصنعون الفضة الزغل ويسمونها العصافير ويسمون القرش فرس والفحم الذى يصنعون به زيب والكير الذى ينفخون به الشيخ ولهم اصطلاح فى هذه الصنعة لكن تراهم دائما فى شدة خوف من الحكام وفقر زائد وقلة بركة (وسئل الامام الشافعى) رضى الله تعالى عنه عن الكيميا فقال أعرف من افتقر بها الا من استغنى فكذلك الحمام فى كل قليل من الايام يدخلون عليه ويأخذون افراخه ويذبحونهم ويبيعون منهم فهم دائما فى خوف مثل الزغلية وواحد الزغاليل زغلول كما أن واحد الهبابيل هبول والبرج مشتق من التبرج وهو المباهات بالزينة قال تعالى ولا متبرجات بزينة (مسألة هبالية) هل بين الحمام الطائر وبين الحمام المعروف ببلاد المدن المعد للغسل ونظافة الاجساد مناسبة مع أن اللفظ واحد لا يختلف الا بتشديد الميم الاولى أم كيف الحال (قلنا الجواب القشروى) أن المناسبة يمكن حصولها من وجهين وجه قياسى ووجه طبى فالوجه الاول أن الحمام فيه ازدحام الناس وكثرتهم على الحيضان والمغاطس وائتلافهم مع بعضهم

البعض وانبساطهم بالكلام والمنادمات ونحو ذلك وكذلك برج الحمام فيه ازدحام الحمام على بعضه البعض وائتلافه ودخوله القواديس لأفراخه وتغريده وتهديره وغير ذلك فكانت قواديسه تشبه الحيضان والمغاطس ودخوله لافراخه يشبه الخلاوى والاجتماع بالاولاد المرد لاجل التكبيس والتحسيس ونحوه وصعوده بعد ذلك الى اعلا البرج وذهابه لاكتسابه رزقه مثل خروج الناس من الحمام يكتسبون أرزاقهم ومعاشهم (كما فى الحديث الشريف) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لو توكلتم على حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصا وتروح بطانا فهذا هو وجه القياسى القطيسى (والوجه الثانى) أن الحمام حار رطب ينفع جميع الاعضاء اذا كانت حرارته معتدلة وأحسن الحمامات ما قدم بناؤه واتسع فضاؤه وفيه منافع كثيرة حتى قيل انه الطبيب الابكم وكذلك لحم الحمام فانه مسخن محرك للباه وان كان فى أفراخه الرطوبة والغلظ لاسيما اذا اضيف اليه الحرارات كما تقدم فان نفعه يكون تاما واجوده الحمام البرى واما الذى فى البيوت فان المداومة على أكله يتولد منها الحمى وزيادة الدم فكان فى ذلك المناسبة للحمام من هذا المعنى فاتجه الجواب عن وجه هذا الهبال (وأما اسم الحمام الطائر) فهو مشتق من الحوم وهو التردد فى الطيران يقال حام الطائر يحوم اذا فعل ما تقدم ومصدره حام يحوم حوما (وأما الحمام المبق) فانه مشتق من الحمى وهى السخونة لان الشخص اذا دخله صار كأنه متلبس بالحمى لما يعتريه من الحرارة وحدوث العرق أو من الحوم وهو الغطوس فى الماء من قولهم فلان استحما فى البحر بمعنى انه سبح فيه وغطس أو من الحميم وهو الماء الشديد السخونة والحرارة ويطلق على الصديق المحب لما فى المحبة من شدة الحرارة والشوق ومنه قوله تعالى فما للظالمين من حميم ولا شفيع أى محب يشفع لهم ولشدة حرارته وقوة أفعاله شددت ميمه الاولى (وأما الحمام) بكسر الميم فهو الموت فان حامه ما كسرت الا لان الشخص يكون فى حال حياته فى شدة وقوة فاذا مات انخفض حاله ومضى حكمه ولم يبق الا أثره (قال الشاعر)

تلك آثارنا تدل علينا ■ فانظروا بعدنا الى الآثار

وهو مشتق من الشدة يقال حم الامر اذا اشتد ولا شك أن الموت شدة عظيمة فى معالجة الروح وخلوصها من الجسد ونحو ذلك انتهت الابحاث القشروية والمصادر الهبالية وقوله (ابن) ويطلق عليه ولد ونجل يقال ولد فلان ونجل فلان (ابو شعنيف) أصله أبى لكن لم يساعده لسانه لعجرفته فى الكلام وهذه كنيته وأما اسمه الاصلى فهو عفلق أو بحاق على ما قيل وابنه المذكور فى النظم اسمه فلحس وهو من اسماء الكلب واشتهاره بهذه الكنية لانه كان يسرق الحشيش المسمى بالنيف المتقدم ذكره ويضعه للبهائم فشاع خبره بالسرقة وصار يقال فى البلد شاع بالنيف أى بسرقة النيف

ثم انهم حذفوا الجار والمجرور وأبقوا الفعل والاسم وركبوه تركيبا مزجيا وقالوا أبو شعنيف وهو مشتق من الشعنفة على وزن القلحنة ولعلها بمعناها ومصدره شعنف يشعنف شعنفة ثم ان الناظم بين كيفية أكله فى الزغاليل وأنها تؤكل بالفطير (فقال)

ص وفطر فطائر من طحين ابن عمه * ويقعد لها قعدة غلام خسيف

ش قوله (وفطر) على وزن وشمر (قال الشاعر)

وشمر عن ايروطر عامدا * عليها يبول فهى فى البول تغرق

ومعناه انه يقول اذا حصلت لى تلك الطواجن الزغاليل وقضى الله مرادى بحصولها عندى لا يلذ لى أكلها الا بالفطير فلهذا قال (فطاير) مصدره مثل عمل عمايل أو مثل قشر قشاير ومعناه أبطط أو اصنع فطيرا او الفطاير جمع فطيرة وتجمع على الفطير مثل خمرة وخمير أو حمارة وحمير والفطير ثقيل غليظ لا يوافق الادمى لانه يولد الارياح هذا اذا أكل وحده وأما مع غيره فلا بأس به وهذا كله فى فطير الريف الذى أراده الناظم فانهم يأخذون الدقيق لا غير ويعجنونه بالماء من غير خمير ويضعونه فى الفرن أو يدمسونه فى الجورة ويقال له فطير دماسى ثم انهم يأخذونه ويأكلونه فهذا هو الثقيل المنهى عنه (وأما الفطير) الذى تفعله الاكابر فهو من الدقيق العلامة ويبسونه بالسمن والعسل النحل فهذا لا بأس به وكذلك الذى يصنعونه وقت عجنه بالسمن ويخبزونه للفطور ونحوه فهذا لا بأس به أيضا بل هو المطلوب وقوله (من فطير ابن عمه) واسمه غنداق أى يكون ابن عمه يتبرع له به من غير مقابل أو يعيره الدقيق حتى يفتح الله عليه ويرده له أو يهبه اياه أو يتمكن من سرقته ويخبزه فى الفرن أو الجورة ويخرج الطاجن الزغاليل من الفرن ويفت فى مرقها الفطاير المذكورة ويتأهب للاكل منها (ويقعد لها) أى للزغاليل أو لمجموع ذلك (قعدة) أى مثل قعدة (غلام) وهو الذى اطرشاربه (قال الشاعر)

منا الغلام الذى اطرشاربه * والعاشقون ومنا المرد والشيب

وقيل الغلام من بلغ تسع سنين من حين الفطام وقيل من حاز الكمال والشدة وقوله (خسيف) صفة للغلام أى عنده خسافة أى تفكر وكآبة وشدة حزن فأكون مثله عندى تفكر وشدة جوع فما أصدق أن أرى هذا الطعام وهذا الفطير وآكل منه حتى أكتفى ويذهب جوعى وتنقضى شهوتى مثل الغلام الذى اعتراه الحزن والاسف وقعد متفكرا حتى يذهب الله حزنه ويجمعه على أحبابه فيزول همه ويسر بلقائهم فان اجتماع الاحبة عيد (كما اتفق) ان بعض العارفين مر برجلين يأكلان فى رمضان فقال لهما ما أمركما قالا نحن محبين صادقين فرقنا الدهر مدة ثم اجتمعنا

فى هذا اليوم واجتماع المحبين عيد وصوم يوم العيد حرام فقال ما علامة محبتكما فقال أحدهما اجرح ذراعى فجرحه فخرج الدم من زراع الآخر من غير جرح فصارت أرواحهما واجسادهما كانها روح واحدة فى جسد واحد كما قال ابن العربى نفعنا الله به

نحن جسمين بجسم واحد * نحن روحين حللنا بدنا

(وقال أيضا عفا الله عنه)

ولما التقينا للوداع حبستنا * لدى الضم والتعنيق حرفا مشددا
ونحن وان كنا مثنى شخوصنا * فما تبصر الابصار الا موحدا

ومن هذا المعنى كثير من مشرب المحبين ومطالب العارفين نفعنا الله بهم أجمعين قال ابن هانى عفا الله عنه

لم يخلق الرحمن أحسن منظرا * من عاشقين على فراش واحد
متعانقين عليهما حلل الرضا * متوسدين بمعصم وبساعد
واذا تألفت القلوب مع الهوى * الناس تقطع فى حديد بارد
واذا صفا لك من زمانك واحد * نعم الصديق وعش بذاك الواحد

(وله أيضا رضى الله عنه)

لا يعرف العشق الا كل من عشقا * وليس من قال انى عاشق صدقا
للعاشقين بحور يغرقون بها * لانهم عالجوا الاشواق والحرقا

وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم ان المتحابين فى الله فى ظل العرش وقال صلى الله عليه وسلم المتحابون فى الله على كراسى من ياقوت حول العرش ثم ان الناظم انتقل الى شهوة اخرى تمناها فقال

ص على من نضر طاجن سمك فى فرنه * ولو كان يا اخوانى بلا تنضيف

ش قوله (على من نضر) بعينه لا سمع باذنه (طاجن) ملان (سمك) والسمك اسم جنس شامل لانواع كثيرة احل الله تعالى أكله هو والجراد حيا وميتا وفى الحديث الشريف عن النبى صلى الله عليه وسلم احلت لنا ميتتان ودمان السمك والجراد والكبد والطحال والكبير من السمك بارد رطب غليظ والصغير بارد رطب لطيف وأجوده الطرى واذا طبخ بالسمن والبصل والبهارات الحارة اعتدل وزاد فى الباه والمالح أحر من الطرى وأيبس ونفع الكبير منه ان يؤكل مع شراب عتيق وفالوذج خصوصا اذا كان متخذا من ماء عذب جارى والمفلس منه اولى من غيره (قال بعض الحكماء) كل منه ما تفلس واترك منه ما تملس والمتفلس منه مثل البورى والقجاج والبنى فان كل واحد منها له لذة عظيمة وتتفاوت فى الطعم واللذة فأما

البورى فيحشى بالبصل والحرارات ويعمل على الارز المفلفل ويعمل أيضا فى الطواجن مرقة وغيرها وله لذة عظيمة ويعمل أيضا بالكشك وقد أكلته فى دمياط مرارا ويعمل أيضا بارز لكن قليل عن المفلفل يضيفون عليه ماء الليمون ويسمونه فقاعية وأكلته وله لذة عظيمة وطعمة لطيفة وأما القيحاج فانه اعلا رتبة وأطيب طعما من البورى وهو يشبه الشبار الكبير وفى المثل * اذا عدم الدجاج كل القيحاج * ويتنوع فى الاطعمة مثل البورى (وأما السمك البنى) فانه الذ فى الطعمية من الكل ولا يوجد الا فى قاع البحر العذب يحتالون على صيده ويأخذونه ويهادون به الاكابر والامراء والوزراء وهو جيد الطعم كثير النفع عن غيره خصوصا اذا قلى وحشى فلا تسأل عن لذة طعمه فانك تود أن تأكل اصابعك من حسنه وفى المثل عن لسان حال البنى * أنا البنى ان رأيت أحسن منى لا تأكلنى * ونوع فى السمك يقال له شبار له لذة فى الطعم والمأكل وقد ورد أنه يأكل من حشيش الجنة وكل هذا بعيد عن مقصد الناظم وانما مراده السمك الذى يصيده من بلاده لما ينزل عنها ماء النيل وتصير البرك والنقر ملانة بالماء فيتولد فيها سمك قراميط سود وشبار صغير وصير ونحو ذلك فتنزل اولادهم ويصيدون منها فيأتون به وينظفونه ويضعونه فى الطواجن ويضعون عليه شيأ يسيرا من الزيت الحار وبعض بصل مخروط ويضعونه فى الفرن الى أن يأخذ قوامه فيأكلونه بخبز الادرة أو الشعير ويصير له زفرة ورائحة كريهة وهو عندهم ألذ المأكول ويأتون بالقراميط السود الصغار ويدفنونها فى الجورة الى أن تنضج يسيرا ويأكلونها أعاذنا الله من ذلك وبذكر السمك تذكرت (مما اتفق) ان رجلا كان يهوى امرأة بديعة الحسن والجمال وكان زوجها من اخواننا المطاعيم المغفلين فمر عليها عاشقها يوما وقال لها طال الموعد فقالت له فى غد تأتينى فى آخر النهار ثم انها اصبحت وقالت لزوجها قد اشتهينا السمك نطبخه فى هذا اليوم ونأكله فمضى الى السوق وأتى به فنظفته وأصلحت شأنه ووضعته فى طاجن كبير وقالت له خذه وامض به الى الفران وأرحنا من طبيخه وقل للفران يرسله مع غلامه أذان العصر فأخذه زوجها وذهب به الى الفران وأعلمه بما قالت زوجته فقال له سمعا وطاعة ثم ان الفران ارسله لها فى الوقت المعلوم فبينما هى جالسة واذا بصاحبها الذى وعدته يطرق الباب ففتحت له وطلع وأكل من ذلك السمك وتمتع بحسنها وجمالها وقضا منها مراده فبينما هو معها فى الحديث اذ طرق زوجها الباب فارتعب الرجل فقالت له لا تخش من شئ والزم الصمت ولا تتكلم ثم انها فتحت لزوجها الباب واظهرت له الحزن والبكاء فقال لها ما الذى اصابك فقالت له اسكت يا راجل لما تسكن روحى فى قلبى أنا لم اقدر ارد عليك وكانت وقعتى معك وقعت الشوم ازاى الفران يرسل الولد بالطاجن السمك فلما كشفتونا كل منو طلع لى راجل من جوا الطاجن وقعد ومن خضتى منو خايفه لا يطلع على شئ وآهو قاعد ولولا استحيت

كنت

كنت خرجت الى السكة وأنا طول عمرى ما حد شافنى ولا نعرف حد غيرك قال فطلع زوجها يجرى حتى طلع الى الرواق فرآه جالسا بجانب الطاجن فقال له ذلك المطعوم من حطك فى الطاجن يا ترى هو الفران والا صبيه فلم يتكلم بشئ فعند ذلك قالت له زوجته خده وروح بيه الى الفران وهو يخبرك بحقيقة الحال وقل له من دا الوقت لا تحط فى طاجننا حد يخوفنا ويشوش علينا قال فمسك الرجل من يده وتوجه به الى الفران وأعلمه بالقصه فعرف الفران الامر وتحقق القضية فقام وعمل أنه يضرب الرجل وقال له أنا وضعتك فى طاجن اللحم خالفتنى ونزلت فى السمك ان بقيت تخالفنى أشوش عليك ونضر بك فقال الرجل للفران يا سيدى ما عدت أخالفك أبدا الطاجن الذى توضعنى فيه لا أطلع منه أبدا ثم ان الفران قال لزوجها أخبر زوجتك انى شوشت عليه ولا بقى ينزل فى طاجنها أبدا قال فمضى زوجها وأخبرها بالقصة ففرحت وقالت ان عاد يحط لنا حد فى طاجننا ما بقينا نطبخ عنده شئ أبدا ثم تركها زوجها ومضى الى اشغاله فانظر الى هذا التغفل العظيم (ومن العجائب) أن بعضهم صاد سمكة فرأى مكتوبا على جانبها بقلم القدرة لا اله الا الله محمد رسول الله فأطلقها لاجل كلمة التوحيد والشهادة (وأعجب من هذا) أن بعض الاولياء كان فى سفينة فهاجت الريح وأشرفت السفينة على الغرق فقال هذا الولى اسكن أيها البحر فانما على ظهرك بحر مثلك أى بحر من العلوم فسكن البحر وبطل الريح باذن الله تعالى فخرجت من البحر سمكة عظيمة وخاطبت هذا العارف وقالت له تزعم أنك ولى وبحر فى العلوم والمعرفة ولكن أنا أسألك عن مسألة أترد جوابها قال قولى فتكلمت السمكة بلسان فصيح وقالت له اذا مسخ الرجل هل تعتد زوجته عدة الاحياء أم عدة الاموات فتحير الشيخ فى امره ولم يرد لها جوابا فقالت السمكة اين دعوالك فى بحر العلوم فقال انى استغفر الله مما قلت فأرشدينى الى الصواب فقالت له ان مسخ جمادا تعتد عدة الاموات وان مسخ حيوانا تعتد عدة الاحياء ثم انها غابت فى البحر فتاب الولى من دعواه ورجع الى الله سبحانه وتعالى ومن كرمه أنه يقبل التوبة عن عباده فسبحان القادر على كل شئ وهو العزيز الرحيم فعجائب البحر لا تحصى وبذكر قصة الفران والسمك تذكرت أن حفظ الوداد قليل فى الناس ويعجبنى قول بعضهم

لقد كان لى خل علمت ولاءه ■ وكان صدوقا فى المقال خليلا
فخان ودادى ثم أنكر صحبتى ■ فياليتنى لم أتخذه خليلا

(وقال بعضهم)

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للأعادى
وخلتهم سهاما صائبات ■ فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن عن ودادى

وقالوا قد سعينا كل سعى * لقد صدقوا ولكن فى فسادى

(وقال آخر)

لاضربن رجاءى ألف مقرعة * حدا وانصب آمالى على خشبة
لعشرتى لأناس لاخلاق لهم * بيض الثياب واقفال على خربه

(ومن كلام الامام الشافعى) رضى الله عنه

ابعد عن الناس كل بعد * مالم تكن بينهم مجمل
ولا تقل كان لى أيادى * عليهم فى الزمان الاول
المرء بين أهله كليب * اذا رأوا ذيله مهلهل

(وقال ايضا رضى الله عنه)

لقاء الناس ليس يفيد شيأ * سوى الهذيان من قيل وقال
ألا فاقلل لقاء الناس الا * لاخذ العلم أو اصلاح حال

(وقال بعضهم)

مافى زمانك من ترجو مودته * ولا صديق اذا جار الزمان صفا
فعش فريدا ولا تركن الى أحد * انى نصحتك فيما قد جرى وكفى

(ولابن عروس قطب بلاد المغرب)

الناس بحر عميق * والبعد عنهم سفينه
انى نصحتك فانظر * لنفسك المسكينه

وقوله (فى فرينه) أى فى فرن الناظم وصغره لاجل النظم بمعنى انه ياتى من الغيط او الجرن فيراه فى فرنه حاضرا مطبوخا من غير أن يتكلف بصيده وتحويجه من الزيت الحار والبصل ونحو ذلك وقوله (ولو كان) هذا السمك الذى أتمناه (يا اخوانى) يخاطب به أصحابه واحبابه واخوانه الاصدقاء والمحبين وكل المؤمنين اخوان فى الله تعالى قال الله تعالى انما المؤمنون اخوة (وفى الحديث) عن النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا (وقال بعضهم) من فقد اخوانه فقد فقد مروءته (قيل) أتى رجل الى المأمون فقال له أنا اخوك اعطنى من بيت مال المسلمين ما يكفينى فقال له من أين انت اخى فقال من قوله تعالى انما المؤمنون اخوة فقال صدق الله العظيم وصدقت اعطوه درهما فقال ما هذا اعطاء الملوك فقال له المأمون لو فرض أنى فرقت بيت المال على اخوتك ربما يحصل لك أقل من ذلك فمضى الرجل ولم يظفر بشئ غير الدرهم وقيل زاده عليه وارتد شاكرا (وكان المامون) يحب الحلم والعفو حتى انه كان يقول حبب الى الحلم حتى ظننت انى لا أثاب عليه (ومن حلمه) أن جارية من جواريه قدمت اليه لجامشو ياقى أسياخ من الحديد فوقع منها سيخ على خلعته فخرقها وأتلفها فنظر اليها فقالت * والكاظمين الغيظ * فقال قد كظمت غيظى

فقالت

فقالت * والعافين عن الناس * فقال قد عفوت عنك فقالت * والله يحب المحسنين * فقال أنت حرة لوجه الله تعالى وهذه ملكة عظيمة فى الحلم والعفو لا يقدر عليها أحد رحمه الله وله أخبار كثيرة فى ذلك وقوله (بلا تنضيف) اى ولو كان يجد هذا السمك فى طاجن فى فرنه من غير غسل ولا تنظيف بالماء بل يرصونه فى الطاجن بعظمه وحوفه حتى يصير مثل المشوى فى الجورة فتمنى الاكل منه ولو على هذه الحالة لشدة فقره وقلة ما بيده وقوة شهوته للاكل منه وفى المثل * الغريق يستند على القش * وفى مثل آخر * بطينه ولا غسيل البرك * فعلى كل حال انه يسد جوعه ويقضى شهوته فالشخص اذا اشتهت نفسه شيأ ولو حقيرا متى وجده كان عنده عظيما وأكل منه أكلا زائدا فان الشهوة البهيمية ترمى صاحبها على أخبث المأكول فكل من أطاع نفسه وهواه خسر (قال) سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام لن تنالوا ما تطلبون الا بترك ما تشتهون وقال صاحب البردة رحمه الله

وخالف النفس والشيطان واعصهما * وان هما محضاك النصح فاتهم

(قيل) ان مخالفة النفس فيها النجاة والراحة للانسان والثواب فى المعاد (وقيل) مكث سيدنا عمر بن الفارض نفعنا الله به مدة يشتهى أكل الهريسة ويخالف نفسه ويصبر الى أن حصلت له يوما وهو فى الخلوة فمد يده ليأكل منها فانشق حائط الخلوة وخرج منه شخص وقال له أف عليك يا عمر فقال ان أكلتها ثم انه تركها ولم يأكلها بقية عمره وخالف نفسه (ومن النكت المضحكة) أن بعض الفقراء كان له تلميذ وكان دائما يقول له خالف نفسك اذا قالت لك كل هذا فخالفها وكل غيره ولا تطعها أبدا فأتى لشيخه يوما طعام مفتخر ووضع بين يديه ووضع بين يدى التلميذ صحن عدس وكان الذى وضع بين يدى الشيخ أرز مفلفل بلحم ضان يقال لها قارش مارش فمد التلميذ يده وأخذ الصحن من قدام شيخه ووضع مكانه صحن العدس فقال له شيخه أما قلت لك خالف نفسك فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى انى آكل من الصحن العدس فخالفتها وأكلت من هذا اللحم الضان بالارز المفلفل وكان لشيخه غلام جميل فدخل الشيخ يوما فى الخلوة فوجد التلميذ يلوط بالولد فقال له ما هذه الفعال فقال له يا سيدى حدثتنى نفسى وقالت لى نك الشيخ فخالفتها وفعلت فى هذا الغلام فقال له الشيخ اخرج قاتلك الله ما أشقاك وما أخبثك فخرج من عنده ولم يعد اليه ثم ان الناظم اشتهى شيأ لم ير فى بلده الا يوم عيد النحر (فقال)

ص على من رأى فى التل كرش ملقح * ومن فوقه الدبان يعف عفيف

ش قوله (على من رأى) رؤية بصرية كما تقدم فى غير هذا البيت (فى التل) أى تل بلده وهو الكوم العالى ويكون فى الغالب حول البلد لان كل من يكون عنده

تراب أو رماد يكبه قدام داره برا البلد أمام بيته وجاره مثله وهكذا الى أن يتصل بعضه ببعض ويعلو ويكبر من كثرة ما يلقونه فوقه من التمامات وغيرها حتى يصير كوما عاليا يرى من بعيد وبجانبه أيضا محلات خالية يشخون فيها جميعا نساؤهم ورجالهم واولادهم وغالبهم يخرون فيها أيضا ثم ان النساء والرجال يصعدون اليه وقت الشخاخ وتحصل لهم المنادمة فيه والمحادثة عن الغيط والزرع والقلع والمجول والجاموس وغير ذلك وربما وقع بينهم الشر عند الشخاخ فيقوم الشخص لخصمه وشخاخه فى جبته او يسيل على ردائه حتى يغرق جبته ويضارب رفيقه ورداؤه عليه الخرا وهكذا ثم يؤول امرهم الى الصلح او القتل ونساؤهم على شكلهم عند قضاء الحاجة لا يتحاشون عن الكلام فى غزل الصوف والقل وغير ذلك لانهم لا يعرفون المراحيض ولا تبنى عندهم ولا يقدرون عليها الا أن تكون فى دار الشاذ بالكفر له ولجماعته يشخون فيها وقد قيل فى المعنى

سألت بنى الارياف ما ببيوتكم * مراحيض قالوا الامر احيض للقوم
فقلت فماذا تصنعوا فى نسائكم * فقالوا جميعا نحن نخرا على الكوم

فالتل والكوم عندهم بمعنى واحد ويسمى عندهم ايضا العلية بكسر العين المهملة وتشديد اللام (قال الشاعر)

أتيت الكفر فى ضحوه * رأيت اهلو جميع شالوا
وراحوا فوق عليه * عليها الكل قد بالوا

اى طلعوا كلهم فوقها وشخوا عليها جميعا نساء ورجالا واطفالا وتطلق العلية عندهم على الغرفة المبنية من الطين غير الطوب ولهذا يقال فلان اليوم فى العلالى اى أنه صار يجلس عاليا عن الناس وبقى له فى الكفر حرمة وقيمة على غيره ومن هذا المعنى (قال الشاعر)

جوز غزلان يا محلاهم * شافنى على القدم حناهم
متى يا زمان تجمعنا * فى العلالى أنا واياهم

(فان قيل) ان الناظم قال فى التل فيفهم منه أنه يرى الكرش فى جوف التل فيكون متواريا عنه وأكد الرؤية بقوله (ومن فوقه الدبان) والدبان لا يسقط الا على شئ ظاهر لا على شئ مغطى مستور كما تقول فلان فى الدار أى فى داخلها فما الجواب (قلنا الجواب الفشروى) أن فى بمعنى على أى كرشا ملقيا على التل أو الكوم كما يقال فلان فى الجبل أى فوقه لا داخله لانه لا يستطيع أن يثقب الجبل ويدخل فيه او أن حرف الجر على بابه ويكون قوله فى التل بمعنى أن فى جوف التل نقرة يشخون فيها ويرمون فيها الكروش مثلا فصدق عليه أن الكرش فى جوفه وان كان ظاهرا يرى للناس فاتجه الاشكال عن وجه هذا الهبال وقوله (كرش ملقح) أى كرش البهيمة التى يذبحونها يوم عيد النحر لانهم

لايرون

لا يرون اللحم الا فى ذلك اليوم ولا يمكن أنهم يلقون الكرش على التل بل يأخذونه ويلقون ما فيه من التفل ويغلونه ويطبخونه مع بقية حوائج البهيمة ويسمونه جغل مغل وله عندهم موقع عظيم (وأما فى بلاد المدن) فانه من الضان ويضيفون اليه الرأس والكوارع ويسمونه سقطا ويصنعونه بالحرارات والسمن والكزبرة والملق ويصبون عليه الخل ويصير له لذة عظيمة فيبيعونه بالرأس تارة ويدرجونه فى الكرش مغسولا نظيفا وتارة من غير الرأس وتارة بالكوارع وتارة بغيرها والرؤس يبيعونها مشوية وحدها والكوارع تصنع نسقية يبيعونها ويصبون عليها الخل والدهن والثوم ولها لذة عظيمة كما هو مشهور فى بلاد المدن وأما اهل الريف فانهم يصنعون جميع ذلك فى الدست او البرام ويضيفون عليه الكزبرة وقليلا من الشيرج ويقلون له بشئ من البصل او الثوم ويأكلونه ولا يعرفون السمن ولا الحرارات ولا شيأ من ذلك وربما يسلقون ذلك بالماء ويأكلونه حكم المرقة والكرش مشتق من التكريش وهو البروز والظهور أى أن كرشه بارز ظاهر كما يقال للحائط اذا برزت منه حجارته عن سمتها المعتاد وآلت للسقوط حائط مكترش اى آيل للسقوط وفلان صاحب كرش أى كرشه ظاهر كبير خصوصا اذا كان رجلا سمينا جسيما فان كرشه يظهر كبيرا خارجا وفى الحديث ان الله يكره الحبر السمين لكن هو ممدوح فى الغنم والبقر يقال كبش سمين ممتلئ شحما ولحما فاذا ذبح على هذه الحالة وأدرج رأسه فى كرشه يكون سقطه لذيذا عن غيره لسمنه وكثرة شحمه (ومن المناسبة) ان السلطان قزلباش ارسل الى السلطان قانصوه الغورى يهدده بهذه الابيات

السيف والخنجر ريحاننا * أف على النرجس والآس
شرابنا من دم أعدائنا * وكاسنا جمجمة الراس

(فاجابه بقول)

لله فى ملكه خاتم * تجرى المقادير على نقشه
لا تنبش الشر فتبلى به * واحذر على نفسك من بشه
مصارع البغى لها صولة * تنكس السلطان عن عرشه
لما طغى الكبش بشحم الكلى * أدرج رأس الكبش فى كرشه
ونحن ان لم نرج او نبتغى * كالميت محمول على نعشه

فلم يرتدع بما ارسله له السلطان قانصوه الغورى بل سار اليه بخيله وعسكره فتلقاه نائبه أى نائب الغورى ورده خائبا وألقى الله كيده فى نحره ولم يفده ما نصحه به السلطان الغورى من قوله لما طغى الكبش بشحم الكلى الخ وهذا امثال الرجل الظالم اذا طغى وتجبر ربما اخذه الله تعالى بغتة وفى الحديث ان الله ليمهل الظالم حتى اذا أخذه لم يفلته فالناظم تمنى من الله تعالى وترجى من كرمه وحلمه أن يرى كرشا مرميا على التل أى الكوم غفل عنه اصحابه وتركوه نسيانا وذهولا

اوأنّ الشاد بالكفر ذبح كبشا والقى كرشه على التل فان اهل الريف اذا ذبحوا بهيمة يوم العيد لا يتركون منها شيأ ويأخذون كرشها وجميع حوائجها يطبخونه ويأكلونه فالناظم ترجى ان الدهر يغلط يوما ويرى هذا الكرش الذى تمناها وطلبه واشتهاه لكونه لم يقدر على مشاركة أهل الكفر فى بهيمة (و) لو كان من (فوقه الدبان) وهو الذبان وانما استعمله العوام بلفظ الدبان لثقل الذبان على ألسنتهم ومفرده دبانة ودبون مفرد المذكور منه والدبان على وزن الخرفان او الجديان والدبون على وزن المعمون أو المأبون قال بعض الشعراء موالبا

فى خاطرى ياملبح لو كنت دبانه
واحط فوق شفتك وتنش أقول دانه
على ويابو حسن لك عين نعسانه
غيرى تواصل وانا اجى لك تقول نانه

(فائدة) للذباب خواص كثيرة ومنافع مذكورة فى بعض الكتب منها أنه اذا أخذت ذبابة وربطت وهى حية فى خرقة بحيث تكون واسعة عليها حتى لا تموت وعلقت على من يشتك الرمد خففت عنه (وسئل) بعض الفضلاء لاى شئ خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة لانه يقع على تاج الملك فلا يقدر على منعه عنه (وكان المشركون) يطلون اصنامهم بالزعفران وغيره فيقع عليها الذبان فانزل الله تعالى فى كتابه العزيز توبيخا لهم ولاصنامهم * ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب * (والذباب) له اعداء كثيرة منها حيوان صغير يقال له ضبع الذباب يشبه العنكبوت الصغير الا أنّ فمه واسع وأرجله قصيرة عن ارجل العنكبوت يأخذ الذبابة بسرعة فى فمه ويلقيها فى شئ يخرجه من فمه كنسج العنكبوت فلم تزل معلقة فيه الى أن تموت (وذكر العارف بالله تعالى) سيدى عبد الوهاب الشعرانى نفعنا الله به فى المنن أن زوجته ام عبد الرحمن أصابها مرض شديد أشرفت به على الهلاك فدخل يوما بيت الخلاء فسمع هاتفا يقول له خلص الذبابة من ضبع الذباب ونحن نخلص زوجتك من مرضها فالتفت الشيخ الى الحائط فسمع حس الذبابة فتحايل وخلصها فخلصت زوجته فى الحال وشفاها الله تعالى وقوله (يعف عفيف) أى يتراكم على بعضه البعض من كثرة نزوله عليه يمتص منه الرطوبة ونحوها ويعف بكسر الياء المثناة من تحت وكسر العين المهملة يقال عف الذباب على الشئ اذا سقط عليه وكثر وتراكم بعضه على بعض وأما بفتح المثناة وضم العين فمن العفة يقال عف الرجل عن الشئ يعنى كف عنه ثم ان الناظم اخبر عن كيفية أخذه وأكله فقال

ص دنا ان شفته خدتو بحالو سلقتو * وكلتو بتفلو وما أرى تقنيف

ش قوله (دنا ان شفته) أى اذا من الله علىّ ورأيته ملقحا على التل (خدتو) اى أخذته فحذف الهمزة وأبدل الذال المعجمة دالا مهملة جريا على اللغة الريفية (بحالو سلقتو) يعنى أنى القيه فى الدست او البرام وألقى عليه الماء لا غير وأسلقه من غير تقلية ولا تشبيج وغير ذلك لشدة فقره وعدم ملك يده وقوله (وكلتو بتفلو) أى بما فى جوفه من المرعى ولو أنه نجس مبالغة فى الاشتهاء له وشدة الحاجة اليه وهذا يعاير به الرجل الاكول عندهم فيقال (فلان) يأكل كرش بخراه مثلا ومن ذلك (ما اتفق) ان رجلا من أهل الريف طلع مصر يبيع جانبا من البيض لاجل غلاق ما عليه من مال السلطان فباعه وتوجه الى بلده فرأى بين القصرين كروشا تباع فقال لنفسه خذ لاتم معك بجديد وكل أنت الآخر بجديد ولو انكسر عليك مال السلطان فأعطى بياع الكروش الجديدين فصار يقطع له مما يباع للقطط وهو يأكل من غير ملح وأخذ بالجديد الثانى قطعة كبيرة وزاد له عليها كبدة وروبة وهى الفشة وانف ما أخذه فى شده الذى فوق رأسه وربط عليه وكانت الفلوس التى باع بها البيض مربوطة أيضا على الشد ثم انه سافر الى أن مرّ على قرية فى الطريق فرأى شجرة فجلس يستريح تحتها فضربه الهواء فرقد فنام فجاء كلب فشم رائحة اللحم الذى على رأسه فخطف الشد بما فيه وطلع الى سطح فى القرية فقام يجرى خلفه ويصيح ودخل الدار التى طلع الكلب فى سطحها فلما رآه النسوان مكشوف الرأس فى هذه الحالة قالوا هذا سارق فمسكوه وسلموه للشاد فى القرية فضربه وحبسه يومين حتى شفع فيه أهل الخير فاطلقوه فمن عدم ذوقه وشدة جهله ضيع الفلوس وأكل الضرب ورجع الكفر خائبا نائبا وقوله (ما ارى تقنيف) يعنى أنى ما أتقنف عن أكله لكونه فيه التفل اولانّ جوانبه فيها النجاسة مثلا فانّ نفسى تطيب لاكله ولا تمتنع عنه (وفى القاموس) الازرق والناموس الابلق ان التقنيف مشتق من التقنف وهو المنع عن الشئ كما يقال أنت قنف أو فلان يتقنف أو من القنافة بضم القاف وهى التى توضع فى خرق الناف الذى على رقبة الثور ويعاير بها الرجل الخفيف العقل فيقال له يا قنافة قال الشاعر

لقد خف منى العقل حتى كأننى * أحاكى فى الافعال قنافة البقر

ثم ان الناظم لما لم يتيسر له كرش ملقح على التل او الكوم ترجى من الله تعالى ان يبلغه مناه وانه بعد مدة ان طال عمره يروح المدينة ويشبع فيها من اكل الكروش وغيرها من الترمس والمقبلى فقال

ص أنا ان عشت لاروح المدينة واشبع * كروش ولو أنى أموت كفيف

ش قوله (انا ان عشت) من المعيشة وهى قوام الجسد وانتعاشه من المأكل والمشرب اى ان طال عمرى وكان فيه تأخير فى علم الله تعالى (لاروح المدينة) والمراد بها مصر

حرسها الله تعالى وأدام سرورها باهلها وابد نعيمها بسكانها وحرس علماءها الاعلام * وامراءها الكرام * لانها مدينة الانس والصفا * والسرور والوفا * خص الله نساءها بالحسن والجمال * والبهجة والبهاء والكمال * وطيب المعاشره * ولطف المذاكره * كم عاشق بحسنهن افتتن * ومن لم يتزوج مصريه ليس بمحصن * وملاحها الولدان * كأنهم الغزلان * اوقضبان البان * لايوجد مثلهم لافى الروم ولافى العجم ولافى العراق * ولم ير الطف منهم فى العشرة باتفاق * كما قلت فى هذا المعنى موشحا

(دور)

يامن يردعشق الجمال * يشدالى مصر الرحال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

ملاحها لايوجدوا * فى الروم ولا أرض العراق
ولابلادارض العجم * ومن رقى السبع الطباق
الالطف فيهم منطبع * وريقهم حلو المذاق

(دور)

من حادعنهم بالميال * حرم عليه طيب الوصال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر أرخى لو دلال

(مذهب)

يا حسنهم يا لطفهم * ياظرفهم كم ذا ترى
من كل أغيد حين يميس * تقول لعقلك لاترى
ماشاوترى غيرو يفوق * سبحان خلاق الورى

(دور)

فعشريهم دوم الليال * تجهم عندى حلال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

أما العجب ثم العجب * فى يوم الاعياد والفرج
كم ظبى يرفل فى الحلل * والخال فوق خدو عرج
تقول جنان رضوان حقيق * قد فتحت وقد خرج

(دور)

منها يريد قتل الرجال * بحسن قدو والمثال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى لو دلال

(مذهب)

والله والله العظيم * ومن له انشق القمر
من عشقهم صبرى فنى * وزادوجدى والسهر
وقد بقيت صفر اليدين * ولست أقنع بالنظر

(دور)

ماحيلتى فى كل حال * الا الدعا أراه محال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى له دلال

(مذهب)

يوسف سميت ادع الاله * يغفر ذنوبى كلها
وبلدتى شربين عظيم * بين المدائن قدرها
بلد الفخار مع العلا * والعلم مشهور ذكرها

(دور)

ثم الصلاة باتصال * على النبى باهى الجمال
كم من جمال حاز الكمال * فى مصر ارخى له دلال

فسبحان من خصهم برشاقة القدود * واحمرار الخدود * ورقة الكلام * وقلة الملام * وحسن الانطباع * وقلة الامتناع * لفظهم ألطف من النسيم * ورضابهم أحلى من التسنيم كما قال الشاعر

ما مثل مصر فى الورى بلدة * سكانها ترتع فى نعيمها
نسيمها ألطف شئ فى الورى * وأهلها ألطف من نسيمها

وقوله (واشبع) الشبع هو امتلاء المعدة بالطعام والشراب والشبع الزائد مضر ويطلق على الحسى وهو ما تقدم وعلى المعنوى وهو الغناء بعد الفقر يقال اليوم فلان شبعان أى استغنى بعد فقره وشبع بعد جوعه خصوصا اذا ذاق التعب والنصب اول زمانه وأفاض الله عليه فيكون شديد الحرص على الدنيا كثيرا ويقال فى المثل * هذا محدث النعمة * لانه لم يعرف قدرها * ولم يصرفها فى مصارفها وانما جن به الدهر * حتى نال هذا الامر قال الشاعر

مستحدث النعمة مستودعها * عيناه مملوتا فقر
جن به الدهر فنال الغنا * ياويله ان عقل الدهر

(واما) اذا عرف الشخص ما أنعم الله به عليه وشكره على هذه النعم ولازم فعل الخير وأحسن وتصدق فهذا هو المطلوب والامر المحبوب وقوله (كروش) جمع كرش أى ان بلغت المدينة لابد أن أشبع من الكروش التى تصلق وتباع وأقضى مرادى وبغيتى منها (ولو أنى) بعد شبعى من الكروش المذكورة وقضاء شهوتى (أموت كفيف) أى اعمى يقال كف بصره اذا حصل له العماء (وفى الحديث القدسى)

ان الله تعالى يقول اذا أخذت كريمتى عبدى فى الدنيا لم يكن له جزاء عندى الا الجنة * وهو حديث حسن رواه الترمذى عن أنس (وقال الابوصيرى الاديب)

اذا رمدت عيناى قل مسامرى * وقلت أحبائى من الحى والحما

يقولون ان عوفى ملقناه ساعة * وان كف جئنا كى نهنيه بالعما

لان الارمد مريض لا يزار فاذا عمى يقولون له أنت بقيت من أهل الجنة وحصل لك الخير ونحو ذلك مما هو مشاهد بين الناس الآن وفى الحقيقة ان الاعمى مسكين والشفقة عليه فيها أجر عظيم * وفضل جسيم * خصوصا اذا كان فقير الحال * فانه فى حكم الميت لا محال * (قيل وجد مكتوب) على تاج كسرى انوشروان هذه الكلمات العدل اذا دام عمر * والظلم اذا دام دمر * والفقر هو الموت الاحمر * والاعمى ميت وان لم يقبر * ومن لم يترك الذكر لم يذكر * وما ابتلى الله عباده بشئ أضر من العمى والاعور على النصف من ضرر الاعمى كما فى المثل * اعمى قال لاعور كأس العمى مر فقال الاعور نصف خبرك عندى وفى المثل الآخر * الاعور الممقوت بين أهله أحسن من الاعمى على كل حال * وقوله كفيف على وزن نتيف صفة للامرد اذا طلعت ذقنه وكان يشتهى الخنات أو يكون به ابنة والعياذ بالله تعالى فانه دائما يحلق ذقنه ويحسن للفاسق نفسه وينتف اصول شعره باظافيره او يلقطه بالملقاط فان الامرد مادام خالى العذار تميل النفس اليه واذا التحا قل منه الوفا وصار وجهه كالقفا (قال الشاعر)

التحى الامرد الذى * كان فى التيه مسرفا

حسنا كان وجهه * وسريعا تحصفا

فسر والله ناظرى * مذراى ذاك واشتفا

شكر الله لحية * صيرت وجهه قفا

(وقال آخر)

سلب الناس بالمحاسن حتى * أذهب الله حسنه والجمالا

طلعت ذقنه وراحت عليه * وكفى الله المؤمنين القتالا

ومن العشاق الوقحاء من يميل الى اصحاب اللحاء (قال الشاعر)

بلوطى يدعى عاشق المرد فى الورى * ويدعى بزان من يحب الغوانيا

فقلت لاصحاب اللحاء تعففا * فما أنا لوطى وما أنا زانيا

(وبعضهم) يميل طبعه الى الشيوخ * ويرى أن قول العزول فيهم منسوخ * (قال الشاعر)

أهواه طفلا فى القماط وأمردا * وبلحية واذا علاه مشيب

وقال بعضهم

تعشقته شيخا كأن مشيبه * على وجنتيه ياسمين على ورد

انا العذل يدرى ما يراد من الفتى * أمنت عليه من حسود ومن ضد

والعشق مراتب * وللناس فيما يعشقون مذاهب كما قال بعضهم

تعشقتها شمطاء شاب وليدها * وللناس فيما يعشقون مذاهب

وكل هذا من الانهماك على الشهوة والحول فى العشق والمحبة والا فالعاشق الظريف * لا يهوى الا الشكل اللطيف * المناسب للتعنيق والبوس * وكان غرامه فلوس * ثم ان الناظم بين كيفية اخذه الكروش من المدينة من ثمن غزل العجوز وهى زوجته واسمها قطيعة (فقال)

ص وآخذ من غزل العجوز وابيعو * وآكل بحقو يا ابن بنت عريف

ش قوله (وآخذ من غزل العجوز وابيعو) المراد به غزل زوجته وكان اسمها قطيعة وقيل اسمها بعرة بنت قلوط والبعرة قريبة من القلوط لانها بنته والقلوط أبوها فهو ملازم لها ولفظ العجوز يطلق على المرأة الكبيرة وعلى الخمرة فيقال لها العجوز أيضا والعذراء ولها اسما كثيرة (قال بعضهم)

عجوز وعذراء فاعجب لها * تنادى بياسمين من كل واسم

وفى الكلام تقديم وتأخير ومعناه اذا عشت لاروح المدينة وآخذ معى غزل العجوز وأبيعه فيها (وآكل بحقه) كروشا وغيرها ولو انى بعد ذلك أموت كفيفا لانى اذا قضيت مرادى وعشت بقية العمر أعمى لا أبالى بعد قضاء شهوتى وحصول ما كنت أرجوه من الله تعالى (يا ابن بنت عريف) يخاطب رجلا من أهالى الكفر قيل انه من أقاربه وقيل من اصدقائه والمعنى انه يبث اليه الشكوى مما ناله ويقول له لا بد انك تفرح لى اذا طال عمرى ورحت المدينة وشبعت فيها كروشا وأرجع اليك وهذا يدل على انه صديق له وصداقته مؤكدة حتى انه خاطبه من دون أهل الكفر فان الشخص لا يشكو حاله الا للصديق يفرح لفرحه ويحزن لحزنه ويتحمل عنه الهموم أو يواسيه اذا كان متيسرا من الدنيا او يسليه بالمحادثة ونحوها (قال الشاعر)

ولا بد من شكوى الى ذى مروة * يواسيك اويسليك اويتوجع

(وقال ابن عروس)

اوصيك ان صادفك ضيم * اشكيه للى يريدك

الجمل اذا تفرق انشال * وان تم راقد يكيدك

وابن بنت عريف هذا اسمه على ماقيل خرا الحس واسم والده فسا التيران وسبب تسميته فسا التيران أنهم كلما ربطوا التيران على الطوالة يقف فى وسطها ويفسو فيها لانه كان كثير الفساء فيشم من يقربه رائحة الفساء فيقول له أنت فسيت فيقول له هذا فسا التيران فسمى بذلك (وأما) جده لامه فيسمى عريف لاحد امور قيل انه كان يعرف الاولاد طريق المحلات التى تحت التل يشخون ويخرون فيها وقيل كان يعرف تغريبة بنى هلال وما وقع

بينهم وقيل كان له معرفة ودراية فى ضرب الفرقلة ونقر الطبلة والعمل على الزمارة ونحو ذلك وقيل انه كان يعرّف الشاد امور البلص ويقول له خذ من هذا كذا ومن هذا كذا صورة عوانى فصار يقال له عريف من هذا القبيل كما انه يطلق هذا اللفظ على من يقيمه مؤدب الاطفال فى الكتاب يعرّف الاولاد احوال القراءة ويعرّف أيضا الفقيه عن احوالهم فى غيبته كما هو مشهور فى بلاد المدن وغيرها فانّ كل كتاب لا بدّ له من عريف على ما جرت به العادة قال العلامة البلقينى الشافعى فى تفسير قوله تعالى فاصبر انّ وعد الله حق جعل الله سبحانه وتعالى ذلك ليظهر الشاكر من غيره كما جاء فى حديث الاعمى والاقرع والابرص روى ان ثلاثة من بنى اسرائيل احدهم ابرص والثانى اقرع والثالث اعمى اراد الله تعالى أن يبتليهم فبعث اليهم ملكا (فأتى الابرص) فقال اى شئ احب اليك قال لون حسن وجلد حسن فقد قذرنى الناس فمسحه بيده فذهب البرص وأعطى لونا حسنا وجلدا حسنا فقال أى المال أحب اليك قال الابل فاعطى ناقة عشرا وقال بارك الله لك فيها (وأتى الاقرع) فقال له أى شئ احب اليك قال شعر حسن ويذهب عنى هذا الذى قد قذرونى الناس منه فمسحه فذهب وأعطى شعرا حسنا قال فاى المال أحب اليك قال البقر فاعطاه بقرة حاملة وقال بارك الله لك فيها (وأتى الاعمى) فقال أى شئ أحب اليك قال أن يردّ الله الى بصرى فابصر به الناس فمسحه فردّ الله اليه بصره قال فاى المال احب اليك قال الغنم فاعطاه شاة فانتج هذا وولد هذا وهذا فكان لهذا واد من ابل ولهذا واد من بقر ولهذا واد من غنم (ثم انه أتى الابرص) فى صورته وهيئته فقال له من انت قال رجل مسكين قطعت بى الحبال فلا بلاغ لى اليوم الا بالله ثم بك أسألك بالذى اعطاك اللون الحسن والجلد والمال بعيرا أتبلغ عليه فى سفرى فقال ان الحقوق كثيرة فقال كأنى اعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس فقيرا فاعطاك الله فقال لقد ورثته كابرا عن كابر فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (وأتى الاقرع فى صورته وهيئته فقال له مثل ما قال لذاك وردّ عليه مثل ما ردّ على الاوّل فقال ان كنت كاذبا صيرك الله الى ما كنت فيه (وأتى الاعمى) فى صورته وقال رجل مسكين وابن سبيل تقطعت بى الحبال فى سفرى فقال قد كنت أعمى فردنى الله بصيرا وفقيرا فأغنانى فخذ ما شئت فوالله لا امنعك اليوم شيأ أخذته فقال امسك عليك مالك فانما ابتليتم فقد رضى الله عنك وسخط على صاحبيك فمن الناس من يحصل له غرور بالنعمة وطيش بالرياسة كما قال بعضهم

أقول لمن قد طيشته رياسة ✱ تمهل رويدا فيك قد غلط الدهر
وما سدت عن علم ولا عن فصاحة ✱ ولا عن ذكا فضل وهذا هو القهر
تأنى يراجع فيك دهرك عقله ✱ فما سدت الا والزمان به سكر

ولكن

ولكن سيصحو الدهر من بعد سكره ✱ ويسقيك كاسات مذاقتها الصبر

(وقال آخر مخمسا)

رئستم بلا حلم وعلم ولا ولا
وسدتم بلا أهل وفضل ولا ولا
سأقسم بالله الذى خلق الملا
يمينا لقد نجستم رتب العلا ✱ وألبستموها بعد عزتها ذلا

قتبا الدهر انتم عظماؤه
وأنتم اراضيه وأنتم سماؤه
فلو كنت ممن لا يردّ قضاؤه
صفعت زمانا أنتم رؤساؤه ✱ بنعل ولكن صفعه بكم اولى

فطوبى لعبد يكتفى بذها بكم
وويل لحرّ يشتفى بايابكم
أقول وقلبى ملكم وازدرا بكم
لقد خاب من يسعى لنحو جنابكم ✱ كما خاب من فى عشقه خان أو زلا

فبعدى عن الاوطان صفو ابنيتى
وفقد الذى اهوى وعظم بليتى
وهتكى وتعذيبى وقرب منيتى
فذا الأمر ادى واعتقادى وبغيتى ✱ ولا يجمع الرحمن لى بكم شملا

ثم ان الناظم نبه على شئ آخر (فقال)

ص واسرق من الجامع زرابين عدّة ✱ وآكل بها من شهوتى فى الريف
وأشبع من الترمس وآكل مقيلى ✱ وألهو بقشرو ما أرى توقيف

ش هذا الكلام كله من بقية كلامه لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يقول أنا اذا طلعت المدينة وبعت غزل العجوز وأكلت بحقه كروشا وقضيت شهوتى من الكروش المذكورة ورأيت الترمس والمقيلى الذى اشتهيته ولم يكن معى شئ من الدراهم فحينئذ أدخل بعض الجوامع التى فى اطراف حارات المدينة التى يصلى فيها أهل الرياقة لانّ الزرابين لا تكون الا بارجل اهل الريف لان المراد بها المراكيب وهى جمع زربون على وزن مجنون اومأبون وهو المركوب الذى يمشى به الفلاح ويسمونه ايضا جوادا وترجيلا (واسرق) والسرقة حرام ومنهى عنها ✱ قال الله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما ✱ أى اذا سرق السارق النصاب وهو ربع دينار مالم يكن له فيه شبهة والا فيمتنع عنه القطع كما هو مذكور فى كتب الفقه وأباح الله تعالى قطع يد السارق نكالا له

ولاجل تركها الامانة وعزها وارتكابها الخيانة وذلها كتب رجل لبعض العلماء مالفظه شعر

يد بخمس مائين عسجد فديت * مابالها قطعت فى ربع دينار

(فاجابه بقوله)

عز الامانة أغلاها وارخصها * ذل الخيانة فافهم حكمة البارى

أى أنّ هذه اليد لما تعدّت على مال الغير واخذته وخانت الامانة أرخص الله قدرها وأباح قطعها بذل الخيانة فهى حكمة للبارى جل وعلا وحدود أوجبها على خلقه من أمر ونهى وغير ذلك وقوله (من الجامع) والمراد به المسجد وسمى جامعا لانه يجمع الناس للصلاة والعبادة ونحو ذلك ومسجدا للسجود فيه وقوله (زرابين) تقدم ان المراد بها المراكيب والتراجيل (عدة) يعنى كثيرة لان سرّاق المراكيب يحتاج الى زيادة معرفة فى السرقة وقلة دين فاما المعرفة فهى أن يتقرب من صاحب المركوب ويوهمه انه يريد الصلاة بل ربما وقف بجانبه وصبر عليه الى ان يخر للسجود لعلام الغيوب فيأخذ هو الآخر المركوب واما قلة الدين فانه لايعرف الصلاة ولايدخل الجامع الا للسرقة فقط وربما كان جنبا وثيابه فيها النجاسة كما هو عادة الفلاحين انهم لايتحاشون عن هذا الامر ولايعرفون الصلاة ولا العبادة وغالبهم لايدخل الجامع الا لغزله الصوف والقل أو لحساب المال أو ليستظل فيه أوان الحر وربما ربط فيه العجلة أو البقرة ويجعلونه فى الغالب محلا لمحادثتهم فى الغيط والخيط والزرع والقلع ويصير لهم ضجة عظيمة وصياح وعياط وغارات كأنهم فى زريبة بقر والناظم كان منهم لامحالة فلهذا نسب نفسه للسرقة وقال لابن بنت عريف المتقدم ذكره انى اذا طلعت المدينة وأكلت بحق الغزل كروشا ولم يبق معى شئ أتلصص وأتجسس واسأل عن بعض الجوامع التى باطراف حارات مصر واسرق منها المراكيب (وآكل بها) فى كلامه هذا تورية اما أنه يبيعها ويأكل بثمنها أو انهم يصدفونه حال خطفه فيمسكونه ويطعمونه بالمراكيب التى خطفها علقة فيكون هذا أكل معنوى فانه فى الغالب ان سارق الزرابين اذا وقع فى ايديهم يقطعونها على احبال رقبته يقال فلان أكل علقة اليوم بالزرابين وفلان سرق مركوبا ومسكوه وقطعوه على احبال رقبته فسرقة المراكيب تحتاج الى خفة ودراية بالامور وان كانت ارذل السرقات (قيل) مر بعض الحذاق من اللصوص على بعض التجار وهو جالس فى حانوته وبجانبه نعل له فاراد هذا اللص أخذه فجاء لجانبه بخفة وحط رجله اليمنى فى واحدة واراد أن يحط رجله اليسرى فى الاخرى فالتفت التاجر فهرب اللص وتوارى بعيدا بحيث لايراه التاجر ولم يأخذ الفردة الثانية من نعله فقال الغلامه أين الثانية فقال له لاأدرى قال قد سرقت فقال له خذ هذه وامض الى فلان وقل له يصنع واحدة مثلها

فاخذوها

فاخذها الغلام ومضى وسبقه اللص حتى عرف الرجل الذى دفعها له فلما رجع الغلام لسيده أتى اللص ومعه الفردة التى أخذها وقال للرجل لاتصنع للتاجر شيأ فانه لقى الفردة الثانية وأراها له وقال له هات الاخرى فاعطاه اياه فاخذ الاولى بالسرقة والثانية بالحيلة فلما جاء غلام التاجر يطلبها أخبره بالقضية فرجع واخبر سيده فتعجب من حذق اللص وفعله (وقيل) طلع الابوصيرى الاديب الى مصر وذهب الى سوق المراكيب تحت الركن يشترى له مركوبا فوقف على دكان فقال له بياع المراكيب عندى مركوب احمر مثل وجهك ياشيخ العرب فالتفت له الثانى من البياعين وقال له عندى مركوب مليح وحياة رأسك وصار الجميع ينكتون عليه فصبر عليهم حتى فرغوا من كلامهم وقال لهم يامشايخ السوق أنا رجل غريب وأنتم تتوصوا بى فان جماعة أخبرونى أنّ المراكيب اليوم كثيرة ومن رخصها على اقفية اصحابها فقال الكل خلص ثاره منا جميعا بما قاله بلطافة ثم قالوا له بالله أنت الابوصيرى قال نعم فاكرموه واعطوه مركوبا احمر من غير شئ فاخذه ومضى حتى دخل على البدرى العودى رحمه الله تعالى رئيس مصر فى الدخول فلما رآه وفى رجله المركوب قال له وجهك احمر يا ابوصيرى فقال له نكت بدرى ودخلت الحمام فكان الجواب أظرف من السؤال ومما مدح به البدرى قول الابوصيرى المذكور حيث (قال)

البدرى كمل بالدخول * وفيه انطوى واندرج
بوابه حلف بالطلاق * من يوم دخل ماخرج

والعرب يسمون المداس بالراحلة وقد جاء هذا فى شعر المتقدمين والمتأخرين واستعمله المتنبى فى مواضع من شعره (قال ابن خلكان) رحمه الله تعالى جاءنى صاحبنا جمال الدين الاردبيلى الاديب المجيد فى صناعة الالحان وغيرها وأنا فى مجلس الحكم بالقاهرة المحروسة وقعد عندى ساعة وكان الناس مزدحين لكثرة اشغالهم حينئذ ثم نهض وخرج فلم اشعر الا وغلامه حضر وفى يده رقعة مكتوب فيها هذه الابيات

يا أيها المولى الذى بوجوده * أبدت محاسنها لنا الايام
انى حججت الى مقامك حجة الاشـ * ـواق لا مايوجب الاسلام
وأنخت بالحرم الشريف مطيتى * فتشرفت واشتاقها الاقوام
فطلبت أنشد عند نشدانى لها * ياليت من هو فى القريض امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

فوقفت عليها وقلت لغلامه ما الخبر فذكر لى أنه لما قام من عندى وجد مداسه قد سرق فاستحسنت منه هذا النظم انتهى كلام ابن خلكان والبيت الاخير الذى تمثل به هذا القائل لابى نواس من قصيدة مدح بها الامين محمد بن هرون الرشيد

أيام خلافته اولها

يادار ماصنعت بك الايام * لم يبق فيك بشاشة تستام

(ويقول) من جملتها فى صفة ناقته

وتجشمت بى هول كل تنوفة * هوجاء فيها جرأة قدام
تذوى المطى وراءها فكأنها * صف تقدمهن وهى امام
واذا المطى بنا بلغن محمدا * فظهورهن على الانام حرام

(قيل) سرق رجل مركوبا واعطاه لولده يبيعه فسرق من الولد فقال له أبوه بعت المركوب قال نعم قال بكم قال برسماله فقال هذا رسماله السرقة فقال الولد وقد سرق منى لاخسرت ولا كسبت فضحك عليه أبوه وخلا سبيله (وقيل) سرق باب دار أبى سالم القاضى فجاء الى باب المسجد وقلعه فقالوا له ما الذى تصنع فقال أقلع هذا الباب فان صاحبه يعرف من قلع بابى (وقيل) كان مع أبى بجاز وجتان وكانت أم بجاماتت فخرج أبوه يريد السفر فلما خرج من باب الدار تذكر أنه نسى مركوبه فصاح على ولده يابجاهات المركوب فسمعت زوجتاه الصياح ولم يعرفا ما الخبر فقالا له يابجا مايقول أبوك فقال يقول نك زوجات أبيك فى غيابى فشتماه وقالتا له هذا كلام باطل فقال اسمعوا أنتم منه وصدقوا ثم قال له الواحدة ياأبى والا الاثنين يعنى أجيب فردة من المركوب والا الاثنين فقال بل الاثنين فقال صدقتم الكلام فظنوا أنه يقول له بل نك الاثنين وما مراد أبيه الا المركوب فولع فيهم بالنيك الى أن حضر أبوه (وقيل) جلس العينى فى محل يشرف على الطريق وكان عنده رجل من الشام من أعيان الناس فقال له ياسيدى يقولون ان أهل مصر عندهم الحذق واللطافة بخلاف بلدنا ومرادى أرى الامر عيانا فبينما هو يكلمه اذ مر بياع الفول الحار وهو ينادى عليه فقال العينى هل فى مصر أحقر من هذا قال الرجل الشامى لا قال اصبر حتى أبين لك حذقه ثم ان العينى ناداه فطلع اليه ومعه الفول والعيش فقال له مرادى فول حار ولكن ماعندى دراهم وماعندى الا فردة مركوب تعطينى بها فقال له الرجل ياسيدى * كل شئ جبته أطعمنا الله به * قال فضحك العينى وتعجب الشامى من حذقه وأنعما عليه ومضى الى حال سبيله ومن التورية قول بعضهم هجوا فى رجل اسمه عوض ما لفظه فقال

سرموجتى قد سرقت * وضاق بى رحب الفضا
أتيت للسر و ضحا * أخذت عنها عوضا

وقوله (من شهوتى فى الريف) أى شهوتى التى اشتهيتها وهى أكلى من الكروش وشبعى منها لانى ماوجدتها فى الريف فاذا اطلعت المدينة وفعلت ماتقدم ذكره قضيتها وحصل لى المراد وقوله (واشبع من الترمس) المراد به المطبع بعد نقعه فى الماء

أياما فان أهل الريف لهم فيه رغبة لانه نقلهم أى يتنقلون به أيام الاعياد ويهادى به بعضهم البعض وله عندهم موقع عظيم ويباع فى بلاد المدن دائما وهو فاكهة الريافة اذا طلعوا المدينة يفتخرون باكله هو والمقيلى وفى الترمس خاصية عظيمة ذكرها العلامة الشيخ شهاب الدين القليوبى رحمه الله تعالى وهو أن من داوم على أكل الترمس كل يوم ملأ كفه بقشره على الفطور فان بصره يزداد قوة وقوله (وآكل مقيلى) أى واشبع من المقيلى وهو الفول المنبت المقلى بالنار ومن هذا سمى مقيلى وهو مشهور لايحتاج للتعريف وقوله (وألفه بقشره) أى هو والترمس من شدة شوقى اليه لانى متى أردت تقشير الترمس والمقيلى طال على الامر لانى احتاج الى أن اقشره واحدة بعد واحدة وهذا لايشفى خاطرى ولا مرادى وأيضا فان الناظم من أهل الريف والارياف يأخذونه بالكبشة ويسفونه ولا يعرفون التقشير ولا غيره (ومن المناسبة) ان رجلا جلس هو وغلامه فى محل ظلام يأكلان زبيبا فقال له سيده كل زبيبة زبيبة وأنا الآخر مثلك فلما فرغا من الاكل قال له سيده ياعبد الخير أنا طمعت عليك بقيت آكل اثنتين اثنتين فقال له ياسيدى ان كنت أكلت اثنتين اثنتين أنا بقيت أسف سفا والعرب من عاداتهم انهم يأكلون الزبيب بالكبشة والتمر بالحسة ويجدون فى هذا الفعل لذة وحلاوة (قال الشاعر)

هنيأ لاصحاب البيوت بيوتهم * وللآكلين التمر أخماسا اخماسا

(وبعضهم) يقشر الترمس والمقيلى واحدة واحدة واهل الارياف بخلاف ذلك ولهذا قال (ما أرى توقيف) يعنى ما اوقف فى لفه بقشره ومراده باللف الاكل يقال فلان لف متردعدس يعنى أنه أكله كله وينصرف اللف لغير الاكل كالعمامة ولف البردة ومنه داهية تلفك مثلا ونحو ذلك ثم ان الناظم تمنى أن يأخذ له لبدة (فقال)

ص وآخذلى لبده وكر مشنير * وأنزل كما كلب ابن ابو جعنيف

ش قوله وآخذلى لبده) هذا أيضا من جملة قوله لابن بنت عريف السابق ذكره والمعنى انه يقول اذا أسعفنى السعد فى سرقة الزرابين وبعتها وأكلت بثمنها أكلا حسيا أو معنويا كما تقدم وبقى معى شئ ولو خمسة انصاف أخذت لى لبدة جديدة بنصف من الجسة (و) اخذت بالاربعة (كر مشنير) أى شدا حواشيه غزل أحمر فانه يسمى عند أهل الريف مشنيرا ولا يلبسه الا الاكابر منهم يقال فلان اليوم لابس لبده وكر مشنير يعنى انه بقى من اكابر الكفر فالناظم تشوق الى هذا الامر يعنى اذا طلع المدينة وهون الله عليه بسرقة الزرابين يأخذ مافى مراده وينزل الى الكفر بلبدة وكر مشنير فى قوة وشهامة مثل الكلب الآتى ذكره ولهذا قال (وانزل كما كلب ابن ابو جعنيف) وكلب ابن ابو جعنيف هذا كان مشهورا فى الكفر بالقوة والشجاعة والنط على الكلاب

وخطف العيش وأكل البيض فكان الشخص من اهل الكفر اذا أنعم الله عليه ببلدة وكرّ مشنير يقولون فلان اليوم أصبح مثل كاب ابن ابو جعنيف أى فى القوة والشطارة والسرقة حتى ستر نفسه وكسا روحه وبقى من الاكابر كما أنك تشبه الانسان فى الخسة بالكاب او الخنزير فتقول أنت مثل الكاب مثلا وابو صاحب الكاب كنى بأبى جعنيف اوجعنساف اوجعنوف على ماقيل لثقله وكثرة كلامه يقال فلان جعنساف ثقيل الدم مهدار فى الكلام من غير فائدة كما رأيته فى القاموس الازرق والناموس الابلق (ومن المناسبة) لثقالة الدم وكثرة الكلام الحكاية المشهورة فى كتاب ألف ليلة وليلة (وهى ما اتفق) ان رجلا من اكابر الشام صنع وليمة وخرج يدعو الناس لها فرأى شابا غريبا ظريف الشكل لطيف الذات بديع الحسن والجمال الا انه اعرج فدعاه الى الوليمة فاجاب ودخل به على الجالسين فى منزله فقاموا اله اجلالا وتعظيما لاجل صاحب المنزل فلما أراد الشاب ان يجلس رأى بين القوم انسانا صنعته مزين فامتنع من الجلوس واراد ان يخرج من المنزل فخلف عليه صاحب الوليمة وقال له ماسبب مجيئك معى ودخولك الى منزلى وماسبب رجوعك قبل فراغ دعوتى فقال له الشاب بالله يا مولاى لا تعترض علىّ فان سبب هذا كله رؤيتى لهذا النحس المزين قاتله الله تعالى فانه ذميم الخصال قبيح الفعال تيس الحركة قليل البركة فلما سمع صاحب الدعوة والحاضرون كلام الشاب فى حق المزين كرهوا مجالسته وقالوا للشاب والله ما بقينا نأكل حتى تذكر لنا ماوقع لك مع هذا المزين فانا كرهناه من وصفك فيه فقال الشاب ياجماعة جرالى مع هذا التعيس فى بغداد بلدى حكاية عجيبة لو كتبت بالابر على آماق البصر لكانت عبرة لمن اعتبر وسبب عرجى وكسر رجلى هذا المنحوس فحلفت أنى لا اجالسه فى مكان ولا أسكن مدينة هو فيها وسافرت من بغداد من أجله وسكنت هذه المدينة وهى أقصى البلاد وقد نظرته عندكم وأنا الليلة ما ابات الامسافرا فقالوا له حدثنا ماجرالك معه فأبى وألحوا عليه هذا والمزين قد اصفر وجهه وأطرق برأسه الى الارض واما الشاب فانه قال اسمعوا ياجماعة انّ والدى كان من مياسير بغداد ولم يرزق ولدا غيرى فلما كبرت وبلغت انتقل والدى الى رحمة الله تعالى وخلف لى مالا جزيلا وخدما وحشما فصرت ألبس واتنعم وأنا فى اهنا عيش فبينما أنا ذات يوم من الايام ماش فى زقاق من أزقة بغداد اذ رأيت مصطبة فجلست عليها لاستريح واذا بصبية كأنها الشمس المضيئة لم ترعينى أجمل منها طلت من الطاق وكان لها زرع تسقيه فلما نظرت اليها تبسمت ثم انها أغلقت الطاق ومضت فاشتعلت فى قلبى النار وشغفت بحبها ومكثت قاعدا على المصطبة غائبا عن الصواب الى قريب المغرب واذا بقاضى المدينة راكب على بغلة وقدامه العبيد والخدم حتى أقبل على هذا البيت الذى فيه الصبية ودخله فعرفت انه ابوها فجئت الى بيتى وأنا مكروب وزاد علىّ العشق والهيام

واعترانى الضنا فمرضت بحبها واستمريت على هذا الحال أياما وأهلى يبكون علىّ ولا يعرفون حالى الى يوم من الايام دخلت على عجوز فلم يخفها امرى فقالت لى ياولدى أنت مافيك مرض غير أنك عاشق فقم واجلس وأطلعنى على قضيتك وأنا أبلغك مرادك فأثر كلامها فى قلبى وجلست وأخبرتها الخبر فقالت لى ماصفة الموضع الذى رأيتها فيه فوصفته لها وقلت لها ان أباها قاضى بغداد فقالت لى ياولدى اعرفها وأعرف أباها وأنا ادخل عليها كثيرا لكن عليها الحجر من امها وأبيها وانما أنا اسعى فى اجتماعك بها ولا تعرف هذا الامر الامنى فطب نفسا وقر عينا فلما سمعت كلامها وحديثها طابت نفسى للاكل والشرب وقلت لها اسعى وجميع ماتطلبينه خذيه منى فقامت من عندى وتوجهت اليها وجاءتنى ثانى مرة ووجهها متغير وقالت لى كلمتها فشتمتنى وأغلظت علىّ فلما سمعت ذلك منها ازددت مرضا على مرضى وصارت العجوز فى كل يوم تعودنى فجاءتنى يوما وهى تضحك وقالت لى هات البشارة فقد طاب خاطر الصبية عليك لما ذكرت لها أنك مرضت بحبها ومن اجلها فقالت لى اقرئيه منى السلام وطيبى قلبه وقولى له انّ عندى أضعاف ماعنده فاذا كان يوم الجمعة قبل الصلاة يجىء الى الدار وأنا انزل أفتح له الباب واطلع به عندى فى الطبقة وأجتمع أنا واياه ساعة ويخرج قبل أن يعود أبى من الجامع فلما سمعت كلام العجوز زال عنى ما كنت اجده من الالم وفرح أهلى ولم أزل مترقبا يوم الجمعة حتى أتى واذا بالعجوز دخلت علىّ وقالت لى هيئ نفسك واحلق رأسك والبس أحسن ثيابك وامض فى الميعاد وأزل ما عليك من الاوساخ فى الحمام فان معك فى الوقت فسحة وخرجت من عندى فقلت لغلام من بعض غلمانى امض الى السوق وائتنى بمزين يكون عاقلا جيدا قليل الفضول فغاب عنى ساعة وأتانى بهذا النحس لاكان الله له فى عون فلما دخل سلم علىّ فرددت عليه السلام فقال لى ياسيدى انى اراك ناحل الجسم فقلت له انى كنت مريضا فقال أذهب الله عنك البأس والاحزان وجميع الآلام * واماط عنك الاسقام * ولازالت بك الاقدام ▪ وعافاك الله وشافاك * ولاشمت فيك اعداك * وهناك بما أعطاك * فقلت له تقبل الله منك دعاءك فقال لى ابشر ياسيدى فقد جاءتك العافية ان شاء الله تعالى ثم قال لى تريد ياسيدى أن تقصر شعرك أو تنقص دما فانه قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما انه قال من قصر شعره يوم الجمعة صرف الله عنه سبعين داء من البلاء وروى عنه أيضا انه قال من احتجم يوم الجمعة لا يأمن ذهاب بصره فقلت له ياهذا قم الآن ▪ واحلق رأسى ودع عنك الهذيان ▪ ولقلقة اللسان * فانى ضعيف من اثر المرض فادخل يده فى حرمدانه واخرج منديلا كان معه ففتحه فاذا فيه اصطلاب فاخذه ومضى الى وسط الدار ورفع رأسه الى شعاع الشمس ونظر فيه ساعة وتأمل طويلا وقال اعلم ياسيدى وفقك الله وهداك * ورعاك وعافاك * وشافاك وهداك * انه مضى من يومنا هذا وهو

يوم الجمعة ثامن عشر صفر الخير سنة ٧٥٣ ثلاث وخمسين وسبعمائة من هجرة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم بعد خمسة آلاف سنة من تاريخ سيدنا آدم عليه السلام وثلاثة آلاف وعشرون سنة من تاريخ اسكندر الرومى واربعة آلاف سنة من التاريخ الفارسى والطالع فى يومنا هذا على ما اوجب فى الحساب من المريخ ثمان درجات وست دقايق اتفق رب الطالع عطارد والمريخ داخل معه فى تسديسه على أن أخذ الشعر جيد ويدل ذلك يا مولاى أيضا على انك تريد الاجتماع بنفس والطالع فى هذا الامر مفسود والحال فيه مذموم فقلت له يا هذا والله لقد أضجرتنى وضيقت منافسى وأصغرت روحى وفوات على بفأل غير حسن ولا محمود وما دعوتك للحجامة ولا الشئ من كثرة الكلام فيما لا يعنيك وانما دعوتك لتأخذ شعرى فافعل ما دعوتك له ومن اجله ودع عنك ما لا أريد والا فاذهب عنى ودعنى احضر لى مزينا غيرك فقال يا مولاى احمد الله أنت طلبت مزينا فمن الله عليك بمزين ومنجم وطبيب وعارف بصنعة الكيمياء والسيمياء والنحو واللغة والمنطق والمعانى والبيان والبديع وعلم الحديث والفقه والتواريخ والحساب والصرف والعروض والانشاء وقد قرأت الكتب ودرستها ومارست الامور وعرفتها ودبرت جميع الاشياء وركبتها وانما كان سبيلك أن تحمد الله على ما اعطاك وتشكره على ما اولاك فقد قال الله تعالى فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم العلماء ورثة الانبياء وما أنا بحمد الله تعالى عاجز عن الفضيلة حتى تقول لى هذا القول وانما أشير عليك اليوم ان تعمل ما اقول لك عليه فى حساب الكواكب فانى ناصح لك ومشفق عليك واود لو كنت فى خدمتك سنة لان حقك على واجب وحق ابيك من قبلك واجب ولا اريد منك اجرا ولو فعلت ذلك لكان اسر الاشياء الى قلبى وكل هذا لاجل منزلتك عندى واكراما لوالدك رحمة الله عليه لان له عندى ايادى متقدمة وله على فضل لا يحصى لانه كان يحب خدمتى له وما كان يخدمه أحد غيرى لما رأى من كثرة أدبى وقلة كلامى وحسن صنعتى وخفة يدى فلهذا كانت رغبته فى وكان يحبنى كثير القلة فضولى لخدمتى لك فرض قال فلما سمعت منه ذلك الكلام قلت أنت اليوم قاتلى لا محالة من كثرة كلامك وهذيانك فيما لا يعنيك فقال لى يا مولاى ومثلى من ينسب الى الهذيان وكثرة الكلام فوالله لقد كان والدك رحمة الله عليه اذا احضرت عنده يتمنى أن أتكلم بين يديه سنة كاملة ليقتبس من علمى ويلتقط من درر نظامى وفهمى وينظر الى حسن صنعتى ونحن سبعة اخوة الاول اسمه بقبوق والثانى اسمه الهدار والثالث اسمه بقبيق والرابع اسمه الكوز الاسوانى والخامس اسمه الفشار والسادس اسمه الزعقوق وانا لقلة كلامى سمونى الصامت وان اردت أن احكى لك عن أصلى وفصلى ونسبى وحسبى وما جرى لاخوتى الستة من اول الزمان الى آخره

فاستمع ما أقول فلما اكثر على الكلام واطاله بلا فائدة امرض قلبى وحسبت ان مرارتى قد انفطرت فقلت لغلامى ادفع له اربعة دنانير ودعه يروح عنى لوجه الله تعالى فما بقيت أحلق رأسى فى هذا اليوم فلما سمع ما قلته لغلامى قال لى هذا النحس الخبيث ايش يا مولاى هذا الكلام أيمان المسلمين تلزمنى لا آخذ منك اجرة حتى أحلق رأسك ولا بد لى من خدمتك فانها واجبة على واصلاح شأنك لازم لى ولا أبالى بعد ذلك ان أخذت منك شيأ اولم آخذ فان كنت يا مولاى لا تعرف قدرى وحقى فانا أعرف حقك وقدرك لمقام والدك عندى فالله تعالى يرحمه ويطول عمرك فوالله لقد فجع الناس فيه وكان والله جوادا عظيما كريما حليما سخيا محبا الاخوانه أرسل خلفى مرة فى نهار جمعة مثل هذا اليوم المبارك فدخلت عليه وكان عنده جماعة من أصحابه فقال انقص لى دما فأخرجت الاصطرلاب وأخذت الارتفاع فوجدت الطالع مذموما لاخراج الدم فأعلمته بذلك وقلت له يصبر المولى ساعة حتى يتغير هذا الطالع وأقضى حاجة مولانا ففرح بكلامى وقال والله ان عندك فضيلة ولو كان احد غيرك لكان اخرج لى الدم وشكرنى لجماعته وحكيت لهم حكايات ظريفة فعجبوا وطرب جماعته منها غاية الطرب فانشدت أقول

أتيت الى مولاى أنقص دمه * فلم أر وقتا يقتضى صحة الجسم
جلست احدثهم بكل عجيبة * وبين يديه أنثر العلم من فمى
فأعجبه منى اسماع وقال لى * تجاوزت حد الفهم يا معدن العلم
فقلت له يا سيد الكل والورى * أفضت على الفضل لا زلت فى حلم
لانك رب الفضل والجود والعطا * وكنز العلا فى اللطف والجود والعلم

(فلما سمع أبوك) رحمه الله حكايتى وشعرى طرب وصاح على الغلام وقال اعطه مائة دينار وخلعة فاعطانى ما أمر لى به ثم أخذت الطالع فوجدته جيدا فاخرجت له الدم ثم ان هذا النحس صار يزيد فى كلامه وهذيانه فقلت لا رحم الله والدك الذى عرف مثلك قال فضحك هذا النحس من كلامى وقال لا اله الا الله سبحان من يغير ولا يتغير ما أظن الا أن المرض غيرك لانى أرى عقلك نقص والناس كلما كبر سنهم زاد عقلهم وما أظن الا انك خرفت من المرض والله تعالى يقول والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين وقال تعالى ووصينا الانسان بوالديه حسنا ويروى عن انس بن مالك انه قال من ارضى والديه فقد ارضى الله تعالى ومن أسخط والديه فقد اسخط الله تعالى وقال الشاعر

واسى الفقير اذا ما كنت مقتدرا * على الزمان وللاحسان فاغتنم
الفقر داء دفين لا دواء له * والمال زين يزين المنظر الشيم
وافش السلام اذا ما جزت فى ملاء * والوالدين فكن عونا لبرهم

(لكن ياسيدى) أنت معذور والله تعالى يقول ليس على الاعمى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج اوأبولك وجدك ما كانا يفعلان شيأ الابمشورتى وقد قالوا فى المثل * من لم يكن له كبير فليتخذله مشير قال الشاعر

اذا ما عزمت على حاجة * فشاور كبيرا ولا تعصه

وما تجد أحدا أدرى بالامور منى ومع ذلك انى واقف بين يديك على اقدامى اخدمك وما ضجرت منك فتضجر أنت منى فقلت له ياهذا لقد أطلت على وأوجعت رأسى من كثرة الكلام فبالله عليك انصرف عنى واظهرت له الغيظ وأردت ان أقوم وقد دنا منى الوقت الذى انا منتظره والوعد الذى أنا طالبه وأنا فى كرب من هذا النحس وكثرة كلامه فقال يامولاى أنا ما أعتب عليك أبدا وأنا متعجب منك الذى رأيتك بهذه اللحية وبالامس كنت احملك على كتفى وأمضى بك الى الكتاب فقلت له بحق الله احلق رأسى وقم عنى (قال) فعند ذلك لما رآنى غضبت أخذ الموسى وسنه وتقدم الى رأسى وحلق منه بعض شعر ثم رفع يده وقال يامولاى ان العجلة من الشيطان والتأنى من الرحمن قال الشاعر

تأن ولا تعجل لامر تريده * وكن راحما للناس تبلى براحم

فما من يد الا يد الله فوقها * ولا ظالم الا سيبلى بظالم

وخير الامور ما كان فيه التأنى وأظنك مستعجلا وأنت قاصد حاجة وأنا أخشى أن تكون حاجة غير موافقة وامرا غير صالح فأخبرنى فان وقت الصلاة قد قرب ثم رمى الموسى من يده وأخذ الاصطرلاب ومضى الى الشمس وقال بقى لوقت الصلاة ثلاث ساعات لا تزيد ولا تنقص فقلت له بالله ياهذا اسكت عنى فقد ضيقت على الدنيا وقد زهقت روحى منك فتقدم وأخذ الموسى وحلق شيأ يسيرا ثم رماه وصار يهدر على فى الكلام الى أن مضى ساعتان وبقى ساعة واحدة وخشيت ان تأخرت عن الموعد لا أدرى كيف السبيل فى الدخول اليها فقلت له احلق رأسى بسرعة ودع عنك كثرة الكلام فانى أريد أن اتوجه الى دعوة عند اصحابى فلما سمع هذا النحس بذكر الدعوة قال انا لله وانا اليه راجعون والله ياسيدى ذكرتنى جماعة ضيوفا عندى ومرادى أصنع لهم طعاما وما عندى شئ وانت تحضر لى بجميع ما أطلبه ولا اروح الا انا واياك وتشرفنى اليوم فى محلى ووليمتى أحسن من وليمة أصحابك فقلت خذ ما تريد واحلق بقية رأسى ودعنى فى حالى فان الوقت ضاق ولا لى حاجة بالذهاب الى منزلك وأحضرت له جميع ما طلبه حتى البخور والعود ومرادى ان الله يصرفه عنى حتى أمضى الى مطلوبى فقال لى ياسيدى وانا الآخر عندى جماعة ملاح زيتون الحمامى وصليع الفامى وسلوطح الفوال وعكرشة البقال وسعيد الجمال وسويد العتال وحميد الزبال وابو عكاش البلان وقنبر الحرقان ولكل واحد منهم قصة ان اردت احكيها لك فاما حميد الزبال فانه يرقص بالطار

ويغنى على المزمار وفى وصفه اقول

روحى الفداء لزبال شغفت به * حلو الشمايل كالاغصان ميالا

جاد الزمان به ليلا فقلت له * والشوق ينقص منى كلما زالا

أضرمت نارك فى قلبى تجاوبنى * لاغروان أصبح الوقاد زبالا

(فامض ياسيدى) معى الى اصحابى واترك اصحابك فربما انك تمضى الى ناس يكثرون من الكلام فيشوشون عليك وأما انا فانى مثل اسمى صامت ولا اكثر الكلام وكذلك ضيوفى لا يتكلمون كلاما كثيرا فاذا توجهت معى اليهم تأنس بى وبهم فى هذا اليوم فى منزلى وانى خائف عليك من الذين أنت قاصدهم ربما يكون فيهم واحد فضولى فيوجع رأسك وأنت قد صغرت روحك من هذا المرض فقلت له غير اليوم فان مرادى امضى الى اصحابى وامض أنت الى اصحابك فقال هذا النحس معاذ الله يامولاى ان أتخلا عنك وادعك تمضى وحدك فقلت له ياهذا ان الموضع الذى أنا ماض اليه لا يحمل أحدا يدخله غيرى فقال لى يامولاى أظنك اليوم فى ميعاد واحدة من احبابك وأصحابك تريد الخلوة معها الا جل الحظ والخلاعة والانس والمنادمة والا كنت تأخذنى معك وأنا أحق من جميع الناس وأساعدك على ما تريد وأنا خائف أن تكون امرأة أجنبية مخادعة تحتال عليك وتفعل معك شيأ يروعك فان مدينة بغداد ما يقدر أحد أن يعمل فيها شيأ ووالى بغداد جبار وربما يصدفك معها أو يخبره أحد بك فيرمى رقبتك فقلت له يا أخس الناس يامنحوس ايش هذا الكلام الذى تقابلنى به وقد ملئتنى غيظا وها هو قد جاء وقت الصلاة فلم يزل يلح على حتى فرغ من حلق رأسى فقلت له الآن امض الى اصحابك بهذا الطعام وانا منتظرك الى أن تعود وتمضى معى ولم ازل اداهنه واخادعه وهو يقول لا امضى الا معك ولا ادعك تروح وحدك حتى حلفت له انى أنتظره الى أن يعود وامضى أنا واياه فأخذ جميع ما اعطيته له وخرج من عندى ثم انه أرسله مع حمال الى منزله واختفى نفسه فى بعض الازقة وأما أنا فقد دقت من وقتى وساعتى وقد سلم المؤذن وضاق الوقت فلبست ثيابى وسرت مسرعا وحدى الى أن أتيت الزقاق ووقفت على الدار التى رأيت فيها الصبية وهذا التعيس المزين خلفى ولم اشعر به فوجدت الباب مفتوحا فدخلت فوجدت العجوز واقفة خلف الباب تنتظرنى فطلعتنى الطبقة التى فيها الصبية فلم اشعر الا وصاحب الدار قد عاد من الصلاة ودخل القاعة واغلق الباب فأشرفت أنا من الطاق ورأيت هذا المزين المنحوس قاتله الله قاعدا على الباب فقلت فى نفسى انا لله وانا اليه راجعون من أين علم هذا النحس بى حتى ساقه الله تعالى الى لهتك ستري ثم ان صاحب الدار ضرب جارية من جواره فأتى العبد يخلصها فضرب العبد فصاح العبد فاعتقد هذا الكلب المزين الخبيث أنه يضربنى فصاح ومزق ثيابه ووضع التراب على رأسه وصار يقول قتل سيدى فى بيت

القاضى واسيداه واسيداه فاقبل اليه الناس من كل جانب وهو يصيح ثم مضى الى دارى والناس خلفه وأعلم أهلى وغلمانى وقال لهم سيدى قتل فى بيت القاضى فجاءونى صارخين ناشرين الشعور وهو يصيح قدامهم الله ينصر السلطان القاضى قتل سيدى فسمع صاحب الدار ضجة الخلق والصراخ والعياط والناس يقولون له تقتل فى دارك اولاد الناس والمزين يقول واقتيلاه واسيداه فخرج وفتح الباب والناس يصيحون فى وجهه وهذا النحس يقول الله ينصر مولانا السلطان فقال ياقوم ماهذه القصة فقال له المزين تقتل سيدنا فى دارك وتسألنا ماهى القصة فقال له القاضى وأين سيدك حتى أقتله فقال له هذا الخبيث المزين أنت ضربته بالمقارع وصار يصيح والآن مابقى له حس وسبب ذلك انك قتلته فقال له هذا القاضى ومن أدخل سيدك فى دارى بغير اذنى فقال له انه عاشق بنتك وقد دخل لها وأنت فى صلاة الجمعة حكم الموعد الذى أوعدته به فلما جئت ورآيته ضربته وقتلته ومابقى يفرق بينى وبينك الا السلطان أو تخرجه من بيتك فى هذه الساعة فقال له القاضى وقد اعتراه الحيا والخجل من الناس ان كنت صادقا ادخل أنت واخرجه فنهض هذا الكلب المزين التحيس الشقى ودخل الدار فلما رأيته طلبت طريقا أخرج منها أو موضعا اهرب فيه فلم أجد غير صندوق كبير فدخلت فيه ورددت على الغطا وقطعت الحس وكتمت النفس فالتفت هذا التحيس الشقى الخبيث المزين فلم ير غير الصندوق فى المحل الذى كنت فيه فأتى اليه وحمله على رأسه وقد غاب عقلى وخرج بى مسرعا فلما علمت أنه لا يتركنى حملت نفسى ورميت روحى من الصندوق الى الارض فكسرت رجلى وخرجت فرأيت خلقا على الباب مثل التراب فصرت أنثر الدنانير على رؤسهم فالتهوا عنى فحملنى غلمانى وعبيدى على عواتقهم وصاروا يجرون بى فى ازقة بغداد وهذا النحس الخبيث المزين يجرى خلفى ويقول احمد الله ياسيدى الذى خلصتك من القتل وأنا وراءك لا تخاف وما كان لك حاجة بعشق بنت القاضى وعشق النساء صعب وصار يشنع على فى الاسواق ويحكى بالكلام الى ان أدخلنى غلمانى فى خان فقلت للبواب بالله عليك امنعه عنى فقام عليه البواب والغلمان وطردوه ومنعوه وقد زهقت روحى وأشرفت على الهلاك وأحضرت ذميها وكتبت وصيتى وارسلتها الى أهلى وأخذت معى بعضا من غلمانى وجانب دراهم وسافرت من بلدى بغداد وما دخلت منزلى من الفضيحة التى حصلت لى بسبب هذا الكلب وحلفت لا أسكن فى بلدة فيها هذا التعيس المزين فلما جئت الى بلدكم هذه احضرت لى طبيبا وصار يداوينى حتى شفانى الله تعالى وحمدت الله على ذلك لكن حصل لى من ذلك الكسر عرج فهذا أول يوم خروجى من منزلى وقد لاقيتنى ودعوتنى الى وليمتك فلما رأيت هذا الشقى جالسا عندكم ما طاب لى الجلوس ولا الاكل وانما اسأل فضلكم ان تسمحوا لى بأن أخرج من عندكم لاجل خاطر هذا المنحوس وهذه يا جماعة قصتى قال فالتفتوا اليه وقالوا له

هذا

هذا الكلام صحيح فرفع رأسه وقال نعم وهو يحمد الله الذى سخرنى له فخلصته وانكسرت رجله فان كسر رجله أولى من ضرب عنقه فأنا قد عملت معه هذا الجميل لله تعالى فقال له الجماعة الحاضرون قاتل الله الابعد قد هتكت الشاب وغربته عن أهله وفضحت قاضى بغداد ثم انهم نهروه وشتموه وأخرجوه من عندهم واكرموا الشاب اكراما زائدا وتعجبوا مما فعله معه هذا النحس المزين وتفرق كل منهم الى حال سبيله (وفى الغالب) ان كثرة الكلام عند أرباب هذه الصناعة عادة معروفة وطبيعة جبلية توجد فى كبيرهم وصغيرهم لكن هذا النحس قد زاد فى الثقالة والرذالة وعدم الذوق (ومن المناسبة لذلك) ما قاله العلامة القليوبى فى نوادره وهو ما حكى عن الفضل بن الربيع أنه قال قال لى الرشيد يوما أطلب منك حجاما أسكت من الحجر فقلت له ان لى غلاما عاقلا أديبا ظريفا ذا سكينة ووقار وله معرفة تامة فقال ابعثه الى فبعثته اليه وأكدت عليه أنه يلزم السكوت مع الادب ولا ينطق بشئ وأن يتأهب أحسن أهبة وأكدت عليه ثم بعد ذلك دخلت على الرشيد فوجدته عبوسا منقبضا فقال يافضل ان لذلك الغلام شأنا وانا لا اراه أبدا بعد اليوم ثم انى سألت فراشا مختصا به عن خبره فقال يافضل لما أتى الحاجم جئت به الى امير المؤمنين لاخراج الدم فلما بدى فى الحجامة قال يا أمير المؤمنين انى اسألك عن شئ فقال له ماهو قال قد قدمت محمدا على المامون والمامون اسن منه فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك يا أمير المؤمنين عن شئ آخر فقال له ماهو قال لم قتلت جعفر بن يحيى البرمكى فقال له اخبرك به اذا فرغت فلم يلبث الا يسيرا حتى قال واسألك عن شئ آخر فقال له قل فقال لم اخترت الرقة على بغداد وبغداد أطيب منها فقال له جوابك عن ذلك اذا فرغت فلما فرغ دعا مسرورا خادمه وقال له لا تشرب الماء البارد قبل أن تقتله فانه سألنى عن ثلاث مسائل لو سألنى عنها المنصور ما أجبته قال الفضل فبينما أنا جالس اذ دخل أبو دلامة على الرشيد باكيا وقد تواطأ مع أم دلامة أنه يدخل على الرشيد وهى تدخل على زبيدة فلما مثل بين يديه بكى وانتحب فقال له الرشيد ما بالك تبكى (فقال)

وكنا كذى روحى قطا فى مفازة * من الامن فى عيش رخى وفى رغد
فأفردنا ريب الزمان بصرفه * ولم أر شيأ قط أوحش من الفرد

ثم أعلن بالنحيب والعويل وقال يا أمير المؤمنين ماتت أم دلامة وأنا محتاج الى تجهيزها فأمر له بمال وكانت أم دلامة قد دخلت على زبيدة وهى باكية فقالت لها زبيدة ما بالك فقالت ان ابا دلامة مضى لسبيله فاعطتها مالا تجهزه به وذهبت فدخل الرشيد على زبيدة وهو مغضب من اسئلة الحجام وموت أم دلامة فقالت له زبيدة يا أمير المؤمنين مالى أراك حزينا فاخبرها الخبر فضحكت وقالت الآن خرجت أم دلامة من عندى لتجهيز أبى دلامة فضحك هو أيضا وقال والآن خرج من عندى أبو دلامة لتجهيز أم دلامة قال

الفضل فخرج علينا الرشيد مسفرا مستبشرا مستغرقا فى الضحك فعجبت منه كيف دخل حزينا وخرج مسرورا فاستخبرته فأخبرنى بما حصل فشفعت حينئذ فى الحجام فقبل شفاعتى وأطلقه واستحضر أبا دلامة وقال له ما حملك على هذا فقال له يا أمير المؤمنين لكى يقال انه لا يتوصل الى عطاء أمير المؤمنين الا بالحيلة وضحكا جميعا من ظرافة حيلهما وقد علمت أن المزينين أقل الناس عقولا وأفسدهم رأيا فلا ينبغى لعاقل أن يطلعهم على أسراره ولا يشاورهم فى أمر من اموره فانهم لا يحفظون الاسرار ولا يكتمون الاخبار فالاولى اجتنابهم وعدم الركون اليهم واذا احتاج الانسان الى المشاورة فليشاور حكيما عليما خبيرا قد جرب الامر فان المشاورة مطلوبة شرعا (قال العلامة البلقينى) فى تفسيره أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بمشاورة أصحابه وهو غنى عنها فقال تعالى وشاورهم فى الامر وهو تشريع للأمة وقد أثنى الله على عباده بالمشاورة فقال تعالى وأمرهم شورى بينهم (وروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كانت امراؤكم خياركم وأغنياؤكم سمحاءكم وأمركم شورى بينكم فظهر الارض خير لكم من بطنها واذا كانت امراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم الى نسائكم فبطن الارض خير لكم من ظهرها رواه الترمذى عن أبى هريرة (وانشد) أبو القاسم الحبيبى قال انشدنى أبو عثمان

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه
واذا باب أمر عليك التوى * فشاور حكيما ولا تعصه
ونص الحديث الى أهله * فان الامانة فى نصه
اذا المرء اضمر خوف الاله * تبين ذلك فى شخصه

(وانشد) أبو القاسم الحسن قال انشدنا أبو بكر محمد بن المنذر قال انشدنا أبو سلمة المؤدب

شاور صديقك فى الخفى المشكل * واقبل نصيحة ناصح متفضل
فالله قد أوصى بذاك نبيه * فى قوله شاورهم وتوكل

(وقال يحيى البرمكى) ثلاثة تدل على عقول الرجال الهدية والكتاب والرسول (وسمع) أبو الاسود الدؤلى رجلا يقول

اذا كنت فى حاجة مرسلا * فأرسل حكيما ولا توصه

فقال قد اخطأ قائل هذا البيت أيعلم الرسول الغيب وان لم توصه أنت فكيف يعلم ما فى نفسك ثم انه قال

اذا أرسلت فى امر رسولا * ففهمه وأرسله أديبا
ولا تترك وصيته بشئ * وان هو كان ذا عقل أريبا
فان ضيعت ذاك فلا تلمه * على أن لم يكن علم الغيوبا

(ثم ان الناظم) عزم على مشايخ الكفر باسمائهم (فقال)

ص ويجلس بجنبى ابن جرو وكل خره * وابن كل الصك النضيف وضيف
وابن فسا التيران وابن خرا الحس * وقلوط والزبله وابن كنيف

ش قوله (ويجلس بجنبى) أى هؤلاء المشايخ يعنى مشايخ بلد الناظم الذين افتخر بذكرهم وأجرى اسماءهم على لسانه والمعنى انه يقول اذا نزلت من المدينة وأنا مكتسى لبدة وشدا مشنبرا وأنا كما الكلب المتقدم ذكره وأتى الى مشايخ البلد المذكورون وجلسوا بجانبى وهم ثمانية رجال الاول (ابن جرو) الثانى ابن (كل خره و) الثالث (ابن كل الصك النضيف) أى المتراسل بعضه اثر بعض حتى يخلى القفا مثل علم سيدى أحمد البدوى مثلا وقيل الصك النضيف شرطه أن يكون من رجل شديد ويكون قفا الشخص مصلحا خاليا عن شئ يمنع عنه الصك بالاقلام ويراسله بالصك بسرعة وعجلة حتى يحمر قفاه فعلامة نضافة الصك احمرار القفا وورمه (حكى) أن أبا نواس نادم أمير المؤمنين هارون الرشيد ليلة فأنعم عليه بجارية وأمر بحملها معه وقال لها اذا طلب منك الحاجة صكيه وكلما أراد الطلب زيديه من الصك فلما وصل الى منزله وأراد منها الفعل نزلت فى قفاه صكا وهكذا الى الصباح فلما اصبح أتى الخليفة وهو فى غاية ما يكون من الالم لا يقدر أن يلتفت يمينا ولا شمالا فقال له الخليفة كيف كانت ليلتك يا أبا نواس مع الجارية فقال له يا أمير المؤمنين كانت طيبة الا أن مولانا عودها عادة قبيحة فضحك منه وأنعم عليه بمال وغيره وقوله (وضيف) هذا فعل أمر على لغة أهل الريافة فى كونهم يثبتون حرف العلة فى فعل الامر كقولهم فى قم قوم بالواو وفى ضف ضيف بالياء وفى نك نيك بالياء والمعنى انه يقول له ضف الصك على الصك أى اجعله متتابعا لا ينقطع بعضه عن بعض حتى لكثرته يصير كأنه ضربة واحدة فان المضاف والمضاف اليه كالشئ الواحد ويحتمل أن يكون قوله وضيف من الضيافة وأتى به لتمام البيت (و) الرابع ابن فسا التيران) سمى بذلك لان أباه كان انقطع مدة فى داره لمرض اعتراه وهو كثرة الفساء واتخذ له محلا بين التيران يسمى طوالة فصار يفسى فيها ليلا ونهارا فصار كلما شم أحد رائحته يقول له ما هذا فيقول فسا التيران فسمى بذلك (و) الخامس (ابن خرا الحس) سمى أبوه بذلك لكثرة لحسه من الجلة وهو صغير وقيل قلع عرقيته ووضعها على الارض وصار يخرى فيها حتى ملأها وصار يلحس من حواليها فسمى بذلك (و) السادس (قلوط) مشتق من القلط على وزن الضرط والهلط يقال فلان غلظ قلوطه بمعنى انه شبع من الرزق وبقى فى الكفر عظيم الامر يجلس مع النصرانى ركبه بركبه ويلبس الوطا الاحمر والشد المشنبر (و) السابع من مشايخ البلد (الزبله) سمى بذلك لانه كان فى صغره مشغولا بلم الزبل من محل مرعى الغنم ومن

السكك والكيمان وبعه وكان هذا سببا لسعادته وكان بينه وبين قلوط صداقة فى البلد فكان قلوط دائما فيها لا يفارقها والزبله تارة يسافر وتارة يقعد فيها وكان قلوط هذا فى وسطها سواء بسواء والزبلة فى طرفها وكانوا يهادون بعضهم بعضا وبينهم محبة ومودة واتحاد غالبا ومناسبة لان الزبلة قريبة من القلوط وان كان القلوط أرق منها لكن ابن خرا الحس أعظم فى البلد وا كبر من الكل وأشهر من الجميع ولذلك اذا ناديت أحدا منهم فى البلد يغلب لسانك الى خرا الحس وتجده فى وجهك (ومن النوادر) أن بعض الولاة من المغفلين قال لكاتبه اكتب لفلان واغلظ عليه وقل له ياخرا افعل كذا وكذا فقال له الكاتب يامولاى لا يصلح هذا الكلام لهذا الرجل العظيم القدر لانه من أرباب العظمة فقال له حيث كان الامر كذلك الحس موضع الخرا بلسانك ولا تخل فيه اثرا (و) الثامن (ابن كنيف) وكان شهيرا موصوفا معروفا يقصده جميع الناس من كل جهة ويقابلونه بوجوههم يتعاطى مصالح البلد وكان نديما للقلوط وابن خرا الحس الا أن ابن خرا الحس كان محبوب ابن كنيف فى الصغر فلما كبر صار ابن كنيف نديما لهذه الجماعة المذكورين ولا يستغنون عنه كما قال بعضهم (مواليا)

وطواط عشق خنفسا وصبح بها محجوب * وبنا لها قصر جوا بيت خلا من طوب
وحضر النقل والمأكول والمشروب * ما للنـــديم الخرا الا الذى المحبوب

ثم أن الناظم لما تمنى أن يجتمع عند هؤلاء الجماعة ليحصل له بهم السرور ويفرح وينشرح بهذه اللمة عنده (قال)

ص وأفرح باللمه وينسر خاطرى * وهذا مرادى يا ابن بنت عريف

ش هذا كله خطاب لابن بنت عريف المتقدم ذكره أى انه يرجو من الله أن يبلغه مناه من سرقة الزرابين المتقدمة ويعن عليه حتى ينزل من المدينة بلبدة وكزمشنبر ويكون له مقام فى البلد ومقال بين الناس ويجتمع عليه شيوخ البلد المتقدم ذكرهم ولا يحتاج لاعادتهم فان الاعادة ليس فيها افادة وقد عرفت أسماءهم باللفظ والذوق وملخص القول ان الناظم يقول ان حصل لى هذا فهو غاية مطلوبى ومرادى من الدنيا وتمام مرغوبى من اللذات فانى قد كبرت والزوجة صارت عجوزا عقيما واذا من الله تعالى على بما طلبته يبقى رزق امراتى على الله تعالى فانه رزاق كريم يرزق الطائع والعاصى والبر الفاجر وأنا على حد قول (القائل)

يامن طلب رزق ونالو * وقال بقى رزق امراتى
قم فى الدجا سرح دقنك * لابد لك عن خيراتى

(اوأنه) اختص بالطلب لنفسه وقال لعقله المرا تأكل خرا وألف دقن ولا دقنى (ثم انه ختم) كلامه بالصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم (فقال)

ص وأختم قصيدى بالصلاة على النبى * نبى عربى مكى شريف عفيف

ش قد اقتدى الناظم بالحديث الشريف وهو قوله صلى الله عليه وسلم من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب ومثل الكتاب النظم وغيره وفى الشفاء لابن سبع عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال أكثروا من الصلاة على فانها تطفىء غضب الرحمن وتوهن كيد الشيطان والاحاديث الواردة فى فضل الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم كثيرة وبالجملة فالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مسنونة عقب الدعاء وقال الشيخ الملالى فى شرح ام البراهين ان الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم مقبولة من كل مؤمن ودليل ذلك ماروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان من الاعمال مقبولا ومردودا الا الصلاة عليك فانها مقبولة وقد ذكروا أن الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخلها رياء فهى مقبولة بلا شك (وقد روى) ان الدعاء موقوف بين السماء والارض حتى يصلى عن النبى صلى الله عليه وسلم فى ابتدائه وفى انتهائه الى أن قال روى عن أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه أن الصلاة على النبى أمحق للذنوب من الماء البارد وأن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب فى مقابلة العتق من النار ودخول الجنة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فى مقابلة سلام الله تعالى على أهل الجنة فناهيك بها من منة قاله فى كشف الاسرار (وعن أبى هريرة) رضى الله تعالى عنه مرفوعا من صلى على يوم الجمعة ثمانين مرة غفر الله له ذنوب ثمانين سنة قيل يارسول الله كيف نقول قال قولوا اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وان كان رواه الدارقطنى وحسن العراقى كما فى مسالك الحنفاء وذكره السيوطى مقيدا له بكونه بعد العصر والله أعلم (خاتمة) فى ذكر نوادر متفرقة نختم بها الكتاب وان كان قد مر منها البعض استطرادا لمناسبة الكلام لبعضه آنفا (قيل) تزوج بعضهم بامرأة مات عنها خمسة أزواج فلما مرض هذا السادس صارت تبكى وتقول الى من تكلنى بعدك فقال لها الى السابع الشقى (ويحكى) أن بعض اللطفاء كان يكثر من الشراب سرا وكان عليه حجر من أبيه فبلغ والده ذلك فما زال يتبع أخباره الى أن رآه ومعه زجاجة ملآنة من الخمر فمسكها وقال له ما هذا فقال هذا لبن فقال ويحك اللبن أبيض وهذا أحمر فقال الولد صدقت انه كان أبيض فلما رآك خجل واستحى واحمر ولعن الله من لا يستحى فخجل أبوه وتركه وانصرف (وحكى) أن بعض الظرفاء كان اذا غضبت زوجته بادر الى رفع رجليها واشتغل بنكاحها فقالت له يوما أنا كلما يشتد غضبى عليك تأتينى بشفيع معك لا نستطيع رده (وقيل) دخل رجل مجنون على قاض وهو ماسك ايره وقال السلام عليكم ورحمة الله فقام

القاضي وكشف عن استه وأداره الى المجنون وقال وعليكم السلام قال الله تعالى واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أوردوها ما لهذا السلام الا هذا الرد (وحكى) أن الاصمعي قال كنت يوما عند الرشيد فقال لي من عندك يؤانسك فقلت له ليس عندي أحد فلما ذهبت الى منزلي أرسل لي جارية بديعة الحسن والجمال آنستني بكلامها وأبهرني عذب اقتراحها من بدائع الحركات المطربة المهيجة لسواكن الشهوة التي توقظ النائم وتنعش الفؤاد فلاعبتها ولاعبتني حتى أمالت نفسي اليها ورغبت في الركوب عليها وخلعت ثيابي وسألتها أن تخلع ثيابها فخلعتها وهي تتنفس تنفس السقيم وتأخذ القلوب بكلامها الرخيم وابتسامها لابس الشراب وأحضرنا المآكل والمشارب وأكلنا وشربنا وتفكهنا وأردت ان أهتم بها فاعتراني من الفتور وعدم الانتصاب ما كدر خاطري وأفسد علي ليلتي فتحيرت في أمري وصرت لا أدري ماذا أفعل فأكثرت من ملاعبتها حتى صارت تقلب ايري بيدها فلم يزدد الا فتورا وارتخاء وحصل له انكماش حتى صار كالميت الذي لا حركة فيه فعظمت حسرتي وصرت منها في حياء وخجل فلما آيست منه قالت يا سيدي دع ايرك فما فيه حيلة ولا نفع فانه ميت ثم قامت وقالت لي نم على ظهرك حتى أغسله وأكفنه فخجلت منها ولم أقدر أخالفها وغمت لها كما طلبت فمسكته بيدها وغسلته وكفنته بمنديل ثم قالت لي قم صل عليه فقمت وأنا في غاية الخجل فتوضأت وصليت الصبح وسرت من وقتي الى الرشيد فقال لي ما خبرك فقلت له يا أمير المؤمنين حكايتي غريبة وأخبرته بما حصل لي معها فضحك حتى استلقى على ظهره وقال لي نحن أحوج اليها منك لصغرها وفطانتها فأخذها مني وعوضني جارية غيرها وعشرة آلاف درهم وحظيت عند الرشيد وسميت من يومها بالاصمعية (وقيل) كان رجل نحوي اسمه زيد فرأى غلاما اسمه بكر فلما اختلى به قال له يا ولدي حرك الاير حركة الاعراب فانه فاعل بلا ارتياب ومده الى استك كالمد المتصل واجعل الهمزة آلة له لئلا ينفصل وأطال الكلام في هذا المعنى فدخل عليه رجل يسمى عمر افصلك زيدا وقال له اعرب ضرب عمرو زيدا فقام الولد وهو يجري ويقول واعرب وخرج بكر هاربا (وقيل) مرض رجل نحوي وكان بعيدا عن أهله فرأى غلاما يعرفه من اولاد جيرانه فقال له امض الى أهلي وقل لهم ان فلانا قد أصابه داء أوجع ركبتيه * وأذى خصيتيه * وأسقم بشرته * وزاد علته * وأسهر مقلته * وأجرى عبرته * وصار يكثر على الغلام * من هذا الكلام * فقال له الغلام يا سيدنا أقصر أنا أقول لاهلك قد مات ولا يحتاج لهذا الكلام (وقيل) احتضر بعض البخلاء فقال له ولده أوصني فقال اذا جلست على مائدة الاكل وتكلم معك انسان فلا تزد على قول نعم ولا تكررها فانك اذا كررتها ثانية فاتتك مضغة ثانية بتحريك فمك بها (وقال بعض الطفيلية) اذا طلعت الشمس على الفقير ولم يتغد نادى مناد من سماء سقف حلقه الصلاة على جنازة الغريب (وقيل)

جاء

جاء رجل الى امرأته بلحم فقال لها اصلقي بعضه فانه ينفع البطن واقلي بعضه فانه ينفع الظهر واشوي بعضه فانه ينفع الجماع فقالت له يا رجل ما عندنا قدر ولا حطب والاولى أننا نشوي الجميع (ووقف بعض النحاة) على قصاب وقال له هذا اللحم من الضأن الفتي أو من المعز الثني فقال له القصاب هو من خيار الضأن قال له النحوي أذبحته لفرض أم لمرض فقال له حتى أبلغ أنا وعيالي منه قال النحوي أكان ذكرا ذا خصيتين أم أنثى ذات حلمتين قال له الجزار كان ذكرا ينطح الحائط برميه قال النحوي أكان يمج الماء بشدقيه أم يمصه بشفتيه قال كان يدلي زلومته في الماء ويشرب حتى يشبع قال النحوي أكان مرعاه الشيح والبعيتران أم العصف والريحان قال كان يرعى من نبات الارض كله قال له النحوي أسننت شفرتك وحددت مديتك قال جعلتها لو وقعت على رقبة الابعد قطعتها قال النحوي أبدأت بالبسملة وأظهرت الحيعلة التي هي على وزن فيعلة على قول بعضهم وقال بعضهم هي على وزن فعللة والصحيح الاول فقال القصاب لغلامه هات الجلد حتى أقطعه على أكتاف هذا النحس الذي عطلنا وقطع رزقنا فلما سمع النحوي منه ذلك شتمه وهرب (وحكى) ان بعض اللطفاء امتدح بعض الرؤساء بقصيدة فرسم له ببرذعة حمار وحزام فأخذهما على كتفه وخرج بهما فمر به بعض اصحابه فقال له ما هذا قال اني مدحت مولانا الامير بقصيدة من أحسن القصائد فخلع علي خلعة من أحسن ملابسه فبلغ الامير ذلك فضحك وأرسل خلفه وأجازه بجائزة حسنة (وحكى عن الاصمعي) انه قال رأيت بالبادية جارية حسناء وعلى خدها خال أسود فقلت لها ما اسمك قالت مكة فقلت ما هذه النقطة السوداء قالت الحجر الاسود فقلت لها قصدي أن أطوف بالبيت وأقبل الحجر الاسود فقالت هيهات لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس فأخرجت لها صرة فيها بعض دنانير وناولتها اياها فقالت ادخلوها بسلام آمنين ان شئت فقبل الحجر الاسود وان شئت ادخل الحرم قال فاذهلني حسنها وجمالها (قيل) سافر رجل مع جماعة وفيهم امرأة جميلة ومعها ولد جميل فزنا الرجل بالمرأة ولاط بالولد فقالت المرأة للولد اعرفه فلعلنا ان رجعنا نظفر به ونعرض أمره على الحكام فقال لها الولد أما أنا فكان ظهري لوجهه وأما أنت فكان وجهك لوجهه فمعرفتك له أبلغ من معرفتي اياه (ومات مجوسي) وعليه دين وترك ولدا له دارا فقال بعض غرماء الميت لولده لم لا تبيع دارك وتسدد دين أبيك وتخفف بها عنه فقال لهم الولد اذا بعت داري وقضيت دين أبي هل يدخل الجنة فقالوا لا فقال دعوه في النار وأنا في الدار (وقال المأمون) ليحيى بن أكثم وهو يعرض له من الذي يقول هذا البيت

قاض يرى الحد في الزناء ولا * يرى على من يلوط من باس

فقال له القاضي يحيى أوما يعرف أمير المؤمنين من قاله قال لا فقال يحيى هو من قول الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي قال

أميرنا يرتشى وحاكمنا * يلوط والرأس شرّ ما راسى
لا أرى الجود ينقضى وعلى الـ * أمة والى من بنى العباسى

فانجم الطبين وسكت خجلا (وأرسل) بعض المغفلين الى صديق له هذه الابيات

اذا ماذكرتك يامنيتى * يسيل المخاط على لحيتى
وليتك عندى اذا ماخريت * يكون لسانك فى تقبتى
نسيمك عطل ماء السما * وأورثنى الويل فى ركبتى
اذا لم تزرنى أنا مدنف * فان الهوى سهل معدتى

(ومما ينسب) للحريرى رحمه الله تعالى

صديقك فى هذا الزمان منافق * وخلك خل دعه واحذر بوائقه
ونافق فقد آن النفاق ولا تخف * كسادا فأحوال المنافق نافقه
وعرّص وقد واظلم وبالفحش فافتخر * فما رفعت دنياك حرّا ولا تقه
ومافيك غير الدين عيب ولن ترى * بدهرك الا ملحدا وزنادقه

(ومثل ذلك) قول الابوصيرى الاديب عفا الله عنه

ستة فى الهوى افعلهم * بعد الموت بهم تذكر
تخول وعرّص وافسق * وغنّ وقامر واسكر

(ونختم) هذا الكتاب بأبيات من بحر الخرافات فنقول

تمّ كتاب الهلس والتخريف * وماجرى فى وصف أهل الريف
جعلته جزءين باختصار * فجاء كالزبلة فى التيار
لكنه مع ثقل المعانى * وخبط عشوى ياذوى العرفان
ولفظه الكثيف فى المقال * وحشو مسائل الهبالى
أبحاثه جاءت كما الحس الخرا * ياوجه الاصحاب حقيقا الامرا
فليس يخلو جمعه من فائده * من نكتة أو قصة مشاهده
وأصل ماألجأنى لفعله * وشرحه ونسخه ونقله
العارف الحبر وحيد الدهر * وعالم الاسلام زاكى الفخر
شيخ امام مصدر الطلاب * وروضة العلوم والآداب
ومعدن الجود مع المطلوب * أعنى الامام أحمد السندوبى
جزاه رب العرش جنات النعيم * مع النظر لوجه مولانا الكريم
والله يرحم من قرا كتابى * هذا ويرشده الى الصواب
ومن رأى فيه عيو با وخلل * وسدّها فالشخص معدن الزلل
ولا تلمنى فالسماح أفضل * واعذر اخاك مكرها يابطل

والحمد لله على التمام * ثم صلاة الله مع سلام
على النبىّ الهاشمىّ أحمدا * والآل والاصحاب أنجم الهدى
ماغرّدت ساجعة الاطيار * أولاح برق فى دجا الاسحار

وكان طبع هذا الكتاب * المنظوم فى سلك كتب المفاكهة فى مجالس المسامرة بين الاصحاب * فى ايام الحضرة السعيدية * التى سطعت أنوار مراحها فى افق الحكومة المصرية * بدار الطباعة العامرة * الكائنة ببولاق مصر القاهرة * مشمولا بنظر صاحب نظارتها * القائم بحسن تدبيرها وادارتها * حضرة على افندى جوده * بلغه الله مأموله وقصده * ومصححا بمعرفة راجى غفر المساوى * الفقير محمد الشريف الادكاوى * المندوب بمعرفة ملتزمه للمساعدة فى تصحيح كتبه التى التزمها * وللطبع عرضها وقدمها * جناب عبد الحميد بيك افندى نافع * رغبة فى تنجيز هذا الغرض النافع * فأجرى تصحيح معظم هذا الكتاب على يديه * من كتب التزام المومى اليه * فصحح المذكور من الملزمة الثالثة والعشرين الى غايته * وماعدا ذلك صحح بمعرفة الباش مصحح نظر الله تعالى له بعين عنايته *
وقد وافق تمام طبعه على هذا المنوال *
فى أواسط شوّال * سنة ١٢٧٤
ألف ومائتين وأربع وسبعين *
من هجرة خاتم النبيين * عليه
وعليهم أفضل الصلاة
والتسليم واجزل
التحية والتكريم
تم
هذا كتاب أبو شادوف خالص الكمرك